الإسلام
وقضايا الإنسان المعاصر

الكتاب السادس

أخلاق وآداب إسلامية

إطلالة روحانية على بعض ما يدعو
إليه الدين الإسلامي من أخلاق وآداب

للأستاذ الدكتور
حسن أحمد الكبير
العميد الأسبق لكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، نور السموات والأرضين، أشرقت بنوره الظلمات، سابق كُلِّ فَوْت، سامع كُلِّ صَوْت، العليم الذى أحاط علمه بكل شىء، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شىء قدير ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، بعثه الله بالعلم والهدى والحق المبين، فكان خير العالمين وأشرف المتعلمين، هدى الناس إلى صراط الله المستقيم، وأخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور اليقين. اللهم صل وسلم وبارك عليه فى الأولين والآخرين وفى الملأ الأعلى إلى يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وبعد

فمن فضل الله علينا وتوفيقه أن جعلنا ممن يسهمون بجهودهم العلمية التى أفاء الله بها عليهم فى تعريف الناس ببعض أمور دينهم لمن يسر الله لهم الاستماع إلى البرامج الدينية التى تبثها الشبكات الإذاعية والمرئية حيث كان لنا شرف المشاركة فى بعض البرامج الدينية على مدى أكثر من عشرين عاما ، فى إذاعة نداء الإسلام بمكة المكرمة، وإذاعة قطر، والبرنامج العام فى إذاعة جمهورية مصر العربية ــ المحروسة بإذن الله تعالى ــ وإذاعة القرآن الكريم التى تتحمل جانبا عظيما من تبليغ رسالة الإسلام إلى مستمعيها بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذاعة البرامج الموجهة التى تبث إرسالها إلى العديد من دول العالم، وبرنامج: فى نور القرآن بالقناة الثانية، وبرنامج: فى نور الإسلام بالقناة الأولى ، فكانت حصيلة هذه المشاركة أعمالا عديدة تمثل كنزا غاليا من كنوز العلم والمعرفة، وقد كان للأخ العزيز الصحفى النابه الأستاذ/ صلاح زلط ، فضل نشر بعض هذه الأعمال فى الصفحة الدينية التى يعدها فى جريدة : "الأهرام المسائى" وبخاصة عندما يهل شهر رمضان المبارك من كل عام، فكان ذلك باعثا آخر لقراءتها والإطلاع عليها إلى جانب الاستماع إليها فى تلك الإذاعات مما حدا بالعديد من هؤلاء القراء ممن تيسر لهم سبل

الاتصال بنا أن يحثونى على إخراج هذه الأعمال ونشرها حتى يعم النفع بها وتسهم فى تزويد من يحرص على التعرف على أمور دينه ببعض ما أفاء الله به فيها من المعارف والتوجيهات والقيم الإسلامية الكريمة فوجدت اطمئنانا فى نفسى ، وانشرح صدرى لذلك فاستخرت الله وعقدت العزم على إعادة النظر فيما تيسر لى من هذه الأعمال والمراجعة الدقيقة لكل ما ورد فيها من أفكار إلى جانب تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مما استدعى بذل أقصى الجهد وسهر الليالى الطوال ، وقد اخترت لهذه الإصدارات مسمى جامعا يضمها وهو : "الإسلام وقضايا الإنسان المعاصر" وكلما فرغت من مادة ينتظمها كتاب بادرت بدفعها إلى النسخ والمطبعة، فكان أول هذه الإصدارات كتاب : "أحكام إسلامية فى مسائل معاصرة" سنة ١٩٩٥م وهو إجابات ميسرة لأسئلة دينية تهم الإنسان المسلم وتتصل بحياته اليومية مما بعث به المستمعون إلى إذاعة القرآن الكريم ـ برنامج بريد الإسلام[١] ـ ويضم عشرة فصول فى العبادات والمعاملات وغيرها، ثم صدر الكتاب الثانى سنة ١٩٩٦م : "من التراث الإسلامى: آراء فقهية وآداب إسلامية" ويحتوى على ثلاثة موضوعات تعرف بالفقيهين الجليلين: القاضى محمد بن خلف بن حيان ، والعالم الفقيه: شمس الدين بن مفلح، وبعض آرائهما الفقهية، ثم التعريف بحكيم العرب: الأحنف بن قيس وبعض حكمه الغالية. وقد تم إذاعة مادة هذا الكتاب فى إذاعة : "نداء الإسلام" بمكة المكرمة عندما كنت مقيما فى الرحاب الطاهرة إلى جوار البيت العتيق معارا إلى قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى . أما الكتاب الثالث وكذا الكتاب الرابع فقد تم إصدارهما معا سنة ٢٠٠٣م تحت مسمى واحد هو: "أحكام إسلامية فى مسائل معاصرة" وقد أذيعت مادتهما العلمية فى إذاعة القرآن الكريم على سنوات برنامج "بريد الإسلام"[٢] واستوعب الكتابان أبواب العبادات والمعاملات والعقائد، والحدود وما يتعلق بالموتى وكل ما يهم الأسرة المسلمة من مواريث ووصايا وأيمان ونذور وغيرها.

---

(١) ،(٢) الحلقة المسائية تقديم الإذاعى الشهير الأستاذ/ إبراهيم مجاهد.

أما الكتاب الخامس فهو : "فى رحاب الكتاب والسنة" صدر عام ٢٠٠٣م ويضم ثلاثة فصول: الفصل الأول "مع آيات قرآنية من الذكر الحكيم" والثانى "من الهدى النبوى الشريف" والثالث : "من توجيهات بعض الأحاديث والسيرة النبوية المطهرة" وقد أذيعت بعض مواد هذا الكتاب بإذاعة القرآن الكريم ــ برنامج بريد الإسلام[1] ــ الحلقة المسائية ــ وبعضها بالإذاعات الموجهة التى تبث برامجها إلى آسيا وإفريقية وغيرها من دول العالم بلغات مختلفة مما يستدعى ترجمة بعض هذه المواد إلى لغة الذين توجه إليهم هذه المواد وهذه الإصدارات تمثل جزءا يسيرا من حصيلة ضخمة من المواد الدينية شاركت بها فى برامج مختلفة فى الإذاعة المسموعة والمرئية مثل برنامج "الإنسان فى القرآن" وبرنامج "قصة آية" وبرنامج "المرأة فى الإسلام" وبرنامج : "من هدى القرآن الكريم" وتقدمه للتلاوة، و"حديث الصباح" و"ألف باء إسلام" الذى تبثه الإذاعات الموجهة إلى دول البلقان ودول الاتحاد السوفيتى سابقا، وبرنامج : "من أعلام الأزهر" ، وبرنامج "مع خير الأصحاب" وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يمدنى بمدد من عنده وأن يعيننى على مراجعة هذه الأعمال وإعدادها للنشر واحتسابها كسابقاتها عند من لا يضيع عنده مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ٠

ولأن الخير لا ينتج إلا الخير فقد أراد الله لهذه الكتب الخمسة أن تلقى اهتماما من بعض الناشرين الذين يسهمون بجهودهم فى نشر الثقافة الإسلامية على مستوى العالم العربى والإسلامى، وكان الأخ الفاضل الأستاذ أحمد الصابونى صاحب مؤسسة الصابونى للطبع والنشر وفى مقدمة هؤلاء الناشرين الذين تم الاتفاق معهم على إعادة طباعة الإصدارات السابقة طباعة فاخرة وفى تبويب جديد ، بعد ضم المتآلف إلى بعضه ، فقسمت مواد الكتاب الأول والثالث والرابع والخامس بعد مراجعتها وتنظيمها إلى كتابين كبيرين بعنوان: "فتاوى إسلامية" الكتاب الأول: يشتمل على سبعة فصول يندرج تحتها أبواب العبادات جميعها والحدود . أما الكتاب الثانى فقد ضم ثمانية فصول:

---

(١) تقديم الإذاعى الشهير الأستاذ إبراهيم مجاهد٠

فى المعاملات والنكاح، والطلاق، وما يتعلق بالموتى، وفى محيط الأسرة، والمواريث والوصايا، والأيمان والنذور والفصل الثامن بعنوان "فى رحاب آيات من الذكر الحكيم" واشتمل على مقدمة فى التعريف بالقرآن الكريم وفضله ثم معانى موجزة لآيات من الذكر الحكيم، وهذان الكتابان فى المطبعة حاليا وسيكونان فى يد القارئ الكريم بعد وقت قريب إن شاء الله ، أما الكتاب الثانى : "من التراث الإسلامى" فسيصدر تباعا بعد الانتهاء من طباعة هذين الكتابين، ولا يسعنى إزاء هذا التعاون الأخوى والثقة الغالية فى شخصنا الضعيف ، إلا أن أسجل شكرى واعتزازى للأخ العزيز الأستاذ أحمد الصابونى وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يجازيه عن الإسلام خير الجزاء وأن يتقبل منا ومنه هذا الجهد الذى نبتغى به وجه الله سبحانه وتعالى وأن يتكرم علينا بالرضا والقبول إنه صاحب ذلك والقادر عليه .

وها هو الكتاب السادس الذى يصدر ضمن هذه السلسلة "الإسلام وقضايا الإنسان المعاصر" بعنوان : "أخلاق وآداب إسلامية" وهو إطلالة روحانية على بعض ما يدعو إليه الدين الإسلامى من أخلاق وآداب " ومادة هذا الكتاب قد أذيعت فى برنامج "من أخلاق الإسلام"(١) فى إذاعة القرآن الكريم على مدى أكثر من ثلاث سنوات، وقد عكفت على مواد هذا الكتاب بالمراجعة الدقيقة لكل ما جاء فيها وأضفت إلى بعضها ما يتطلبه الموضوع من زيادة بيان أو إيضاح ، ثم قمت بمعاونة ابن عزيز من أبناء الأزهر الشريف(٢) بتخريج كل ما ورد فيه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وسير وأقوال مأثورة ، حتى نقدم للقارئ العزيز مادة علمية موثقة تطمئن إليها نفسه ويعم نفعها إن شاء الله تعالى .

وقد اشتمل هذا الكتاب على ثمانية وستين موضوعا تطوف بنا فى رياض القيم والأخلاق الكريمة التى حث عليها ديننا الحنيف ودعا كل مسلم إلى التخلق بها والعمل بما وجهت إليه فهى خير زاد ، وسبيل

---

(١) تقديم الأخ العزيز الإذاعى الألمعى الدكتور رمضان المحلاوى .

(٢) هو الابن البار العزيز الشيخ حاتم حسن محيى الدين إمام وخطيب بمديرية أوقاف الزقازيق فجزاه الله عنى وعما بذل من جهد أجزل الجزاء .

الإنسان المسلم إلى حسن المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق أجمعين فهى ترسم لنا جميعا ذلك المنهج الذى تخلق به رسول البشرية محمد ﷺ ودعانا إليه ، وكان أصحابه خير الآخذين به فكانوا هداة مهتدين، فخير الهدى هدى محمد ﷺ ولذلك امتدحه ربنا عزوجل فى كتابه العزيز بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١).

وإنى إذ أقدم هذا الإصدار السادس من سلسلة : "الإنسان وقضايا الإنسان المعاصر" لا يسعنى إلا أتوجه بالشكر والعرفان إلى المولى عزوجل على ما وفق وأعان، وأسأله سبحانه جل فى علاه أن يجعلنا من العلماء العاملين الذين يعملون فيؤجرون، وإلى لقاء قريب إن شاء الله مع الإصدار السابع بتوفيق الله وعونه وهو بعنوان : "مع خير الأصحاب" تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال وأسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ (٢) ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.

المعادى الجديدة فى:

يوم الثلاثاء١٩ من شوال سنة١٤٢٦هـ

الموافق: ٢٢/ ١١/ ٢٠٠٥م

أ.د/ حسن أحمد الكبير
العميد الأسبق لكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر بالزقازيق

---

(١) سورة القلم آية ٤ .
(٢) سورة آل عمران آية ٣٠ .

١.فضل قراءة القرآن الكريم ومدارسته

القرآن الكريم هو كتاب الله الذى أُحكِمت آياته، ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير، وهو رسالة الله تعالى إلى الإنسانية كافة، وهو دستور الحياة للمسلمين الموحدين، وهو فضلا عن أنه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، آية الله الكبرى ، وحجته الخالدة والرسول الأمين، والواعظ الناطق، والبرهان القاطع، والعقيدة الثابتة ، والآية الساطعة، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال فى حديثه عنه وعن فضله : ".. فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهُدَى فى غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين ونوره المبين ، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يَخْلَق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا ﴿: إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجِر ، ومن دعا إليه هُدِىَ إلى صراط مستقيم[1] .

ولهذا أمر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بتلاوة القرآن فى آيات كثيرة. فقال تعالى فى سورة الكهف: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾[2] ويقول فى سورة العنكبوت:﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا

(١) الآية ١، ٢ من سورة الجن والحديث خرجه الترمذى عن على ﷺ.
(٢) الآية رقم ٢٧ .

عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾(١) ؟ ويقول فى سورة النمل : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾(٢)

أى وأمرت أيضا بتلاوة القرآن لتتكشف لى حقائقه الرائعة، وأن أقـرأه على الناس فمن اهتدى بالقرآن واستنار قلبه بالإيمان فإن ثمرة هدايتـه راجعة إليه، ومن ضل عن طريق الهدى فوبال ضلاله مختص بـه وخرج الترمذى عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الـرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله علـى سائر خلقه" . وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقيم الليل مرتلا القـرآن حتى تورمت قدماه، امتثالا لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (٣) ولذلك رغـب رسـول الله ﷺ المـؤمنين فـى المداومة على تلاوة القرآن الكريم وحثهم عليها. فقد روى البخارى عن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال : "خيركم مـن تعلـم القـرآن وعلمه" وروى النسائى وابن ماجة والحاكم عن أنس أنه قـال : قـال رسول الله ﷺ : "أهل القرآن أهل الله وخاصته" وروى البيهقـى فـى الشعب عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "إن هـذه القلـوب

---

(١) الآية رقم ٥١ .
(٢) الآيتان ٩١ ، ٩٢ .
(٣) المزمل : ١ـ ٤ .

تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل يا رسول الله ؟ وما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن" .

وعن أبى موسى الأشعرى أنه قال: قال رسول الله ﷺ : "مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجَّة[١] .. ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة: لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة : ريحها طيِّب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر[٢]".

فهذه الأحاديث وغيرها تدعو المسلمين إلى ما يعينهم على جلاء قلوبهم ونقاء سرائرهم ، ويحقق لهم السعادة فى الدارين ، وهى قراءة القرآن الكريم والحرص على تلاوته، والوقوف على معانيه وما فيه من توجيهات وإرشادات، فلن يتقرب العبد إلى الله بأحب إليه من تلاوة القرآن وتدبره ومدارسته .

فعن أبى ذر الغفارى ﷺ قال : قال لى رسول الله ﷺ : "يا أبا ذر : "لأن تغدو فتَعلَّم ــ أى تتعلم ــ آية من كتاب الله خير لك من أن تُصَلِّيَ ألف ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلى ألف ركعة[٣] .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : "الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه ــ أى يقرؤه بصعوبة ــ وهو عليه شاق له أجران"[٤] فقراءة القرآن وتلاوته سنة من سنن الإسلام، والإكثار منها مستحب حتى يكون المسلم حىَّ القلب مستنير الفؤاد بما يقرأ من كتاب الله ، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : "لا حسد إلا

---

(١) الأترجة : بهمزة مضمومة وتاء ساكنة وراء مضمومة وجيم مشددة مفتوحة: نوع من الفاكهة لذيذ الطعم طيب الرائحة ، معروف عند العرب القدامى.
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٩/ ٦٥ ، ومسلم ١/ ٥٤٩ .
(٣) أخرجه ابن ماجة فى سننه ١/ ٧٩ .
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ٨/ ٦٩١ ومسلم فى صحيحه ١/ ٥٤٩ .

فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار"[١] .

فتلاوة القرآن مع إخلاص النية وحسن القصد عبادة يُؤْجَر عليها المسلم. فعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : "البيت الذى يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض" [٢] .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : "نَوِّروا منازلَكم بالصلاة وتلاوة القرآن" [٣].

وعن ابن مسعود رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : "من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول "الم" حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف"[٤] ، وفى الحديث الذى رواه أبوأمامة : "اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه" [٥] وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : "يُقَال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورَتِّل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"[٦] وأخرج ابن ماجة فى سننه عن أبىسعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : "يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شىء معه" .

ولذا حرص الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على تلقى القرآن الكريم من رسول الله ﷺ وحفظه، وقد ثبت فى صحيح البخارى من حديث عثمان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه" وفى رواية : "أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه" كما روى

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٩/ ٧٣ والآناء: الساعات .
(٢) أخرجه مسلم .
(٣) أخرجه البيهقى .
(٤) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه أبوداود والترمذى وقال : حسن صحيح .

البيهقى عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: "إن هذا القــرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم" ولهذا ذهب كثير من العلمــاء إلى أن تعليم القرآن الكريم وحفظه فرض كفاية حتى لا ينقطع التــواتر فيه حفظا، ولا يتطرق إليه التبديل أو التحريف، ومعنى فرض الكفايــة أنه إن قام به البعض سقط التكليف عن الباقين وإلا أثموا جميعا.

وسبيل تعليم القرآن وحفظه: حفظ آيات يتلوهــا آيــات، فــيحفظ الإنسان شيئا قليلا ثم يتبعه بقليل آخر، ثم يَضُمُّ هذا إلــى ذاك ويعــاود قراءة ما حفظ وهكذا، فعن أبىالعالية قال: "تعلموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإن النبى ﷺ كان يأخذه عن جبريل عليه الســلام خمســا خمسا".

وعلى المرء أن يحفظ القرآن على من يحفظه ويجيد تلاوته، ومن هم على دراية بأحكام التلاوة والتجويد، فقد عد العلماء القــراءة بغيــر تجويد لحنا، واللحن خلل يطرأ على الألفاظ، ويأثم المرء لهــذا الخلــل والتجويد لا يُكْتَسب بالدراسة وقراءة كتبه، بقدر ما يُكْتَسب بالممارســة والمران ومحاكاة من يحفظ القرآن ويجيد تلاوته، ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة. فقد كان ﷺ يجتمع مع جبريل فى رمضــان فيدارســه القرآن ثم على من يحفظ شيئا من القرآن أن يهتم بفهم معانى ما يحفظ، فقد روى عن أبى عبدالرحمن السلمى أنه قال: حــدثنا الــذين كــانوا يُقْرِئُوننا القرآن، كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهمــا أنهــم كانوا إذا تعلموا من النبى عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا".

وللتلاوة آداب: منها: أنه يُسْتَحبُّ الوضوء لقراءة القرآن، ويُسْتَحَبُّ أن يجلس القارئ مستقبلا القبلة، متخشعا بسكينة ووقار، وأن يتعوذ قبل القراءة، ويُسَنُّ الترتيل فى قراءة القرآن، فقد كانت قراءة الرسول ﷺ مُفَسَّرةً حرفا حرفا،يقول تعالى:﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾(١) ويُسَنُّ القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم

---

(١) المزمل آية : ٤ .

وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب ، يقول تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (١).

والقراءة فى المصحف أفضل من قراءته حفظا، لأن النظر فى المصحف عبادة مطلوبة، وبهذا ينال القارئ الثواب العظيم من الله تعالى. فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله قال: "... وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"(٢).

فاللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا، وذهاب همومنا وأحزاننا، وذكرنا منه ما نسينا ، وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذى يرضيك عنا يا رب العالمين .

(١) سورة محمد آية : ٢٤ .
(٢) من حديث طويل رواه مسلم .

٢- عمارة المساجد وفضلها

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (١) .

وفى البداية نعرض لآراء العلماء حول المراد بعمارة المساجد فنقول: يرى بعض العلماء أن المراد بعمارة المساجد: العمارة الحسية وهى بناؤها وتشييدها، وترميم ما تهدم منها وفرشها وإنارتها. ويقول آخرون: إن المراد العمارة المعنوية وهو عمارتها بالصلاة والعبادة وأنواع القربات كما قال الله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ (٢) وهذه هى الغاية الأسمى من عمارة المساجد، أما جمهور العلماء فيرى أن المراد بعمارة المساجد هو العمارة الحسية والعمارة المعنوية معا. يقول أبوبكر الجصاص: "وعمارة المسجد تكون بمعنيين أحدهما: زيارته والمكث فيه، والآخر بناؤه وتجديد ما استرم فيه وذلك لأنه يقال: اعتمر إذا زار، ومنه العمرة لأنها زيارة البيت، وفلان من عمار المساجد إذا كان كثير المضى إليها". والخلاصة أن عمارة المساجد ليست هى البناء والتشييد وفرشها بالبسط والمحافظة على نظافتها فحسب، بل إن عمارتها تكون كذلك بارتيادها والمكث فيها انتظارا للصلاة أو لقراءة القرآن أو لحضور مجلس علم، وما إلى ذلك من وجوه التعلم والتعليم. يقول أنس ﷺ : "من أسرج فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام فى ذلك المسجد ضوؤه". وهذا الأجر العظيم ينتفع به كل من ساهم فى بناء

---

(١) سورة التوبة آية ١٨ .

(٢) سورة النور آية ٣٦ .

المساجد ولو بوضع لبنة فيها أو بتقديم شيء من ماله فى بنائه وهو بعمله هذا يقدم صدقة جارية تنفعه فى آخرته، فعن أبىهريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علما علمه ونشره، وولدا صالحا تركه، أو مصحفا وَرَّثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه بعد موته"(١).

ولما كانت المساجد بيوت الله فى الأرض يُرْفَع ويُذْكَر فيها اسمه، وهى ملتقى المسلمين يعبدون فيها ربهم ويُقْبلون على طاعته ابتغاء رضوانه ورحمته ، فقد دعا ديننا الحنيف إلى إقامة المساجد وعمارتها والمحافظة عليها وتنزيهها عن كل ما هو نجس أو مستقبح، وأن يؤمها الناس فى صلواتهم وتعلمهم، ووعد الله تعالى من بنى مسجدا أو ساهم فى بنائه بنفسه أو ماله أجرا عظيما وسجل لهم عنده مقاما كريما وشهد لهم بالإيمان والخشية . يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢) فقد ذكر الله تعالى من صفات من يعمر بيوت الله حقيقة: خمسة أوصاف هى: الإيمان بالله تعالى حق الإيمان ، والتصديق بلقائه فى الدار الآخرة ، ثم أداء الصلوات المفروضة ، ودفع الزكاة لمستحقيها، والخشية من الله تعالى، وذلك حقيقة الإيمان، وهذه شهادة من الله تعالى لعُمَّار بيوته بالإيمان والفوز بالسعادة فى الجنان. كما حث الرسول ﷺ على بناء المساجد . فعن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ قال : "من بنى مسجدا لا يريد به رياء ولا سمعة بنى الله له بيتا فى الجنة"(٣) .

---

(١) أخرجه ابن ماجة فى سننه ورواه ابن خزيمة فى صحيحه .
(٢) سورة التوبة آية ١٨ .
(٣) قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/ ٨ : رواه الطبرانى والبزار .

وعن عثمان بن عفان ﷺ أن النبى ﷺ قال : "من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه الله، بنى الله له بيتا فى الجنة"(١) وروى أحمد وابن حبان والبزار بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : "من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة لبيضها، بنى الله له بيتا فى الجنة" والمفحص : الموضع الذى تبيض فيه القطاة أى الطائر، كما حث عليه الصلاة والسلام على عمارة المساجد بالذهاب إليها والصلاة والمكث فيها انتظارا للصلاة، فقد روى أحمد والشيخان عن أبىهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : "من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نُزُلا كلما غدا أو راح" وروى الترمذى وابن ماجة وغيرهما عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال : "إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ وروى مسلم عن أبىهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: "من تطهر فى بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة". وجاء فى الحديث الذى رواه أبوهريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : "... وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده"(٢). ولذلك كان لإتيان المسجد والصلاة فيه فضل عظيم، فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين درجة، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يَخْطُ خطوة إلا رُفِعت له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١/ ٥٤٤ ، كتاب الصلاة، باب من بنى لله مسجدا وأخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٢٨٧، كتاب الزهد والرقائق، باب فضل بناء المساجد ٠

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٧٤ ، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر ٠

ما دام فى مصلاه: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة"(١) وعن سلمان الفارسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "من توضأ فى بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر لله، وحَقٌ على المزور أن يكرم زائره"(٢).

وعن بُرَيْدَةَ الأسلمى عن النبى ﷺ قال : "بشر المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"(٣). وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله قال : "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة"(٤).

ومن آداب دخول المساجد أن يذهب إليها المسلم متطهرا من الحدث والنجس فى البدن والثوب وفى أنظف ثياب وأجمل زينة، فالله قد أمر المؤمنين بالتجمل وحسن الهيئة واتخاذ الزينة والطيب والتخلص من الرائحة الكريهة، وبخاصة فى أماكن الاجتماع والالتقاء بالآخرين. قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ (٥) وعن جابر ﷺ قال : قال النبى ﷺ : من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ــ أو فليعتزل مسجدنا ــ "(٦) وفى رواية لمسلم: من أكل البصل ، والثوم ، والكرات لا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوآدم". ومن آداب الإسلام أن يدخل المسلم المسجد برجله اليمنى، وأن يخرج

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢/ ١٣١، كتاب الآذان، باب فضل صلاة الجماعة ، ومسلم فى صحيحه ١/ ٤٥٩، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة .

(٢) رواه مسلم .

(٣) أخرجه أبو داود فى سننه ١/ ١٥٤، كتاب الصلاة، باب ما جاء فى المشى إلى الصلاة فى الظلم والترمذى فى سننه ١/ ٤٣٥، كتاب الصلاة، باب ما جاء فى فضل العشاء والفجر فى جماعة .

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢/ ١٣١، كتاب الآذان، باب فضل صلاة الجماعة ومسلم فى صحيحه ١/ ٤٥٠، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

(٥) سورة الأعراف آية ٣١ .

(٦) حديث متفق عليه .

برجله اليسرى فقد كان ابن عمر ﷺ يبدأ برجله اليمنى، فإذا خرج خرج برجله اليسرى، ثم ذكر حديث عائشة رضى الله عنها: "كان النبى ﷺ يحب التيامن فى شأنه كل ما استطاع فى طهوره وترَجّله وتنعله"(١).

يقول أنس ﷺ : من السنة أن تدخل المسجد برجلك اليمنى مصليا على النبى ﷺ ، قائلا: "أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، وفى رواية: إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل : "اللهم إنى أسألك من فضلك"(٢).

ومن صلى ثم جلس ينتظر الصلاة، فهو فى رباط وجهاد ما دام فى مصلاه، فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله (ﷺ) قال : "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات ، قلنا بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط"(٣).

وروى البزار فى مسنده عن عبدالله بن المختار عن محمد بن واسع عن أم الدرداء عن أبىالدرداء قال: "لتكن المساجد مجلسك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله عزوجل ضمن من كانت المساجد بيته الأمن والجواز على الصراط المستقيم يوم القيامة".

ومن آداب المساجد ألا يتكلم الجالس فيها إلا بما يُرْضِى ربه ويمتنع عن اللغو والكلام الخارج عن العبادة يقول ابن الحاج : إنما يُجْلَس فى المسجد للصلاة والتلاوة والذكر والتفكر أو تدريس العلم بشرط عدم رفع الصوت وعدم التشويش على المصلين والذاكرين .

ويستحب للجالس أن يجلس ممكنا مقعده من الأرض، وبخاصة إذا كان ينتظر الصلاة حتى إذا أخذته سِنَةٌ من النوم لم ينتقض وضوءه، ومن الآداب ألا يجلس المسلم خارج المسجد إلا إن ضاق

(١) رواه البخارى ومسلم وأبوداود والترمذى والنسائى .
(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن السنى برقم (٨٨) .
(٣) رواه مسلم .

المسجد فى الداخل، ولا يجلس فى المؤخرة ما دام هناك فراغ لم يُمْلَأ فى المقدمة، وألا ينام فى المسجد إلا عند الحاجة القصوى، وأن لا يرفع صوته بغير ذكر الله ، فقد روى أن عمر ﷺ رأى رجلين يرفعان أصواتهما فى المسجد، فقال لهما: من أين أنتما؟ فقالا: من الطائف، فقال لهما: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله ﷺ[(١)]؟!

كما يكره لمن يجلس بالمسجد إسناد ظهره إلى القبلة ، فمن السنة أن يستقبل القبلة إلا إن كان عالما أو فقيها يدرس العلم للناس ، فقد ورد عن أبىهريرة أن النبى ﷺ قال : "إن لكل شىء سيدا، وإن سيد المجالس قبالة القبلة"[(٢)] وعن ابن مسعود ﷺ أنه رأى قوما قد أسندوا ظهورهم إلى قبلة المسجد فقال لهم: لا تحولوا بين الملائكة وبين صلاتها"[(٣)].

فالمسجد بيت الله يلتقى فيه المؤمن بربه ليجدد صلته بخالقه ويعيش فى مناجاته، ويُرَطِّب لسانه بدعاء من يعلم خائنة الأعين وما تُخْفِى الصدور، إن نطق فنطقه ذكر، وإن سكت فصمته فكر، وإن أحنَى هامته فركع أو سجد لربه فهو فى مقام الشكر، لا لغرض من مخلوق ينشده، ولا لإنسان يتملقه، لكنه يسجد لمن دان له الخلق وسجد له الكون، وسبح بحمده الجبال والطير "كل قد علم صلاته وتسبيحه".

---

(١) رواه البخارى عن السائب بن يزيد الصحابى الجليل ﷺ بالبخارى (٤٧٠) الحديث بكماله فى كتاب شرح رياض الصالحين ٤/ ٢٨٧ مكتبة الإيمان – المنصورة .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد حسن.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير ، وذكره الهيثمى فى المجمع ٣/ ٦٣ .

٣- الاستغفار طريق التوبة والإنابة

مما لا شك فيه أن الحياة مليئة بالمغريات والمتع التى قد تستحوذ على الإنسان ويسعى إلى التمتع بها، وهذا مما قد يوقعه فى كثير من الأخطاء والتجاوزات كما هى طبيعة النفس البشرية التى أكدها الرسول ﷺ بقوله: "كل ابن آدم خطاء"(١) ولذلك نجد الشرع الحنيف يدعونا إلى تدارك هذا الانحراف فى السلوك، وأن نسارع إلى رحاب الله بالتوبة والاستغفار مما حدث منا أو قصّرنا فى أدائه، فهو الغفور الذى لا يُغلق بابه فى وجه تائب منيب، وهو القائل: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ (٢) .

فحياة الإنسان كلها اختبار وابتلاء ، وقد غرت الدنيا الكثير من الناس بزخرفها ومتاعها الزائل، فاندفعوا وراءها، واشتغلوا بطلبها، إلا أن الإنسان العاقل هو الذى لا يستسلم للدنيا ومغرياتها، ويحرص على مرضاة الله والبعد عما نهى عنه، وأن يتأدب بأدب الإسلام ويسارع كلما شعر بالتقصير أو وقع فى بعض المحظورات، إلى التوبة إلى الله والاستغفار مما اقترفت نفسه ٠

فالاستغفار سيد الدعاء كما قال الرسول ﷺ، وهو سبيل المؤمنين التوابين، فقد جاء فى سنن أبىداود عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب"(٣)٠

ويقول أبوهريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ : "إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة"(٤) وتقول السيدة عائشة رضوان الله

---

(١) أخرجه الترمذى وابن ماجة وسنده قوى، وتمام الحديث : "... وخير الخطائين التوابون" ٠

(٢) سورة المزمل آية ٢٠ ٠

(٣) رواه أبوداود فى سننه ٠

(٤) رواه البخارى ٠

تعالى عليها : "طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارا كثيرا"(١) ويقـول أبوهريرة : "إنى لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مـرة ". فـدواء الذنوب الاستغفار، فقد روى أبوذر ﷺ أن النبى ﷺ قال : "إن لكل داء دواء، وإن دواء الذنوب الاستغفار"(٢) لهذا فقد كثر ذكر الاستغفار فـى القرآن الكريم ـ وهو طلب المغفرة، أى وقاية شر الذنوب مع سترها ، فتارة يأمر القرآن الكريم به كما فى قوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) وقوله تعـالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ (٤) وتـارة يمـدح القـرآن المسـتغفرين، كقولـه تعـالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (٥) وتارة يذكر القرآن أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تعـالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٦) ويقـول تعـالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٧) وعن على بن أبىطالـب ﷺ قـال : "كنت إذا سمعت حديثا من رسول الله ﷺ نفعنى الله منه بمـا شـاء أن ينفعنى ، وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلـف صـدقته، وحدثنى أبوبكر وصدق أبوبكر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : "مـا من عبد يُذنب ذنبا فيُحسن الوضوء ثم يقوم ليصلى ركعتين ثم يسـتغفر

---

(١) أخرجه ابن ماجة فى سننه .
(٢) رواه أبوداود .
(٣) سورة المزمل آية ٢٠ .
(٤) سورة هود آية ٣ .
(٥) سورة آل عمران آية ١٣٥ .
(٦) سورة النساء ١١٠ .
(٧) سورة النساء آية ٦٤ .

الله إلا غفر الله له، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾(١).

ومن شروط قبول الاستغفار أن يكون الاستغفار بالقلب لا باللسان والعزم على التوبة والإقلاع عن الذنب بالقلوب والجوارح، ولذلك قال العلماء: الاستغفار المطلوب هو الذى يَحُلّ عقد الإصرار، ويثبت معناه فى الجنان ـ أى القلوب ـ لا التلفظ باللسان، فأما من قال بلسانه: أستغفر الله، وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار". وكل دعاء فيه طلب الغفران من الذنوب فهو استغفار، وأفضل أنواع الاستغفار أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يثنى بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة كما جاء فى حديث شداد بن أوس عن النبى ﷺ قال : "سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لاإله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء لك بذنبى فاغفر لى، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت" قال : ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يُمْسِى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات من ليله قبل أن يُصْبِح فهو من أهل الجنة"(٢).

وفى الصحيحين عن عبدالله بن عمرو أن أبابكر الصديق قال: يا رسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى قال: "قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم" وقد رُوِى عن النبى ﷺ أن من قال أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحىّ القيوم وأتوب إليه غُفِر له وإن كان فر من الزحف"(٣) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٥ والحديث أخرجه أبوداود فى سننه وابن ماجة والنسائى والترمذى .
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه .
(٣) خرجه أبو داود والترمذى .

وليس للاستغفار أوقات معينة ، فعن أبى هريرة ﷺ قال : "ما رأيت أحدا أكثر أن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ"(١) وروى الأربعة عن ابن عمر قال : "إن كنا لنعد لرسول الله فى المجلس الواحد مائة مرة يقول : "رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الغفور" فهذا يدل على أنه لا وقت للاستغفار فهو مطلوب فى كل وقت وحين. يقول الحسن : "أكثروا من الاستغفار فى بيوتكم وعلى موائدكم وفى طرقكم وفى أسواقكم وفى مجالسكم وأينما كنتم فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة" ومع ذلك فهناك أوقات مفضلة للاستغفار، وهى أوقات إجابة كالأسحار وأدبار الصلوات. فقد أثنى الله تعالى على المستغفرين بالأسحار فقال : ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢) وقال : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ (٣) وعن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ : "إن الله عزوجل يمهل حتى يمضى شطر الليل الأول ، ثم يأمر مناديا فيقول: "هل من داع يُسْتَجاب له؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ هل من سائل يُعْطَىَ"(٤) وفى رواية "حتى ينفجر الصبح"(٥) فدواء الذنوب الاستغفار قال قتادة: "إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار". فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ٠

---

(١) رواه النسائى ٠
(٢) سورة الذرايات آية ١٨ ٠
(٣) سورة آل عمران آية ١٧ ٠
(٤) رواه النسائى ٠
(٥) رواية لمسلم ٠

٤ - فضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

يقـول الله تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ (١) .

فى هذه الآية الكريمة يخبرنا الله تعالى بما شَـرَّف بـه رسـوله محمدا ﷺ فى حياته وبعد مماته وماله عنده من منزلة لا تدانيها منزلة أحد من البشر ، وما له من السيادة والمقام المحمود فى الملأ الأعلـى، وما أمر به المؤمنين من التأدب مع رسوله المصطفى صلوات ربـى وسلامه عليه، وإذا كانت الصلاة معناها الدعاء فإن صلاة الله على نبيه ليست دعاء، لأنه لا يدعو نفسـه وإنمـا معناهـا مـن الله الرحمـة والرضوان، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ، ومـن الأمـة الـدعاء والتعظيم لأمره، والمقصود من الآية الكريمة أن الله سبحانه قد أخبـر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده فى الملأ الأعلى، بأنه يُثنى عليـه عنـد الملائكة المقربين، وأن الملائكة تُصلىِّ عليه ، ثم أمر الله تعالى أهـل العالم السفلى بالصلاة والسلام عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمَيْن العلوى والسفلى جميعا، أما عن كيفية الصلاة والسلام على رسول الله، فقد وردت فيها طرق كثيرة من السنة النبوية المطهرة، وقد ذكرت فيها صور مختلفة عن كيفية الصلاة عليه من المؤمنين ، واختلافهـا يـدل على أن الغرض ليس تحديد كيفية خاصة، وإنما هى ألوان من التعظيم والثناء عليه ﷺ .

فالإمام البخارى روى عند تفسير هذه الآية عن كعب بن عجْـرة قال: قيل يا رسول الله .. أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصـلاة؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت علـى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد" ، ومعنى قولهم : أما السـلام

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

فقد عرفناه أنه الذى ورد فى التشهد وهو : "السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته" وهو الوارد فى التشهد فى الصلاة، أما فى غير الصلاة فنقول: السلام عليك يا رسول الله . كما روى مسلم والترمذى والنسائى صيغة أخرى للصلاة على رسول الله ، فقد رَوَوْا عن أبىمسعود الأنصارى أنه قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن فى مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلى عليك يارسول الله، فكيف نصلى عليك؟ قال: فسكت رسول الله حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ : "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم". وجاء فى بعض الروايات : قولوا : "اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آل محمد" والمراد هو تعظيم النبى ﷺ واختلاف الروايات يدل على أن أى عبارة تكون واردة من طريق صحيح عن النبى ﷺ جاز للمرء أن يأخذ بها ، وهنا نوضح أننا لا نقول أصلى أو نصلى على رسول الله، وإنما أحلنا الصلاة والسلام عليه ﷺ إلى الله تعالى لأننا لم نبلغ قدر الواجب من الصلاة والسلام عليه ونقول : اللهم صل على محمد لأنه أعلم بما يليق به، فنحن عاجزون عن توفيته حقه وعاجزون عن معرفة الثناء الذى يليق بقدره، ولذلك أوكلنا الأمر إليك يا ربنا، ومعنى: اللهم صل على محمد: عظّمه فى الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته، وتضعيف أجره ومثوبته وإعطائه المقام المحمود.

أما عن حكم الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فإن الله تعالى أمر المؤمنين فى الآية السابقة بالصلاة على نبيه، وهذا الأمر للوجوب، فتكون الصلاة على النبى واجبة، ويكاد العلماء يجمعون على وجوب الصلاة والتسليم عليه مرة فى العمر، بل لقد حكى الإمام القرطبى الإجماع على ذلك، عملا بما يُفْهَم من قوله سبحانه : ﴿صلوا﴾ من الأمر، والأمر يستلزم الوجوب ، وتكون الصلاة والسلام مثل التلفظ بكلمة التوحيد ، حيث لا يصح إسلام إنسان إلا إذا نطق بها، بعد ذلك اختلف العلماء ، هل تجب الصلاة والسلام على الرسول فى كل

مجلس، وكلما ذُكِر اسمُه الشريف؟ أو هى مندوبة، وذلك بعد اتفاقهم على أنها واجبة فى العمر مرة واحدة، فقال بعضهم : إنها واجبة كلما ذُكِر اسم النبى ﷺ . وقال بعضهم: تجب فى المجلس مرة واحدة ولو تكرر ذكره عليه الصلاة والسلام فى ذلك المجلس مرات[١] وقال آخرون: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد أو مجلس، ولا يكفى أن تكون فى العمر مرة واحدة، والراجح ما قاله جمهور العلماء وهو أن الصلاة على النبى قربة وعبادة كالذكر والتسبيح والتحميد وأنها واجبة فى العمر مرة واحدة ومندوبة ومسنونة فى كل وقت وحين، وأنه ينبغى الإكثار منها، لما صح عنه ﷺ أنه قال: "من صلى علىَّ واحدة صلى الله عليه عشرا"[٢] وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة الشهيرة فى فضل الصلاة على النبى ﷺ، وكيف لا نصلى ونسلم عليه وقد أخذ الله العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا به ويصدقوا بنبوته فقال جل جلاله :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[٣] .

وكيف لا نصلى ونسلم عليه وهو سيد الأولين والآخرين وجعل الله له الشفاعة العظمى لأمته يوم القيامة ، فعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ : "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدى لواء الحمد ولا فخر، وما من نبى يومئذ – آدم فمن سواه – إلا تحت لوائى، وأنا أول شافع وأول مشفع"[٤].

---

(١) تفسير القرطبى ٨/ ٥٥٠١، ٥٥٠٢ ط دار الغد العربى .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ١/ ٣٠٦ ، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبى ﷺ عن أبىهريرة .

(٣) سورة آل عمران آية ٨١ .

(٤) رواه الترمذى وصححه الألبانى .

وكيف لا نصلى ونسلم على رسول الله وهو الذى يحـرِّك حَلَق الجنة ولا يدخلها أحد من الخلق قبله . فعن أنس ﷺ أن رسول الله قال: "آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنـت؟ فـأقول: محمد . فيقول: بك أُمِرْتُ أن لا أفتح لأحد قبلك"(١).

وكيف لا نصلى عليه والله تعالى وملائكته يصلون عليـه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾(٢) .

فالصلاة والسلام على رسول الله كنز من أغلى الكنوز وأعظمها. يقول الإمام ابن الجوزى رحمه الله فى كتـاب بسـتان الـواعظين : "واعلموا رحمكم الله أن فى الصلاة علـى سـيدنا محمـد ﷺ عشـر كرامات: إحداهن: صلاة الملك الجبار، والثانية: شفاعة النبى المختار، والثالثة: الاقتداء بالملائكة الأبرار، والرابعة: مخالفة المنافقين والكفار، والخامسة: محو الخطايـا والأوزار، والسادسـة : قضـاء الحـوائج والأوطار، والسابعة: تنوير الظواهر والأسرار، والثامنة: النجـاة مـن عذاب دار البوار، والتاسعة: دخول دار الراحة والقـرار، والعاشـرة: سلام الملك الغفار"(٣).

ولذلك كان للصلاة على رسول الله والسلام عليه الثواب العظيم ؟

فقد وردت آثار وأحاديث كثيرة فى فضل الصلاة والسلام علـى رسول الله ، يقول سهل بن عبدالله : "الصلاة على محمـد ﷺ أفضـل العبادات؛ لأن الله تعالى تولاها هو وملائكته ، ثم أمر بها المـؤمنين، وسائر العبادات ليس كذلك" ، وقال أبوسليمان الدارانى: "مـن أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبى ﷺ ثم يسأل الله حاجتـه، ثـم يختم بالصلاة على النبى ﷺ ، فإن الله تعالى يقبل الصلاتين وهو أكرم

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة الأحزاب آية ٥٦ .
(٣) بستان الواعظين صـ٣٢٢ ط دار المنار .

من أن يَرُدَّ ما بينهما"(١) وروى النسائى عن أبى طلحة الأنصارى ﷺ قال : أصبح رسول الله ﷺ يوما طيب النفس يُرَى فى وجهه البِشْر قالوا: يا رسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يُرَى فى وجهك البِشر قال: "أجل أتانى آت من ربى عزوجل فقال: من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها"(٢).

وروى الإمام أحمد عن أنس رضى الله تعالى عنه قال . قال رسول الله ﷺ : "من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات" .

وعن على ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "البخيل من ذُكِرْتُ عنده فلم يُصَلِّ عَلَيَّ"(٣).

وعن أبى بُرَيْدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "من صلى علىَّ من أمتى صلاة مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات"(٤).

فاللهم جاز عنا محمدا خير الجزاء وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد فى الأولين والآخرين وفى الملأ الأعلى إلى يوم الدين واسقنا ياربنا بيده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا .

---

(١) تفسير القرطبى ٨/ ٥٥٠٣ ، ٥٥٠٤ ط دار الغد العربى .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند٤/ ٢٩، والنسائى فى اليوم والليلة صـ١٦٥، وابن حبان فى صحيحه (الإحسان) ٢/ ١٣٤ .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(٤) أخرجه النسائى والبزار فى مسنده والطبرانى فى الكبير .

٥- الإسلام يدعو إلى المسارعة إلى التوبة وفعل الخيرات

مما هو معروف عن الإنسان أنه بشر يخطئ ويصيب، وقد يقع منه بعض التجاوزات أو يرتكب خطيئة أو ذنبا، إلا أن رحمة الله بالإنسان واسعة، ففتح الله له باب التوبة والمغفرة ليمحو ما قد يكون منه من تقصير أو تفريط ، وذلك لأن الإسلام دين واقعى ، لا يعامل الناس كأنهم ملائكة، وإنما يعترف بفطرتهم وغرائزهم التى خلقهم الله عليها، فإذا كان الإنسان مُطَالَبًا بالالتزام بما أمر الله به ، والبعد عما نهى عنه فإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق، كما أخبر بذلك سيد الخلق صلوات ربى وسلامه عليه، فالشيطان يوسوس للإنسان ويحرص على إغوائه ولذلك كان من المتوقع منه التجاوز فى بعض أموره — إلا من حفظ الله — أو الوقوع فى بعض المعاصى من قول أو فعل.

والرسول ﷺ يقرر هذه الحقيقة ، فقد أخرج الترمذى وابن ماجة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : "كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون" ومن هنا وجدنا رحمة الله تعالى بعباده تحيط بهم ويفتح الله لهم أبواب التوبة والعفو والمغفرة، بل ويدعوهم إلى ذلك ويحضهم عليه ليغفر لهم ما وقعوا فيه من آثام وما ارتكبوه من ذنوب: يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (١)

ويقول سبحانه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٢) ، ويقول

---

(١) سورة النساء آية ١١٠ .
(٢) النساء آية ٦٤ .

سبحانه : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ (١)

قال عبدالرازق: أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس ﷺ قال : بلغنى أن إبليس حين نزلت هذه الآية بكى . ويروى عن ابن مسعود قال: هذه الآية خير لأهل الذنوب من الدنيا وما فيها . وعن أنس ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: يا ابن آدم ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتنى غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتنى بِقراب الأرض ــ أى ملء الأرض ــ خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بِقُرابها مغفرة"(٢) ، وعن أبىهريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: "ينزل الله عزوجل إلى سماء الدنيا ، كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك ، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له، من ذا الذى يسألنى فأعطيه، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له، فلا يزال كذلك حتى يطلع الفجر"(٣) يقول أبوهريرة ﷺ ومعنى : ينزل ربنا أنه على حذف مضاف أى ينزل ملك ربنا، فعفو الله تعالى يشمل كل تائب ورحمته سبقت غضبه فهو القائل : ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (٤)

ويقول:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٥)

ففضل الله على عباده لا حدود له ورحمته بهم أقرب إليهم من حبل الوريد .

فقد روى الترمذى عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِر" أى ما لم تبلغ روحه حلقومه. وقال الإمام

---

(١) سورة طه آية ٨٢ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ٥/ ٥٤٨ ، كتاب الدعوات، باب فى التوبة والاستغفار ، وعنان ــ بفتح العين ــ معناه السحاب ومعنى: قراب الأرض ــ بضم القاف ــ ما يقرب من ملئها .

(٣) رواه مسلم .

(٤) سورة الأعراف ١٥٦ .

(٥) سورة النساء آية ٤٨ .

الحسن : "إن إبليس لما هبط قال : "بعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام الروح فى جسده، فقال الله تعالى : "فبعزتى لا أحجب التوبة عن ابن آدم ما لم تُغَرْغِر نَفْسُه" وعن أبىسعيد الخدرى ﷺ : عن النبى ﷺ قال : "قال إبليس: وعزتك لا أبرح أغوى عبادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم فقال الله : وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى"(١).

وإن كانت المبادرة إلى التوبة والاستغفار من الذنب أفضل، فالله تعالى يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فى كل وقت وفى كل زمان ما لم يلفظ الإنسان أنفاسه الأخيرة. وإذا كانت التوبة واجبة على كل مؤمن مما وقع فيه من تقصير فإن العلماء يرون أن الله يقبلها بشروطها المصححة لها وهى أربعة: الندم بالقلب، وترك المعصية فى الحال، والعزم على ألا يعود لمثلها، وأن يكون ذلك حياء من الله تعالى لا من غيره، وألا تكون متعلقة بحق من حقوق الناس لأن حقوق الناس يجب أن تُرَدّ إليهم . كما أن من فضل الله على الإنسان أنه إذا تاب إلى ربه وأناب ثم رجع ووقع فى إثم أو ذنب آخر فإن الله يقبل توبته مرة أخرى؟ فقد خرّج الحاكم من حديث عقبة بن عامر أن رجلا أتى النبى ﷺ قال يا رسول الله: أحدنا يُذْنب، فقال يُكْتَب عليه، قال: ثم يستغفر الله، قال: يُغفَر له ويُتاب عليه، قال ثم يعود فيذنب، قال: يُكتب عليه، قال: ثم يستغفر عنه ويتوب، قال: يُغفر له ويُتاب عليه ، ولن يمل الله حتى تملوا"٠ فاللهم تب علينا وعلى العصاة المذنبين واجعلنا فى طاعتك ورضاك يا رب العالمين ٠

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٢٩، والحاكم فى المستدرك ١/ ٥١١ وقال: صحيح الإسناد ٠

٦- الإسلام يدعو إلى الصدق في القول والعمل

الصدق فى القول والعمل من الفضائل الحميدة والصفات الكريمة التى حث عليها الإسلام وأمر بها أتباعه جميعا . ذلك لأن الصدق صفة جامعة لخصال الخير، فهو دليل المروءة، ومظهر الشجاعة وعنوان الخلق الكريم، وهو صفة النبيين جميعا، فقد مدحهم الله تعالى بهذه الصفة فقال : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (١) وقال : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (٢) ، وقال فى إدريس : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (٣) ولذلك دعانا ديننا الحنيف أن نلتزم بالصدق فى القول والعمل يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٤) وعن عبدالله بن مسعود عن النبى ﷺ قال : "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق، حتى يُكتب عند الله صِدِّيقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وما يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يُكتب عند الله كذّابا"(٥)

---

(١) سورة مريم آية ٤١ .
(٢) سورة مريم آية ٥٤ .
(٣) سورة مريم آية ٥٦ .
(٤) سورة الأحزاب آية ٧٠ ، ٧١ .
(٥) رواه البخارى ومسلم وأبوداود والترمذى .

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١) ففى هذه الآية دلالة واضحة على فضيلة الصدق وكمال درجته، ومن خصائص الصدق تلك القصة ، فقد رُوِىَ أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: إنى أريد أن أومن بك، إلا أنى أحب الخمر، والزنى، والكذب، والسرقة، والناس يقولون: إنك تُحَرِّم هذه الأشياء كلها، ولا طاقة لى بتركها كلها، فإن قنعت منى بترك واحدة منها آمنت بك ، فقبل رسول الله منه ذلك واشترط عليه الصدق وترك الكذب، ثم أسلم الأعرابى، فلما خرج من عند رسول الله ﷺ ، عِرضوا عليه الخمر فقال : إن شربت الخمر وسالنى رسول الله عن شُرْبها وكذبت فقد نقضت العهد، وإن صدقت أقام علىَّ الحد، فتركها، ثم عُرِض عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه، وكذا فى السرقة تفكر فى عقوبتها فتركها، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله : ما أحسن ما فعلت؛ لما منعتنى عن الكذب انسدت أبواب المعاصى كلها علَىَّ، وتبت عن الجميع". فالصدق فضيلة الفضائل ، وأس المكارم كلها، يقوم عليه نظام المجتمع، ولذلك يؤكد الرسول على أنه يهدى إلى البر، ويرشد إلى التوسع فى الخير، فالصادق موفق للخيرات، مقيم لأعمال البر، والبر طريق إلى الجنة، بل مفتاحها الذى لا تُفْتَح بغيره ، فعن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما : أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ما عمل الجنة قال: "الصدق إذا صدق العبد بَرَّ وإذا بر أمن وإذا أمن دخل الجنة، قال: يا رسول الله ما عمل النار قال: "الكذب إذا كذب العبد فجر وإذا فجر كفر وإذا كفر دخل النار"(٢).

ويقول عليه الصلاة والسلام : "اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعــدتم، وأدوا إذا ائتمنــتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم"(٣) .

---

(١) سورة التوبة آية ١١٩ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٥ وفى إسناده عبدالله بن لهيعة وحديثــه حسن فى المتابعات .

(٣) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه عن عبادة بن الصامت .

فالصدق من الخصال الحميدة لما له من أثر كبير في حياة الإنسان وعلاقته بالآخرين ، فبالصدق في القول والعمل، نكسب احترام الآخرين وثقتهم ، ويقوم التعاون المثمر الذي يؤدي إلى إنجاح الأعمال وتحقيق المكاسب، كما أن الصدق سبب للبركة في البيع والشراء، يقول عليه الصلاة والسلام : "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدق البيِّعان وبَيَّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربحا ويمحقا بَركة بيعهما، اليمين الفاجرة ــ أي الكاذبة ــ مُنفقة للسلعة، مُمْحِقة للكسب"[١] ويقول عليه الصلاة والسلام : "التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء" [٢] ولهذا يقول ﷺ : "تحروا الصدق، وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة"[٣] ولذلك فلن تستقيم حياة مجتمع من المجتمعات إلا إذا التزم أفراده بالصدق في تعاملاتهم وعلاقاتهم ببعضهم. فهو أساس الثقة بما يُقال أو يُكتَب، والثقة أمر لازم حتم لتحقيق معنى التضامن والتعاون بين الأفراد في المجتمع، وبين المجتمع وأولي الأمر فيه. وحسبنا لبيان ذلك أن نتصور الأثر الذي ينجم عن كذب الطبيب أو المعلم أو الخطيب أو الكاتب أو أي إنسان يتصدى للقيادة والتوجيه في أي مجتمع، بل حسبنا أن نتصور الأثر الذي ينجم عن فقد الثقة بين أفراد الأسرة إذا لم يصدق الزوج مع زوجته، أو الأب مع أبنائه، أو الإخوة بعضهم مع بعض، فإنه لا يكون مجتمع، ولا تكون أسرة، ولا يقوم أي كيان في المجتمع يمكن أن يُعْتَدَّ به ، فالكذب من أفحش العيوب وقبائح الذنوب ولذلك استبعد الرسول ﷺ أن يكون المؤمن كذابا، فقد سئل ﷺ : أيكون المؤمن بخيلا؟ قال نعم ، فقيل: أفيكون جبانا قال "نعم" فقيل : أفيكون كذابا : قال : لا ، ثم أتبعها ﷺ بقول الله تعالى :

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ٣٢٨، كتاب البيوع، باب البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، ومسلم في صحيحه ٣/ ١١٦٤ ، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان، عن حكيم بن حزام .

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه ٢/ ٧٢٤ ، كتاب التجارات ، باب الحث على المكاسب ، وأخرجه الترمذي في سننه ٣/ ٥٠٦، كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار، وقال : هذا حديث حسن عن أبي سعيد الخدري .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت ص٤٧٢ وإسناده حسن عن منصور بن المعتمر .

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ (١) فالكذب من أعظم الذنوب وفواحش العيوب قال إسماعيل بن واسط: سمعت أبابكر الصديق ﷺ يخطب بعد وفاة الرسول ﷺ فقال : قام فينا رسول الله ﷺ مقامى هذا عام أول ــ ثم بكى ــ وقال : "إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار"(٢) وهو باب من أبواب النفاق، والمنافقون فى الدرك الأسفل من النار كما أخبرنا تعالى فى قوله : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ (٣) فعاقبة الكاذبين فساد الأمر فى الدنيا وعذاب أليم فى الآخرة ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (٤) أما الصادقون فعاقبتهم سعة الخير فى الدنيا، والنعيم المقيم فى جنة عرضها السموات والأرض . يقول تعالى: ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٥) فاللهم اجعلنا من الصادقين فى أقوالهم وأفعالهم، وجنبنا المعاصى ما ظهر منها وما بطن برحمتك يا أرحم الراحمين •

---

(١) معالم التنزيل للبغوى ٥/ ٤٥ ــ عن عبدالله بن جراد ، وأخرجه الخرائطى فى مساوئ الأخلاق، وابن عساكر فى تاريخه، ورواه ابن مالك فى الموطأ مرسلا، عن صفوان بن سليم . والآية رقم ١٠٥ من سورة النحل •

(٢) أخرجه البيهقى فى سننه الكبرى ١٠/ ١٩٦ ، وأحمد فى مسنده ١/ ٥ بلفظ إياكم والكذب فإنه مجانب للإيمان •

(٣) آية ١٤٥ من سورة النساء •

(٤) آية ٦٠ من سورة الزمر •

(٥) آية ١١٩ من سورة المائدة •

٧- الإسلام يدعو إلى اشتغال المرء بأموره وترك ما لا يعنيه من أمور الناس

يحرص الإسلام على أن يربى أبناءه على كل خلق كـريم، وأن يؤدبهم بأدبه الرفيع، حتى يكونوا قدوة لغيرهم فى كمال الأخلاق وكريم الصفات، ومن هذه الأخلاق الكريمة دعوته إلى أن يشـتغل الإنسـان بأموره وما يعود عليه بالنفع وألا يضيع وقته فيما لا يعنيه من أمـور الآخرين الخاصة بهم، وبذلك تقوم علاقـات النـاس علـى المحبـة والاحترام المتبادل ويكون المسلم فى طاعة الله ورضوانه •

وإذا كانت النفس البشرية لها ميولها ونوازعها وأهواؤهـا، وأن الشيطان يوسوس للإنسان بما يوقعه فى الإثم ويبعده عن طريـق الله، فإن المؤمن هو الذى يجاهد شيطانه ونفسه الأمارة بالسوء ويوقفها عند حدود ما أمر به الله، فلا يهتم إلا بما يعود على نفسه وعلى الآخـرين بالخير، ولا يشغل نفسه إلا بما كان له فيه منفعة ولا يلحق بـالآخرين ضررا أو أذى، وأن يتأدب بأدب الإسلام الرفيع الـذى يوجهنـا إليـه رسول البشرية محمد ﷺ فيما يرويه أبوهريرة فيقول: قال رسـول الله ﷺ : "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"[1] فهذا الحديث الشريف يدعو الإنسان المسلم إلى أن يترك ما لا يعنيه وأن يترك فضول الكلام والتطفل على الآخرين ، إذ ينبغى ألا يجرى المسلم وراء العبـث، وألا يضيع وقته فيما لا فائدة منه، وألا يشتغل بشئون غيره ما لم يطلبوا منه ذلك، وينبغى أن يكون اشتغال المسلم بشئونه هو، وأن ينفـق الوقـت الذى يمثل عمر الإنسان فيما يعود عليه منه نفع يرتضيه الشـرع، وأن يهتم بكل فضيلة ومحمدة، وأن ينصرف عن كل رذيلـة ومذمـة، وأن يتأدب بالكمالات، ويباعد بينه وبـين النقـائص ، وينبغـى أن يـؤدى واجباته على خير ما يكون الأداء، وبذلك يعصم نفسه من الوقوع فـى الآثام، فمن القبيح أن يترك المسلم ما يعنيه ويشغل نفسه بما لا يعنيـه،

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٤/ ٤٨٣، حديثه رقـم ٢٣١٧ ، كتـاب الزهـد باب١١ عن أبىهريرة، وأخرجه ابن ماجة فى سننه ٢/ ١٣١٥ ــ حديث رقم ١٣١٥ ، كتاب الفتن ، باب كف اللسان فى الفتنة •

وكفي من يشغل نفسه بما لا يعنيه أنه يضيع وقته فيما لا يُحَصِّل ثوابا ولا أجرا، وأنه يجعل من نفسه محلا للمؤاخذة والعقاب فى الدنيا والآخرة، لأنه يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير، وأنه يتبع نفسه هواها، فمن صور مجاهدة النفس ترك ما لا يعنى، ومجاهدة النفس أول خطوة على الطَرِيقِ إلى الله، ففى ترك ما لا يعنى إبعاد للنفس عن مسالك الانحراف، وتخليص لها من الهوى، واستنقاذ لها من الباطل، حتى تسلك الطريق المستقيم، وتستجيب إلى داعى العقل ، وتنصرف إلى الحق، فإذا نجح المسلم فى قمع نفسه عن شهواتها، وألزمها حدود الحق وحملها على الاستقامة كان مؤمنا قويا كامل الإيمان، إذ لا يتم للمرء إيمان إلا إذا قام بكل ما أمر الله به من عبادات وأخلاق وحسن معاملة للناس.

فمن يشغل نفسه بما لا يعنيه يكون ضعيف الإيمان ويرتكب ما حرم الله؟ لأن المسلم كما قال الرسول ﷺ : "من سلم المسلمون من لسانه ويده"[١]. وعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "ليس المؤمن بطعّان ولا لعّان ولا فاحش ولا بذىء"[٢] فقد طهر الإيمان قلبه ودفعه إلى الخير، وسما به عن الدنايا ، أما من يتناول أعراض الناس وينطق لسانه بالقبائح، ويكذب على الناس، فهو ناقص الإيمان لم تملأ العقيدة قلبه، وإن صلى وصام وحج وزعم أنه مسلم، فما زال فيه حظ للشيطان، إذ يرتكب الإثم ويسىء إلى الآخرين، فيشغل نفسه بعيوبهم وكشف مستورهم، وبذلك يباعد بينه وبين رحمات الله. فقد روى عن الحسن ﷺ ، أنه قال : "من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه"[٣] ويقول مالك بن دينار : "إذا رأيت قساوة فى قلبك ووهنا فى بدنك، وحرمانا فى رزقك، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك" وعن أنس ﷺ قال : لقى رسول الله ﷺ أبا ذر فقال : "يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما خفيفتان على الظهر وأثقل

---

(١) متفق عليه ــ عن أبى موسى .

(٢) أخرجه الترمذى وحسنه الحاكم وصحّحه .

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى/ ١٠٧ ط مكتبة الدعوة بالأزهر.

فى الميزان من غيرهما" قال: بلى يا رسول الله قال: "عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذى نفسى بيده ما عمل الخلائق بمثلهما"(١).

وقال أبو ذر ﷺ : قال لى رسول الله ﷺ : "ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل فى الميزان؟ قلت بلى يا رسول الله، قال: الصمت وحسن الخلق، وترك ما لا يعنيك" ويقول أبوهريرة رضى الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ : "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يُلْقِى لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سَخَطِ الله تعالى لا يُلْقِى لها بالا يهوى بها فى جهنم"(٢) فكل كلام ابن آدم محسوب عليه ، يقول الله تعالى : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٣) ، وعن أم حبيبة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال : "كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا ذكر الله عزوجل، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر"(٤) ولهذا يقول عطاء بن رباح: "إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، أو أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر، أو أن تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لابد منها" ٠

إن الدين الإسلامى يدعو كل مسلم إلى أن يكون قريبا من الله بعيدا عن الشيطان فلا يفعل أو يقول إلا ما يرضى عنه الخالق وألا يضيع وقته فيما لا فائدة منه، لأنه بذلك يضع نفسه فى موضع المؤاخذة واقتراف الآثام ، من فعل ذلك وشغل نفسه بمهمات أموره وعبادة الله وجد طمأنينة فى نفسه وراحة فى قلبه ، لأنه يأتمر بأمر الله ورسوله ومنهج الطريق السوى للإنسان المسلم الحريص على التمسك

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٤/ ٣٦٢ ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى حسن الخلق ، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وقال الهيثمى فى المجمع ٨/٢٢ : رواه أبويعلى والطبرانى فى الأوسط، ورجال أبىيعلى ثقات٠

(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة ٠

(٣) سورة " ق " آية ١٨ ٠

(٤) رواه الترمذى وابن ماجة٠

بكل ما ينفعه فى دينه ودنياه ، ويجعله فى طاعة الله ورضوانه ، كما أنه يكون محل ثقة الناس واحترامهم، يحبونه ويجلونه حيث تجتمع له محاسن الأخلاق من الصلاح والحياء والشجاعة والحلم والعفة والسمو، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده الذين يراعون حق الله وحق العباد فهم فى طاعة الله ورضوانه ، فعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته"(١).

وعن ركب المصرى قال : قال رسول الله ﷺ : "طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل — أى الزيادة — من قوله"(٢) فاللهم وفقنا إلى ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا ، واعصمنا اللهم من الزلل فى القول والعمل ٠

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الصغير ١/ ١٤٠ وقال: إسناده حسن ٠

(٢) رواه الطبرانى ٠

٨ - الإسلام يدعو إلى القناعة والرضا بما قسم الله

يحرص الدين الإسلامي على تربية أبنائه على فضيلة الرضا والقناعة بما قسم الله، والبعد عن الطمع ومحاربة هذه الغريزة في النفس، لأن الأرزاق مقدرة، وما كان للإنسان سوف يأتيه، ولن يؤدى الحرص إلى زيادة الرزق ، أو الطمع إلى أكثر مما قدره الله ، فلقد خلق الله الإنسان وكتب له رزقه وأجله، ومهما فعل فلن يستطيع أن يزيد من رزقه أو يطيل في عمره، والمؤمن الحق من يضع ذلك نصب عينيه ويجعله هاديا وموجها له في أعماله وسراجا منيرا يهتدى به في دروب هذه الحياة ، إذا اقتنع بذلك قرت نفسه وسعدت، وعاش عيشة سعيدة هانئة ، فلا يطمع فيما ليس في مقدوره ولا يحرص على ما لا سبيل له إليه. وبذلك يكون قد طوع نفسه وذلل شهواتها وما جبلت عليه من الطمع والأثرة، فالطمع غريزة بشرية إذا أطلق لها العنان كانت وبالا على صاحبها.

ففي البخاري وغيره : "يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنان : الحرص والأمل"(١) وجاء في حديث آخر : "لو كان لابن آدم واديان لابتغى لهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب"(٢) فالتطلع إلى ما في أيدي الناس والحرص على ما لا طاقة للإنسان عليه، والجري وراء سراب الجشع والطمع يفتح عليه دروبا ويدخله في متاهات لا أمل من ورائها سوى اهتزاز يقينه وضعف إيمانه ، وذلك لأن الطمع أساسه الشك فيما قدره الله للإنسان من رزق، وهو نابع من ضعف اليقين وعدم الثقة بالله ، فهو فساد للدين وضياع للدنيا لأنه إذا تحكم في الإنسان استعبده واستذله فيجري وراء سراب خادع لا أمل من ورائه، ولذلك يقرر الرسول ﷺ أن الغنى غنى النفس فيقول

(١) رواه البخاري ومسلم، وأحمد والنسائي ـ عن أنس بن مالك ـ .
(٢) رواه البخاري ومسلم، وأحمد والترمذي ـ عن أنس بن مالك ـ .

: "ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، وإنما الغنى غنى النفس"(١) ويُرْوَى أنه لما دخل على بن أبىطالب ﷺ جامع البصرة ووجد القُصَّاص يقصون أقامهم من مجالسهم حتى جاء إلى الحسن البصرى، فرأى عليه سَمْتاً ووقارا ، فقال له يا فتى: إنى سائلك عن أمر، فإن أنت أجبتنى عنه أبقيتك وإلا أقمتك كما أقمت أصحابك، فقال الحسن سل عما شئت. قال: ما ملاك الدين؟ قال: الورع قال: فما فساد الدين؟ قال: الطمع، قال له اجلس فمثلك من يتكلم على الناس" ولذلك وجهنا الشرع الحنيف إلى البعد عن الطمع ودعانا إلى الرضا بما قسم الله، ففى حديث أبىأمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "إن روح القدس نفث فى رُوعِى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب"(٢) وقال عليه الصلاة والسلام : "ألا أيها الناس أجملوا فى الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كُتِب له، ولن يذهب عبد عن الدنيا حتى يأتيَه ما كُتب له من الدنيا وهى راغمة"(٣) وقال أبوهريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ :"كُنْ ورعا تكن أعبد الناس، وكن قنعا تكن أشكر الناس، وأحِبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا"(٤).

ويقول عمر بن الخطاب ﷺ : "إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإنه من ييأس فيما فى أيدى الناس استغنى عنهم" فالرضا بما قسم الله خلق إسلامى كريم وهو خلق الأنبياء والصالحين إلا أن بعض الناس قد يفهمون أن الدعوة إلى القناعة والبعد عن الحرص والطمع دعوة إلى التكاسل والتواكل وعدم السعى إلى تحصيل الرزق ٠وهذا فهم خاطئ، فالدين الإسلامى دين عمل وجهاد وبذل وسعى وحرص على النهوض بالإنسان، بل لقد جعل السعى إلى الرزق واجبا من الواجبات الدينية،

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١١/ ٢٧١ ، كتاب الرقائق، باب الغنى غنى النفس ومسلم فى صحيحه ٢/ ٧٢٦ ، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض ٠

(٢) رواه أبونعيم فى الحلية ٠

(٣) نوادر الأصول فى أحاديث الرسول ٢/ ٢٨٨ عن حذيفة ﷺ ٠

(٤) رواه البيهقى فى شعب الإيمان ٠

وطريق الحياة الحرة الشريفة ، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (١)

ويقول المصطفى ﷺ حاثا على العمل والسعى إلى تحصيل الرزق : "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده"(٢)، ويقول عليه الصلاة والسلام : "لأَنْ يأخذ أحكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس"(٣) ولذلك كان من إرشادات الدين الإسلامى أن من الذنوب ذنوبا لا يُكَفِّرُها صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج وإنما يكفرها الهم فى طلب المعيشة ، وكما هو معروف فإن حب المال والجاه والمكانة فطرة وغريزة طبيعية فى الإنسان إلا أن الإنسان مطالب أمام هذه الغرائز أن يحتاط فى وسائل تحصيل ذلك ، فلا يباشر من الوسائل إلا ما يحفظ عليه كرامته وكرامة غيره معه، وقد نص القرآن الكريم على وسائل بعينها يجب تجنبها فى إنماء المال وتحصيله كالغش، والربا وأكل أموال الناس بالباطل، ثم ترك القرآن بعد تحديد هذه الوسائل الأمر لتقدير الإنسان وإلى ضميره اعتقادا منه أنه طالما هو مؤمن بالله فلا يملك إلا ما يوصله إلى خير نفسه أوْ له ولمجتمعه معا، فالحياة فى التقدير الإسلامى هى الفرصة التى يجب أن يغتنمها الإنسان بالعمل لها ولما بعدها، وأن يتزود منها للحياة الآخرة، ولهذا حارب الإسلام المتواكلين والمتكاسلين لأنهم أغفلوا واجبهم فى هذه الحياة وابتعدوا عن منهج الدين القويم، وهم الذين عناهم الرسول ﷺ بقوله : "وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة

---

(١) سورة الملك : آية ١٥ ・

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٤/ ٣٠٣ ، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده . عن المقدام بن معد يكرب ، وابن ماجة فى سننه ٢/ ٧٢٣ ، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب ・

(٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى ـ من حديث أبى هريرة ـ ・

لهم، وقالوا نحن نحسن الظن بالله، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل"[١].

وكما هو معروف فإن الطمع مرض كسائر الأمراض الخبيثة التى تفتك بالمجتمع الإنسانى، فعنه يتولد بين الناس الحقد والبغضاء والحسد والعداوة والجفاء، فالطمع داء مهلك ووباء وبلاء، ولصيانة النفس من هذا المرض يجب الاقتصاد فى المعيشة وحسن الثقة بالله، واعتقاد الإنسان أن ما كان له سوف يأتيه وبذلك يرضى ويقنع . وإذا كان الإنسان ليس له من هذه الدنيا إلا ما أكل فأفنى ولبس فأبلى أو تصدق فأمضى، فلماذا الطمع والتطلع إلى ما فى أيدى الناس مع ما فى الطمع من ضياع الشرف وذهاب المروءة وفقد الكرامة، ولذلك ورد فى الأثر : "القناعة كنز لا يفنى"[٢] فهى رأس مال الصالحين وذخيرة السادة المتقين، من رُزِقَها رُزِق الخيرَ كله، ومن حُرمها حُرِم نعيم الدنيا والآخرة. نسأله سبحانه أن يجعلنا من القانعين الراضين الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون.

(١) جامع الأحاديث للسيوطى ٥/ ٤٤٦ وهو حديث حسن .

(٢) رواه البيهقى فى الشعب بإسناده عن جابر ﷺ ، مرفوعا .

٩ - الإسلام يدعو إلى السماحة والصدق فى البيع والشراء .

مما هو مقرر فى الشريعة الإسلامية بل وفى كل الشرائع السماوية أن الله أحل البيع والشراء؛ لأنه تبادل قائم على المنافع المشتركة، فقد خلق الله الناس فى حالة يحتاج بعضهم إلى بعض، فليس هناك إنسان يملك ما يحتاج إليه فى معاشه وحياته ويكفيه، بل يملك هذا بعض ما يستغنى عنه ويحتاج إلى بعض ما يستغنى عنه الآخرون، فكان تبادل المنافع والسلع بالبيع والشراء وسائر المعاملات، حتى تستقيم الحياة وتستمر فى طريق الخير والإنتاج ، ولذلك وجب أن يقوم هذا التبادل للمنفعة على الحرص على مصلحة الجانبين وعدم الإضرار من أحد الطرفين للآخر، فإذا حدث شيء من التجاوز أو الضرر لأحد الطرفين أو كليهما كان هذا التبادل محظورا منهيا عنه، يقول الله تعالى فى كتابه المبين: ﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (١) ويقول: ﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٢) ويقول سبحانه: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣).

فالإنسان المسلم مطالب بأن يتحرى العدل فى ميزانه بائعا أو مشتريا فالرسول ﷺ يقول : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٢ .
(٢) سورة الإسراء آية ٣٥ .
(٣) سورة المطففين : الآيات من ١ ـ ٦ .

لنفسه"(١) والذى يأخذ أكثر من حقه عند التسلم أو ينقص حق غيره عند التسليم يضر غيره المتعامل معه وهذا ما نهانا عنه ديننا الحنيف، لأنه أكل لأموال الناس بالباطل، وعلى هذا جاءت الآية القرآنيـــة : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ (٢) هذا هو المبدأ العام فى التعامل فى البيع والشراء فلا نقص فى الكيل والميـــزان، ولا تطفيف ، فالله تعالى يقـــول: ﴿ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ ﴾ (٣) .

ليس هذا فحسب ولكن ديننا الحنيف شرع للبيع والشـــراء آدابـــا ودعانا إلى الالتزام بها والحرص عليها فى تعاملاتنا. من هذه الآداب: أدب السماحة فى البيع والشراء . والسماحة هى التساهل واللـــين فـــى التعامل، ولذلك روى الديلمى فى مسند الفردوس . عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ "السماح رباح، والعسر شؤم"(٤) أى المســـاهلة فى الأشياء تربح صاحبها، من فعل ذلك رضى الله عنه ووقاه الشرور ومنحه الخيرات والبركات .

ويروى جابر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:"رحم الله عبدا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا قضى، سمحا إذا اقتضـــى"(٥) أى إذا طلب حقه،فهذا التوجيه النبوى العظيم يوضح أن السماحة من جانب البائع ومن جانب المشترى أدب إسلامى كريم، فينصـــح الرســـول ﷺ المؤمنين بأن يأخذوا أنفسهم ويروضوها على السماحة حتـــى تصـــير عادة وخلقا لدى البائعين والمشترين على حد سواء، من فعل ذلك فـــإن

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ .
(٢) سورة النساء آية ٢٩ .
(٣) الأعراف ٨٥ .
(٤) رواه القضاعى عن ابن عمر، وهو حديث حسن .
(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه ٤/ ٣٠٦، كتـــاب البيـــوع، بـــاب الســـهولة والسماحة فى الشراء والبيع، وابن ماجة فى سننه ٢/ ٧٤٢ ،كتاب التجارات ، باب السماحة فى البيع .

الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يطلب له فى ذلك الحديث رحمة الله أو يبشره برحمة الله ورضاه . إن السماحة التى يطلب الإسلام أن يتأدب بها المسلمون هى بمثابة وقاية من اندفاع المتعاملين وراء الدنفعة المادية المبتغاة فى البيع والشراء، فيتركونها تطغى على العلاقات الأخوية الإنسانية وبذلك ينزلون فى التعامل إلى الخداع والكذب والتحايل، وهذا ينتهى بهم — بلا شك — إلى الإضرار وهو ما سماه القرآن الكريم بأكل أموال الناس بالباطل ، فالسماحة فى البيع والشراء وقاية وعلاج للجشع والحرص والطمع، وتوثيق للعلاقات بين الناس، ووسيلة لإشاعة الراحة والاطمئنان فى نفوس المتعاملين، ولا شيء أقوى فى توطيد العلاقات بين الناس من إشاعة الراحة والاطمئنان النفسى، ولا شيء يوتر هذه العلاقات بين الناس أكثر من القلق والتذمر والجهامة فى التعامل ٠

ومن آداب البيع والشراء أيضا: أن يصدق البائع فى وصف بضاعته وأن يُظهر عيبَها الخفيَّ فالإسلام يحرم الغش والخداع بكل صورة من الصوَر فى كل بيع أو شراء، بل وفى سائر أنواع المعاملات الإنسانية، والمسلم مطالب بالتزام الصدق فى كل شئونه، فالنصيحة فى الدين أغلى من كل كسب دنيوى . روى الحاكم والبيهقى أن رسول الله ﷺ قال : "لا يحل لأحد يبيع بيعا إلا بَيَّنَ ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينه" وروى البخارى عن حكيم بن حزام أنه عليه الصلاة والسلام قال : "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحِقت بركة بيعهما" وكان رسول الله ﷺ حريصا على ترسيخ هذا المبدأ الإسلامى بين الناس وبخاصة التجار والبائعين، يروى مسلم والترمذى عن النبى ﷺ أنه مر برجل يبيع طعاما — أى حبوبا — فسأله كيف تبيع؟ فأخبره، فأدخل يده فى الطعام فإذا به بلل ، فقال ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال أصابته السماء يارسول الله — أى نزل عليه المطر — فقال: "أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ ثم قال: "من غشنا فليس منا" وفى رواية أنه مر بطعام وقد حسنه صاحبه، فوضع يده فيه، فإذا طعام ردئ فقال: "بع هذا على حِدَةٍ، وهذا على حدة، من غشنا فليس منا" كذلك كان السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم يفعلون، يبينون ما فى المبيع من عيب وينصحون ولا يغشون ولا يكذبون ويصدقون . باع ابن سيرين شاة فقال للمشترى: أبرأ لك من عيب فيها: إنها تقلب العلف برجلها ٠

ومر أبوهريرة ﷺ بناحية من نواحى المدينة وهى "الحِرَّة" فإذا بإنسان يحمل لبنا يبيعه فنظر إليه فإذا هو قد خلطه بالماء فقال له أبوهريرة: "كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خلص الماء من اللبن"(١) .

ومن هنا كان التاجر هو صمام الأمان فى كل مجتمع من المجتمعات، وله دوره الفعال فى صنع المجتمع وتقدمه، فإذا كان أمينا فى تعامله حريصا على تقديم السلعة الجيدة وبالسعر المناسب المعقول أدى دورا جليلا فى خدمة مجتمعه والنهوض به وكان عنصرا فعالا من عناصر الترابط بين أفراد المجتمع ولهذا يقول المصطفى ﷺ : "التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة"(٢) ويقول : "إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتُمِنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يُخلِفوا، وإذا اشتروْا لم يذموا، وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يَمْطُلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا"(٣) ويقول عليه الصلاة والسلام : "التاجر الصدوق الأمين يحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء"(٤). ندعوه سبحانه أن يجعلنا ممن يحرصون على الصدق فى تعاملاتهم وأقوالهم وأفعالهم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) رواه البيهقى والأصبهانى موقوفا بإسناد لا بأس به، عن صفوان بن سليم.

(٢) رواه الأصبهانى وغيره ــ عن أنس بن مالك ــ رضى الله عنهما ، وانظر الترغيب والترهيب للمنذرى ٢/ ٢٨ .

(٣) أخرجه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب ١/ ٣٣٥ ، عن معاذ بن جبل ــ ﷺ ــ .

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه ٣/ ٥٠٦ ، كتاب البيوع، باب ما جاء فى التجار، وقال: هذا حديث حسن ــ عن أبىسعيد الخدرى، وأخرجه ابن ماجة فى سننه ٢/ ٧٢٤ كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب .

١٠ـ الإسلام يدعو إلى البعد عن الخصام وإصلاح ذات البين

مما هو مقرر فى الإسلام أن المؤمنين إخوة يتعاونون فيما بينهم على ما فيه الخير لهم ولمجتمعهم، وأن أى خصام أو شقاق ينال من وحدة المسلمين ويؤثر بالسلب على تضامنهم، ولذلك دعا ديننا الإسلامى المسلمين جميعا إلى البعد عن التنازع والخصام والمسارعة إلى إصلاح ذات البين . وجعل التآلف والتعارف أساسا للعلائق بين بنى البشر أجمعين، وذلك لأن الإنسان اجتماعى بفطرته لابد له من العيش الكريم والتعاون الدائم مع الآخرين، ولا يمكن أن تستمر هذه الصلة بين أفراد المجتمع بشكل ودى إلا إذا قامت على الاحترام المتبادل والحفاظ على روابط الأخوة ، وعلاقات المودة والوفاء، والتغاضى عما قد يبدو من الآخرين من هنات . فإن الكمال المطلق لله وحده ، ولا يمكن لبشر أن يخلو من الأخطاء مهما بلغ من صلاح، ولذلك يجب علينا أن نبتعد عن العتاب القاسى واللوم لإخواننا الذين يحدث منهم بعض التجاوز فى معاملاتهم معنا، وأن نلتمس لهم العذر والتأويل الحسن لتصرفاتهم. ورحم الله الشاعر حيث يقول :

إذا كُنْتَ فى كل الأمور معاتبًا ∴ صديقَك لم تلْقَ الذى لا تُعاتبه
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنه ∴ مقارف ذَنْبٍ مرةً ومُجانبه

ولما كان المؤمنون يرتبطون برابطة الأخوة الإسلامية فإنه لا يصح منهم التحاسد والتباغض أو الاعتداء على حقوق الآخرين أو انتقاص ما يفعله البعض أو السخرية منهم، فالإنسان أخ للإنسان ، "لايظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره" إلا أن من طبائع الحياة الاجتماعية بما تنطوى عليه من شد وجذب أن تتباين للنّاس ويختلفوا ويخطئوا فى حق بعضهم ويتولد عن التقائهم فى ميادين الحياة ضيق أو انحراف إن لم يكن تصادم وتباعد. لهذا فقد تيقظ الإسلام لبوادر الجفاء فلاحقها بالعلاج قبل أن تستفحل وتستحيل إلى عداوة ، فشرع من المبادئ ما يرد عن المسلمين عوادى الانقسام والفتنة، وما يمسك قلوبهم على مشاعر الولاء والمودة، فنهى عن التقاطع والتدابر، لأنه لا يرضى أن

تنتهى الصلة بين مسلم ومسلم مهما كانت حدة الخلاف وتباعد وجهات النظر إلى القطيعة أو التنافر، أو أن تكون الأخطاء سبيلا إلى هدم علاقة الأخوة بين الناس أو وسيلة إلى تقطيع أواصر الود والمحبة بينهم . كما دعا إلى إقالة العثرات وقبول المعاذير. فعن أبى هريرة أن الرسول ﷺ قال : "من أقال مسلما عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة"(١) ويقول صلوات ربى وسلامه عليه : "من أتاه أخوه متنصلا ــ أى معتذرا ــ فليقبل ذلك منه محقا أو مبطلا، فإن لم يفعل لم يرد الحوض"(٢) ودعا إلى عدم التمادى فى الخصام وأن نتجاوز ذلك سريعا لنبقى على رابطة الأخوة والمودة، فقد خرج الترمذى من رواية أبى صالح عن أبىهريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث" وفى رواية لأبىداود من حديث أبىهريرة: "لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث ، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة" فقد راعى الإسلام طبيعة النفس البشرية فوقت ثلاثة أيام يجوز فيها الخصام والهجر وهى مدة كافية لتهدأ فيها الحدة ويخف الغضب، ثم يكون لزاما على المسلم بعد هذه المدة أن يصل إخوانه وأن يعود معهم سيرته الأولى كأن القطيعة سحابة غائمة، ما إن تجمعت حتى هبت عليها الريح فبددتها، وصفا الأفق بعد عبوس . والإسلام يؤكد على ضرورة المسارعة إلى صفاء النفوس، فعن أبى أيوب الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان، فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام"(٣) فخير المتخاصمين عند الله من تغلب على مشاعر الجفوة والكراهية وبدأ أخاه

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٣/ ٢٧٤ ، كتاب البيوع، باب فضل الإقالة ، وابن ماجة فى سننه ٢/ ٧٤١ ، كتاب التجارات، باب الإقالة، وابن حبان فى صحيحه (الإحسان) ٧/ ٢٤٣، والحاكم فى المستدرك ٢/ ٤٥، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى.

(٢) رواه الحاكم فى مستدركه ــ عن أبى هريرة ــ وهو حديث حسن .

(٣) متفق عليه .

بالتحية والسلام. أما إذا استطال أمد القطيعة فإن الرسول ﷺ ينبئنا بأنها تصير جريمة قتل ، فقد خرج أبو داود من حديث أبى خراش السلمى عن النبى قال: "من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه" أجل. إن القطيعة فى الدين الإسلامى جريمة قتل لأنها اعتداء على أعظم مقدسات الحياة وهو الحب بين الناس، وتقطيع لأواصر الإخوة بينهم، وهذا إذا كان الخصام من أجل أمر دنيوى أما إذا كان الخصام والتقاطع لأجل الدين فتجوز الزيادة على ثلاثة أيام. نص على ذلك الإمام أحمد واستدلوا على ذلك بقصة كعب بن مالك وصاحبيه لما تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر فهجرهم الرسول وأمر أصحابه بهجرانهم واستمر ذلك لمدة خمسين يوما حتى أنزل الله تعالى توبته عليهم، كما أباح الرسول ﷺ هجران أهل البدع المغلظة، ومن يدعو إلى فسوق أو معصية .

وقد حدد القرآن الكريم طريق حسم النزاع بين المتخاصمين فقال سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِى شَىۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ (١) وأوجب فى الوقت نفسه على جماعة المسلمين أن يعملوا على تحسين العلاقات بين الناس وإزالة أسباب الفرقة والاختلاف إذا ما وجدوا نفورا بين جماعة المسلمين أو شقاقا وخصاما . فهذا هو فرع من فروع الواجب العام للمسلمين على المسلمين وهو الإصلاح بين المؤمنين يقول الله تعالى : ﴿ لَّا خَيۡرَ فِى كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ (٢) ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ

---

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .
(٢) سورة النساء : آية ١١٤ .

أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(١) وجعل على ذلك الأجر والثواب

العظيم، فعن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال: إصلاح ذات البين" قال: "وفساد ذات البين هى الحالقة"(٢) أى المهلكة. وعن أنس بن مالك ﷺ : أن النبى ﷺ قال لأبى أيوب : "ألا أدلك على تجارة؟ " قال: بلى قال: "صل بين الناس إذا تفاسدوا — أى فسد ما بينهم من مودة — وقرب بينهم إذا تباعدوا" هذا لفظ البزار وعند الطبرانى عن أبىأيوب قال : قال لى رسول الله ﷺ : "ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا"(٣).

وقال الإمام الأوزاعى : "ما خطوة أحب إلى الله عزوجل من خطوة فى إصلاح ذات البين ، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار" فاللهم اجعلنا ممن يسعون إلى خير الناس ويعملون على إصلاح ذات البين ابتغاء وجهك يا رب العالمين .

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٠ .
(٢) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٢٨٠ ، كتاب الأدب، باب فى إصلاح ذات البين وابن حبان فى صحيحه (الإحسان) ٧/ ٢٧٥، والترمذى فى سننه ٤/٦٦٣، كتاب صفة القيامة باب رقم (٥٦) وقال: هذا حديث صحيح .
(٣) أخرجه البزار فى مسنده (كشف الأستار) ٢/ ٤٤١ وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٨٠ رواه البزار .

١١- الإسلام يحث على قضاء مصالح الآخرين والتعاون معهم

لقد عنى الإسلام بتوثيق الروابط بين المسلمين، فحث على التعاون ومساعدة الضعفاء والمحتاجين، ولم يقصر المساعدة على الجانب المادى فقط، بل حث عليها سواء كانت مادية أو معنوية .

وأن يكونوا يدا واحدة، وإخوة متحابين يتعاونون فيما بينهم لا فرق بين غنى وفقير، أو قوى وضعيف. وخير ما يوضح لنا ذلك قول الرسول ﷺ : "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"(١) كما أن الإسلام قرر أن المسلم لا يكمل إسلامه إلا إذا أحب لأخيه ما يحب لنفسه فقال ﷺ : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(٢) ومعنى ذلك أن المسلم يجب أن ينظر إلى أخيه المسلم وكأنه شخصه، يعمل علىَ تذليل ما يعترضه من صعاب ، ويساعده على قضاء مصالحه، ويعينه على تحصيل حاجاته .

ولهذا يروى أبوهريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "المؤمن مرآة أخيه، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه"(٣) فتعاون المؤمن مع أخيه المؤمن يشمل الناحيتين المادية والمعنوية. فالمؤمن مرآة أخيه يرى فيه حال نفسه على الحقيقة، لأنه أمين عليه، ومبتغ خيره، وعليه وزر التقصير فى حقه، أى أن من لم ينصح أخاه المسلم فى إصلاح عيوبه فهو مقصر فى حقه، مخالف لما أمر به رسول الله ﷺ ويكون ذلك فى ود وتراحم وتواصل لا فى عنف أو

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٥/ ٢٢٣٨، كتاب الأدب ـ عن النعمان بن بشير ـ ﷺ .
(٢) متفق عليه ـ عن أنس ﷺ .
(٣) أخرجه أبو داود فى سننه ٤/ ٢٨٠ حديث رقم ٤٩١٨ ، كتاب الأدب، باب فى النصيحة، وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد ص٢٣٩ وأورده الألبانى فى صحيح الجامع حديث ٦٥٣٢ وفى السلسلة الصحيحة ٦/ ٩٢٣ وقال حديث حسن .

جفوة أو تطاول. فالرسول ﷺ يقول : "الدين النصيحة قالها ثلاثا: قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال : لله عزوجل، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم"(١) ويقول: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يمس ويصبح ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم"(٢) أما مجال التعاون المادى فإن قضاء المسلم لحاجة أخيه المسلم عون له؛ ودفع الأذى عنه مساعدة له ، والحرص على تمكينه من الوصول إلى ما يستحق فى المجتمع امتثالا لما أمر به رسول الله ﷺ فى قوله : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة(٣) فالرسول ﷺ يدعونا فى هذا الحديث إلى التعاون على الخير بكل ما فى وسعنا، وأن نسعى إلى مؤازرة الضعفاء والمحتاجين ومناصرتهم إن أصابهم مكروه أو ألم بهم ضرر ، وأن نقف بجوارهم فى كل ما يعترض حياتهم، وغير ذلك من المواقف التى تجعل المرء فى عون اخيه ومؤازرته مما حثنا عليه الدين الحنيف . يقول المصطفى ﷺ : "اصنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى غير أهله، فإن أصبت أهله أصبت أهله وإن لم تصب أهله كنت أنت أهله"(٤) فالذين يخففون عن الآخرين آلامهم ومحنهم وما نزل بهم من متاعب أو مصائب هم أشخاص التزموا بما وجههم إليه دينهم الحنيف فتعاونوا فى سبيل الخير، من قضاء حاجات المأزومين، كإنظار المعسر إلى ميسرة، أو بإعفائهم من بعض ديونهم أو منها جميعها ، أو بمساعدتهم على تسديد ديونهم للآخرين ، أو إغاثة الملهوفين وإرشاد

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة. صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ٣٧ .

(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان، والطبرانى وأبونعيم فى الحلية، عن أنس بن مالك ــ رضى الله عنهما ــ .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٥/ ٩٧ ، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ وأخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ١٩٩٦ ، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم .

(٤) رواه الخطيب البغدادى فى تاريخه ــ عن ابن عمر ــ رضى الله عنهما .

الضالين، وكل عمل يكون مظهرا للترابط والتناصح الأخوى كما أنــه واجب الإنسان المسلم نحو ربه، إذ إنه بذلك يشكر الله تعالى على مــا أنعم عليه من نعم وأنه حفظــه ممــا كــان للآخــرين مــن مشــاكل واحتياجات، كما أن لهذا التعاون الجزاء الأوفى من الله تعالى· ففــى حديث رسول الله ﷺ أن "من نَفَّسَ عن مسلمٍ كُرُبة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّر على معســر يســر الله عليه فى الدنيا والآخرة"(١) وفى هذا إشارة واضحة إلى أن الجزاء من جنس العمل، وإن كان الجزاء أوفى وأشمل . فمن خفف عــن أخيــه المسلم شدة وقع فيها كان جزاؤه تخفيف أهوال يوم القيامة الشديد الهول : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾(٢)

فى هذا الموقف العظيم تتنزل رحمات الله على هؤلاء الــذين قــدموا العون والمساعدة لإخوانهم فى الدنيا، وشتان ما بين العمل والجــزاء، لكنها رحمات الله وأفضاله لأوليائه الذين اســتجابوا لــداعى الهــدى، وعملوا بما وجههم إليه الدين الحنيف وأرشدهم إليه سيد المرسلين. وقد تكاثرت النصوص التى جاءت بهذا المعنى وهو أن جزاء الله أوفــى ، والثواب أعم وأشمل. فعن أبىسعيد الخدرى مرفوعا: "أيما مسلم كســا مسلما ثوبا على عُرْىٍ كساه الله من خُضْر الجنة، وأيما مســلم أطعــم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم ســقى مؤمنــا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم"(٣) وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: "الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير، وإن الله تعالى ليباهى بمطعم الطعــام الملائكــة علــيهم السلام" وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها قال رسول الله ﷺ : "الجنة

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٧٤ ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضــل الاجتماع على تلاوة القرآن عن أبىهريرة ·

(٢) سورة عبس : الآيات ٣٤، ٣٥، ٣٦ ·

(٣) أخرجه أبوداود فى سننه ٢/ ١٣٠، كتاب الزكاة ، باب فضل سقى المــاء، وأخرجه الترمذى فى سننه ٤/ ٦٣٣، كتاب صفة القيامة باب رقم ١٨ ·

دار الأسخياء"[١] ولعل قول الرسول ﷺ "والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه" ملاك ذلك كله فلا مطمح لأحد فوق عون الله ورعايته، ولا أمل يرتجى أكثر من رحمات الله التى تحيط به، فقد عمه الفضل، وشملته رعاية الله، فطوبى للمتعاونين الذين يسعون فى قضاء مصالح الناس. نسأله سبحانه أن يجعلنا من عباده المتقين الذين يحرصون على الالتزام بدينه القويم ، وهدى سيد المرسلين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

.....

(١) رواه ابن عدى فى الكامل، والقضاعى، عن عائشة رضى الله عنها .

١٢ - الإسلام يدعو الإنسان المسلم إلى الحرص على دعاء الله والاستعانة به فى كل الأمور والأحوال

مما لا شك فيه أن الإنسان فى حاجة دائمة إلى الله سبحانه وتعالى ، مهما كان له من مال وجاه وسلطان ، فهو يشعر فى قرارة نفسه أنه فى حاجة إلى من يأخذ بيده ويعينه على أموره، ويسدد خطاه، ويدفع عنه الضر، ويهديه إلى الهدى والرشاد، وبخاصة إذا أصابه سوء، أو أحاط به مكروه، أو نزل به مرض، والمتأمل فى حديث القرآن الكريم عن الطبائع البشرية يجده قد بين لنا فى مواضع كثيرة أن الناس أكثر ما يكونون اتجاها إلى الله وضراعة إليه، عندما تحيط بهم المكاره، وتنزل بهم النوازل، يقول تعالى فى سورة الزمر : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ (١)، ويقول فى سورة يونس: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا ﴾ (٢) فالناس دائما فى حاجة إلى الله وبخاصة حينما يمسهم الضر، أو تنزل بهم نازلة، والدعاء سلاح المؤمن فى هذه الحياة، به تفتح أبواب السماء، ويرفع البلاء، ويكشف الضر، وهو فضل عظيم من الله تعالى على عباده، فكم فرج الله به كربا ، وكم نجَّى به مستغيثا، وكم كان سبيلا إلى شفاء الصدور، وتحصيل الخيرات، وهو دليل على إخلاص العبادة لله ، وإفراده بالوحدانية ، يقول سيدنا إبراهيم لقومه الضالين : ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى

---

(١) آية ٨ .
(٢) آية ١٢ .

وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾

وَالَّذِى أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا

وَأَلْحِقْنِى بِالصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾

وَاجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ الضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾

وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ (١) فالدعاء سبيل أنبياء الله المصطفين وعباد الله الصالحين، لأنه دليل الإيمان، وأعلى مظاهر الخضوع لله تعالى ، ولذلك نجد الدين الإسلامى يحث عليه ويدعو عباد الله المؤمنين بأن يكون دعاء الله سلاحهم فى هذه الحياة . يقول الله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٢) ويقول فى سورة الأعراف : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ (٣)، ويقول فى سورة غافر : ﴿ هُوَ الْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴾ (٤) ففى هذه الآيات وغيرها كثير، دعوة كريمة من الله تعالى لعباده أن يكثروا من الدعاء ، وأن يخلصوا فيه، كما وجهنا رسول الله ﷺ إلى أن الإكثار من الدعاء طريق إلى رحمة الله تعالى ورضوانه، فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "من فُتِح له منكم باب الدعاء، فتحت له أبواب الرحمة، وما سُئِل الله تعالى شيئا أحب إليه من أن يُسأل العافية، وإن الدعاء

(١) الشعراء ٧٥ ــ ٨٧ .
(٢) آية ١٨٦ .
(٣) آية ١٨٠ .
(٤) آية ٦٥ .

ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، ولا يرد القضاء إلا الدعاء، فعليكم بالدعاء"(١) بل إن الرسول ﷺ يدعونا إلى أن نسأل الله تعالى ونستعين به فى كل أمورنا ، صغيرها وكبيرها، عظيمها وحقيرها، فعن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال النبى ﷺ : "ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع"(٢) وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : "الدعاء مخ العبادة"(٣) وروى أبوهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: "ليس شىء أكرم على الله عزوجل من الدعاء"(٤).

وإذا كان الله تعالى قد أمرنا بالدعاء فإنه سبحانه وتعالى بفضله وكرمه قد وعد بالإجابة: فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٥) فالدعاء فضل من الله تعالى ورحمة منه على عباده، ندبهم إليه وتكفل لهم بالإجابة ، فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "ما على وجه الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياها، أو صرف عنه من السوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم" فقال رجل من القوم : فإذاً نكثر؟(أى من الدعاء) فقال عليه الصلاة

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٥/ ٥٥٢، كتاب الدعوات، باب رقم (١٠٢) وقال: هذا حديث غريب وأخرجه الحاكم فى المستدرك ١/ ٤٩٨ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه •

(٢) رواه الترمذى، وابن حبان فى صحيحه •

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ٥/ ٤٥٦، كتاب الدعاء، باب ما جاء فى فضل الدعاء. وقال : هذا حديث غريب •

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه ٥/ ٤٥٥ ، كتاب الدعوات، باب ما جاء فى فضل الدعاء وقال: هذا حديث حسن غريب ، وأخرجه ابن ماجة فى سننه ١٢٥٨/٢ ، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء •

وأخرجه ابن حبان فى سننه ٢/ ١١٥، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٤٩٠/١، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى•

(٥) سورة غافر : آية ٦٠ •

والسلام : "الله أكثر"(١) أى أكثر إحسانا مما تسألون، وفى رواية أخرى عن أبىسعيد وزاد فيه : "أو يدخر له من الأجر مثلها"(٢) ومن فوائد الدعاء أنه ينقل الداعى من صخب الحياة إلى رحاب المناجاة وصفائها، ويبعده ــ ولو لفترة محدودة ــ عن شهوات الدنيا ومتاعها الزائل، ليصل قلبه بالله ، ويجعله يشعر باللذة الروحية، والطمأنينة القلبية، والسعادة النفسية، ويغسل النفس من أدرانها ويعيدها إلى نقائها وصفائها. يقول الإمام الغزالى : "ثم إن فى الدعاء من الفائدة أنه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات" .

أما عن آدابه فهى كثيرة منها أن يبدأ الإنسان الدعا بحمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ، وأن يختمه بالحمد والصلاة على رسول الله ﷺ كذلك ، فعن أحمد بن حنبل، عن عبدالله بن يزيد، عن حيوة، أخبرنى أبوهانئ حميد بن هانئ أن أبا على عمرو بن مالك حدثه أنه سمع فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ يقول: سمع رسول الله ﷺ : رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبى ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ "عجل هذا" ثم دعاه فقال له أو لغيره "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه عزوجل والثناء عليه ثم يصلى على النبى ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء"(٣).

وأن يستقبل القبلة عند الدعاء، وأن يغتنم الداعى الأوقات الفاضلة والأحوال الشريفة كيوم عرفة، وشهر رمضان، ووقت السحر من الليل، ويوم الجمعة لأن فيه ساعة يستجاب فيها الدعاء، وعند السجود بين يدى الله ، فالرسول ﷺ يقول: "أقرب ما يكون العبد من ربه

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٥/ ٥٦٦، كتاب الدعوات، باب رقم (١١٦) وقال: هذا حسن صحيح غريب وأخرجه الحاكم فى المستدرك ١/ ٤٩٧ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى .
قال الجراحى : يعنى الله أكثر إجابة .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ١٨ . والبزار فى مسنده (كشف الأستار) ٤١/٤ .

(٣) سنن أبى داود ٢/ ٧٧ كتاب الصلاة ، باب الدعاء .

عزوجل وهو ساجد، فأكثروا فيه من الدعاء، فَقَمِنٌ أن يُسْتَجاب لكم"[١] أى جدير وحقيق أن يستجاب لكـم ، وبـين الآذان والإقامـة، ودبـر الصلوات المكتوبات، ومن آداب الدعاء أن يستقبل القبلة وهـو يـدعو وأن يرفع الداعى يديه ثم يمسح بهما وجهه بعد الدعاء تأسيا برسـول الله ﷺ . فعن عبدالله بن زيد قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المصـلى ، ليستسقى فدعا واستسقى واستقبل القبلة[٢] وعن أبىموسى الأشعرى أن النبى ﷺ دعا ثم رفع يديه ورأيت بيـاض إبطيـه"[٣]، وعـن سـلمان الفارسى عن النبى ﷺ قال: إن ربكم حيى كريم يستحى من عبـده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا"[٤] وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : "كـان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه فى الدعاء لم يحطهما حتى يمسـح بهمـا وجهه"[٥] فاللهم تقبل منا دعاءنا وصالح أعمالنا وصلى الله على نبينـا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ١/ ٣٥٠، كتاب الصلاة، باب ما يقال فى الركوع والسجود، عن أبى هريرة .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى .

(٤) أخرجه أبوداود فى سننه ٢/ ٧٨، كتاب الصلاة، باب الدعاء، والترمذى فى سننه ٥/ ٥٥٦، كتاب الدعوات، باب رقم (١٠٥)، وقال: هذا حـديث حسـن غريب، وأخرجه ابن ماجة فى سننه ٢/ ١٢٧١ كتاب الدعاء، باب من رفـع اليدين فى الدعاء، وابن حبان فى صحيحه (الإحسان) ٢/ ١٢٠، والحاكم فى المستدرك ١/ ٤٩٧ وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشـيخين، ووافقـه الذهبى.

(٥) أخرجه الترمذى فى سننه ٥/ ١٣٢ كتاب الدعوات، باب ما جاء فى رفـع الأيدى عند الدعاء ، وأخرجه أبوداود فى سننه ٢/ ٧٨ ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء ، وأخرجه ابن ماجة فى سننه ٢/ ١٢٧١، كتاب الدعاء، بـاب رفـع اليدين فى الدعاء ، وابن حبان فى صحيحه "الإحسان" ٢/ ١٢٠، والحاكم فى المستدرك ١/ ٤٩٧، وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشـيخين، ووافقـه الذهبى.

١٣ - الإسلام يدعو إلى البعد عن الظلم والتحلل من المظالم

من المبادئ المقررة فى الإسلام أن المؤمنين إخوة يحافظ كل واحد منهم على أخيه المسلم ويتعاون معه فى سبيل الخير، وهذا ما وجهنا إليه الرسول ﷺ بقوله : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(١) ولهذا كان الواجب على كل مسلم أن يتعامل مع أخيه المسلم بما يحب أن يعامله الناس به وألا يظلم أحدا أو يسيء إليه .

فلقد جعل الله المؤمنين إخوة ليتعاطفوا ويتراحموا. ففى الصحيحين عن النعمان بن بشير أن النبى ﷺ قال : "مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى". وبناء على هذا المبدأ الإسلامى الرفيع كان الواجب على كل مسلم أن يحرص على مصلحة أخيه المسلم كما يحرص على مصالحه، وأن لا يظلمه بالاعتداء على حق من حقوقه أو يسيء إليه فى نفسه أو ماله أو عرضه لأن "كل المسلم على المسلم حرام:دمه وماله وعرضه كما قال رسول الله ﷺ"(٢)، وهذا مما كان يخطب به فى المجامع العظيمة، فأى اعتداء على شيء من ذلك أو انتقاص منه يرفضه الإسلام ويأباه وارتكاب لحرمة ووقوع فى إثم عظيم . فلقد حرم الله الظلم على عباده ونهاهم أن يتظالموا فيما بينهم . فحرام على كل إنسان أن يظلم غيره بأكل ماله أو الاعتداء على عرضه أو على حق من حقوقه . فالظلم ظلمات يوم القيامة. ولذلك نجد القرآن الكريم ينهى عن الظلم والاعتداء على حقوق الآخرين فى مواضع كثيرة ، وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ لتؤكد على البعد عن الظلم ، فعن أبىذر الغفارى رضي الله عنه عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عزوجل أنه قال : "يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ... إلى آخر الحديث القدسى"(٣) فإذا كان الله تعالى ــ وهو الذى لا يُسأل عما يَفعل ــ قد حرم الظلم على نفسه وهو

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى عن أنس رضي الله عنه .

(٢) هذا جزء من حديث رواه مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ١٩٩٤ ، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم

قادر عليه ولا يفعله فضلا منه وجودا وكرما وإحسانا إلى عباده، فما ذلك إلا ليبين الخالق الأعظم لعباده بشاعة الظلم وسوء عاقبته، ففى الصحيحين عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : "إن الظلم ظلمات يوم القيامة" وفيهما: "إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (١) فماذا يرجو الظالم من ظلمه لغيره، وماذا يرتجى لعاقبته؟ وما الذى أعده ليوم يقتص منه ويؤخذ للمظلوم منه بحقه؟ لئن غره إقبال الدنيا وابتسام الدهر له، فليحذر تقلباته فإنها شديدة قاسية، ولئن اغتر بقوة جسمه وامتداد سلطانه فسيذق لطغيانه وظلمه مرارة الصاب والعلقم لأن الله لا يظلم الناس شيئا وكل محاسب على عمله.

فظلم الإنسان لغيره والاعتداء على حق من حقوقه حرام، فقد خطب الرسول ﷺ الناس فى حجة الوداع فقال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا فى بلدكم هذا .. ألا هل بلغت اللهم فاشهد"(٢). وعقاب الظلم شديد، يقول الله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ (٣) فيوم القيامة هو يوم العدالة، يوم يؤخذ للمظلوم من الظالم ويقتص منه ولهذا يحذرنا رسول الله ﷺ من هذا الموقف. فعن أبى هريرة ﷺ قال . قال رسول الله ﷺ : "من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه"(٤). فى هذا اليوم العصيب تنجاب عن العيون الغشاوة،

---

(١) هود : آية ١٠٢ .
(٢) رواه البخارى ومسلم — عن ابن عمر .
(٣) سورة إبراهيم آية ٤٢، ٤٣ .
(٤) رواه البخارى .

ويتفرق عن الظالم الأصحاب والأنصار، ولا يبقى إلا ما قدم من خير أو شر ، ويؤخذ بيد الظالم فينصب على رءوس الناس، وينادى مناد، هذا فلان ابن فلان، من كان له حق فليأت، فيأتون، فيقول الرب: آت هؤلاء حقوقهم، فيقول: يا رب قضيت الدنيا، فمن أين أوتيهم؟ فيقول للملائكة خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل إنسان بقدر طلبته، فإن فنيت حسناته، أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار، ولهذا نجد رسولنا الكريم يلفت أنظار أصحابه إلى ما فى الظلم والاعتداء على الآخرين من إحباط للأعمال الصالحة فيقول لأصحابه : "أتدرون من المفلس"؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: "إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار"(١).

ولذا كان الواجب على كل ذى عقل أن يسارع إلى التحلل من مظلمته فى حياته قبل أن لا يكون دينار ولا درهم . فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : "من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين"(٢) وعن أبى أمامة إياس بن ثعلبة الحارثى قال : "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة" فقال رجل : يا رسول الله. وإن كان شيئا يسيرا؟ فقال : "وإن قضيبا من أراك"(٣) أى عودا مما يستاك به. ففى هذا اليوم : ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴾ (٤) وهو يوم الجزاء : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ (٥) فليحذر الذين

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم .
(٤) غافر آية ١٨ .
(٥) غافر آية ١٧ .

يخالفون عن أمر الله وليحسبوا حساب ذلك اليـــوم العصـــيب. ﴿ وَيَوْمَ
يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾
يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ
جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ (١) فاللهم اجعلنا ممـــن
يحقون الحق ويعدلون بين الناس بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

---

(١) الفرقان آية ٢٧، ٢٨، ٢٩ .

١٤- الإسلام يدعو إلى الحرص على الكسب الحلال

من فضل الله تعالى على الإنسان أنه سخر له كل ما حوله، ويسر له كل ما تقوم عليه حياته، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ووسع له سبل الرزق، إلا أن ذلك لا يعطيه مطلق التصرف ليفعل ما يشاء، ولكنه مطالب بأن لا يأكل إلا الحلال ولا يسعى إلا إلى تحصيل الطيبات، وأن يكتسب رزقه من الطرق المشروعة حتى يكون في رضا الله وطاعته ، ولذلك حرص الإسلام على تربية أبنائه على كل خلق كريم وصفة حميدة شريفة ، ومن هذه الصفات دعوته إلى أن يحصل الإنسان رزقه من مال حلال، فعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "طلب الحلال واجب على كل مسلم"[1] فإذا كان الله قد خلق للإنسان هذه الدنيا لينتفع بها وسخر له ما فيها ولم يمنعه من الانتفاع بطيباتها، فإن الله أمره بأن لا ينتفع إلا بما أحله له ولا يسعى إلا إلى الكسب الحلال، ولذلك كان وقوف الإنسان المسلم عند الحلال تجنبا للحرام دليلا واضحا على حسن الطاعة والالتزام بما أمر الله.

يقول الله تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2] فقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ معناه كما قال الحسن وقتادة : "لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال وطلبك إياه، وانظر لعاقبة دنياك" ويقول ابن العربي : "وأبرع ما فيه عندي قول قتادة : "ولا تنس نصيبك الحلال فهو نصيبك من الدنيا" ويقول الله تعالى:

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس ـ عن أنس .
(٢) القصص آية ٧٧ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١) ويقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(٢)

ولذلك يقول سهل بن عبدالله : "النجاة فى ثلاثة: أكل الحلال، وأداء الفرائض، والاقتداء بالنبى ﷺ (٣)، ويروى أن رجلا مدح آخر فى حضرة النبى ﷺ ، وأيده فى ذلك جماعة من الحاضرين، وقالوا يا رسول الله : إنه كثير الصلاة، كثير الصيام، كثير العبادة. فقال عليه الصلاة والسلام : "لا تنظروا إلى صلاته، ولا إلى صيامه، ولا إلى عبادته، ولكن انظروا إلى ورعه إذا أشفى". فبين لنا رسول الله ﷺ المقياس الصحيح الذى يقاس به إيمان المرء ، وهو التورع عن الحرام، والبعد عنه، إذا أشفى عليه ، أى إذا أشرف عليه وتمكن منه، فإذا تورع عنه واجتنبه خوفا من الله تعالى، وحرص على الحلال وإن قل، فهو المؤمن التقى الورع حقا، وهو الذى أفادته عبادته، ونهته عن المعاصى، أما من كانت عبادته لا ترده عن الطمع عما فى أيدى الناس، ولا تصده عن الجشع والاستغلال ، ولا تنهاه عن أكل الحرام، فهى عبادة زائفة لا ينظر إليها الله، ولا وزن لها عنده، ويؤيد ذلك ويؤكده ما جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "يا أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٤)، وقال:﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

(١) البقرة آية ١٧٢ .
(٢) البقرة ١٦٨ .
(٣) تفسير القرطبى ١/ ٦٩٥ ط دار الغد العربى .
(٤) آية ٥١ من سورة : " المؤمنون" .

تَعۡبُدُونَ ﴾ [١] يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم" ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك" .

فهذا الحديث الشريف يوضح لنا أن الرسل عليهم السلام وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التى هى الحلال، وبالعمل الصالح، وأن الأكل إذا كان حلالا فالعمل صالح مقبول ، وإذا كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولا، وما ذكر فى الحديث من الدعاء وأنه كيف يقبله الله ممن لا يتورع عن الحرام، فهو مثال لاستبعاد قبول الأعمال ممن غذى بالحرام .

فقبول أعمال الإنسان عند الله متوقف على تحرى الكسب الحلال والبعد عن كل ما فيه شبهة حرام ، فقد خرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "تليت عند رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾[٢] فقام سعد بن أبىوقاص فقال : يا رسول الله . ادع الله لى أن يجعلنى مستجاب الدعوة، فقال النبى ﷺ : "يا سعد . أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة. والذى نفس محمد بيده، إن العبد ليقذف باللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل الله منه عملا أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به" .

وجاء فى مسند الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : "من اشترى ثوبا بعشرة دراهم فى ثمنه درهم حرام ، لم يتقبل الله منه صلاته ما كان عليه" ثم أدخل أصبعيه فى أذنيه فقال: صمتا ــ أى أصابها الله بالصمم ــ إن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ . وأخرج الطبرانى من حديث أبىهريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : "إذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز فنادى: لبيك اللهم

(١) آية ١٧٢ من سورة البقرة .
(٢) آية ١٦٨ من سورة البقرة .

لبيك، ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك، زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام ، ونفقتك حرام، وحجك غير مبرور" وعلى ذلك فإن الله تعالى لا يقبل الصدقة من مال حرام . فقد جاء فى صحيح مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : "لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول" وفى الصحيحين عن أبىهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : "من كسب مالا حراما فتصدق به لم يكن له فيه أجر، وكان إصره عليه" أى إثمه عليه، وعن أبىهريرة أيضا أن رسول الله ﷺ قال : "من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله ، جمع ذلك جميعا ثم قذف به فى نار جهنم " وعلى ذلك فإن من جاءه مال من طريق يعلم أنه حرام وأراد أن يتخلص منه فعليه أن يتصدق به، ولا ثواب له فى شىء منه وكان تصدقه به نفعا للناس وتخلصا من الحرام٠ نسأله سبحانه أن يرزقنا الحلال الطيب وأن يباعد بيننا وبين الحرام إنه نعم المولى ونعم النصير٠

١٥- من الأخلاق الإسلامية الكريمة: شكر الله تعالى على نعمه وأفضاله

من المعروف أنه بالشكر تدوم النعم ، وما من شك في أن الإنسان قد حباه الله تعالى بكثير من نعمه التى لا تعد ولا تحصى ، ولعل من أعظم هذه النعم أن الله تعالى خلق الإنسان فى أحسن صورة كما قال سبحانه : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (١) فإذا ما نظر الإنسان فى نفسه وكيف زوده الله تعالى بكثير من الحواس كالسمع والبصر والعقل والتفكير، وبالعديد من الغرائز وغير ذلك مما لا حصر له، لسارع بالحمد والشكر لخالقه والمتفضل عليه بهذه النعم.

يقول تعالى مذكرا ببعض نعمه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ (٢) ، ويقول : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) ويقول : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٤) ويقول:﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (٥) فهذه بعض نعم الله تعالى على الإنسان يقررها القرآن الكريم ويقرره بها، كيما يقف منها موقف الشاكر،﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ

---

(١) سورة التين : آية ٤ .
(٢) سورة الانفطار : الآيات ٦، ٧، ٨ .
(٣) سورة المؤمنون : آية ٧٨ .
(٤) سورة النحل : آية ٧٨ .
(٥) سورة البلد : الآيات ٨، ٩، ١٠ .

﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾(١) فالدين الإسلامى يدعونا إلى شـكر الله تعالى على نعمه وأفضاله له والتوجه إليه سـبحانه بالحمـد والثنـاء الجميل. يقول تعالى: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (٢) ويقـول : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٣) ويقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾(٤) وكان هذا دأب الصالحين فى كل عصر وحين ، فلقد قرأ الفضيل رحمه الله تعالى عنه قول الله تعـالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ ليلة فبكى، فسئل عن بكائه فقال: هل بت ليلة شاكرا لله أن جعـل لـك عينين تبصر بهما؟ هل بت ليلة شاكرا لله أن جعل لك لسانا تنطق به؟ وجعل يعدد نعم الله تعالى على الإنسان. ويروى أن يونس بن عبيد قال لرجل شكا إليه ضيق حاله: أيسرك أن لك ببصرك هذا الذى تبصر به مائة ألف درهم؟ فقال الرجل: لا . فقال له يونس: فبيدك مائـة ألـف درهم. ثم قال له : أيسرك أن يكون لك برجليك مائة ألف درهم؟ قال: لا. وأخذ يذكره بنعم الله تعالى عليه حتى قال له: أرى عنـدك مئـين ألوفا وأنت تشكو الحاجة؟! وعن وهب بن منبه قـال : "مكتـوب فـى حكمة آل داود: "العافية الملك الخفى". ولهذا يروى أبوهريرة ﷺ عـن النبى ﷺ : "إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم، فيقال له: ألم نصح لك جسمك؟ ونروك من الماء البارد؟" (٥) ويقول ابن مسـعود فى قوله تعالى :﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (٦) إن النعيم هـو

---

(١) سورة النمل : آية ٤٠ ٠
(٢) سورة إبراهيم: آية ٧ ٠
(٣) سورة النحل : آية ٧٨ ٠
(٤) سورة البقرة : آية ٢٤٣ ٠
(٥) أخرجه الترمذى وابن حبان ٠
(٦) آية ٨ من سورة التكاثر ٠

الأمن والصحة، وعن ابن عباس: "النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار، يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم"[١]

وهذا هو الذى يشير إليه قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [٢] فواجب الإنسان المسلم أن يلهج بالحمد والشكر لله تعالى على ما تفضل به عليه من النعم وما حباه من خير وأفضال ٠

وعلينا أن نعلم أن شكر الله تعالى وحمده باب واسع وميسور للناس أجمعين . فشكر الله تعالى يكون فى الالتزام بالإيمان به وبطاعته واتباع هديه، فصاحب المال يجعل للمحتاجين منه نصيبا وراء الزكاة، حسبما يستطيعه صاحبه دون أن يلحق عطاءه بمن أو أذى، وصاحب العلم يشكر الله فيتجه بعلمه إلى خير الإنسانية ونفعها والمحافظة على حرمات الناس من أنفس وأموال وأعراض ، وصاحب الوظيفة يشكر الله بتجنب الطغيان والابتزاز والاستغلال. كذلك يكون الشكر بالأعمال الصالحة الميسورة وبفعل الطاعات، فعن أبىهريرة ﷺ ، قال: قال رسول الله ﷺ : "كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة"[٣].

فهذا الحديث الشريف يوضح لنا أن الإنسان المسلم مطالب بأن يحمد الله ويشكره على نعمه، وما خصه به فى جسمه من نعم بالأعمال الصالحة كل يوم من أيام الدنيا، فالسلامى هى المفاصل أو العظام. فقد خرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث بريدة عن النبى ﷺ قال : "فى الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلا، فعليه أن يتصدق كل يوم عن كل

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٦٧٣ ط دار التراث العربى ٠

(٢) سورة الإسراء : آية ٣٦ ٠

(٣) رواه البخارى ومسلم والسلامى : المفصل أو العظمة فى جسم الإنسان ٠

مفصل بصدقة، قالوا: ومن يطيق ذلك يا نبى الله؟ قال: النخامة فى المسجد يدفنها، والشىء ينحيه عن الطريق، فإن لم يجد فركعتا الضحى يجزئك" ، وخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى ذر أن النبى ﷺ قال : "ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة، فى كل يوم طلعت فيه الشمس، قيل يا رسول الله ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟ قال: إن أبواب الخير لكثيرة: التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتميط الأذى عن الطريق، وتسمع الأصم، وتهدى الأعمى ، وتدل المستدل على حاجته، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان والمستغيث، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك" بل إنه ربما كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مقدمة الطاعات والشكر لله تعالى، لأن فى ذلك دعوة إلى طاعة الله وكفا عن معاصيه. كذلك فإن تعليم العلم النافع وقراءة القرآن والسعى فى جلب النفع للناس ودفع الأذى عنهم من مظاهر الشكر والطاعة لله تعالى، بل إن مجرد الاعتراف بنعم الله تعالى على الإنسان وحمد الله تعالى عليها بلسانه يكون شكرا لله. فقد خرج أبوداود والنسائى من حديث عبدالله بن غنام عن النبى ﷺ أنه قال : "من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر ذلك اليوم، ومن قالها حين يمسى أدى شكر ليلته " ٠

فاللهم اجعلنا من الحامدين الشاكرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

١٦ - الإسلام يدعو إلى صلة الأرحام وذوى القربى

من الحقائق المقررة أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده، وأنه قليل بنفسه كثير بإخوانه، وأن خير الناس خيرهم لأهله كما قال الرسول ﷺ : "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى"(١) ومن هنا حرص الإسلام على أن يقيم الروابط بين الناس وبخاصة الأهل وذوى القربى على التراحم والمحبة فدعا المسلمين إلى صلة الأرحام وذوى القربى .

فقد ورد فى الكتاب والسنة أن صلة الأرحام واجبة وأن قطيعتها محرمة، وقبل أن نورد بعض النصوص الواردة فى ذلك نوضح أن الأرحام مفردها: رحم وهو اسم لكافة الأقارب من غير فرق بين المحرم وغيره، فالرحم يطلق على الأقارب وهم من بينهم وبين غيرهم نسب سواء كانوا يرثونه أم لا، وسواء كانوا ذوى محرم أم لا. وهم بمفهوم آخر: رابطة القرابة من طرفى الشخص: أبيه أو أمه وهم أيضا ما نطلق عليهم ذوى القربى سواء كانوا يرثون الشخص أو لا يرثونه وسواء كانوا محارم أم لا . أما عن صلتهم فهى: المحبة والنصرة والنصيحة والقيام بواجبهم من التواد والتناصح وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم ومعاونتهم بالنفس والمال، صدقة إن كانوا فقراء، وهدية إن كانوا أغنياء، وعمل كل ما نستطيع من إيصال مغنم إليهم، أو دفع مضرة عنهم، وطلاقة الوجه، والدعاء لهم بظهر الغيب وبالجملة يعتبرهم الشخص كنفسه فى جلب الخير واتقاء الشر .

ويفصل آخرون فى هذه الصلة فيقولون: إذا كان الإنسان عند قرابته ولم يكن غائبا عنهم فالواجب عليه أن يصلهم بالزيارة والإعانة فى أعمالهم إن احتاجوا، وإن كان غائبا عنهم يصلهم بالكتابة إليهم، فإن قدر على المسير إليهم كان المسير أفضل، ومعنى هذا أن يكون الإنسان على صلة تامة بأقاربه، يقدم إليهم العون والمساعدة ويطمئن

---

(١) أخرجه ابن ماجة فى سننه ــ النكاح ــ حسن معاشرة النساء ٦٣٦/١ عن ابن عباس .

عليهم، والأولى بذلك الأقرب فالأقرب حسب جهده واستطاعته فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها .

ولقد وردت آيات قرآنية عديدة وأحاديث نبوية كثيرة تحث على صلة الأرحام وذوى القربى، وتعد ذلك من الواجبات التى يحرص عليها الإسلام . من ذلك قوله تعالى فى أول سورة النساء : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ (١) أى اتقوا الله أن تعصوه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ولكن صلوها . ويقول تعالى فى سورة النحل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ (٢) أى بإعطاء ذوى القربى حقوقهم من الصلة والقيام بواجبهم، ويقول تعالى فى سورة الإسراء : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ (٣) أى اعطه حقه من الصلة والبر .

فهذه الآيات الكريمة وغيرها توضح أن صلة الأرحام واجب أمر به الشرع الحنيف، أما عن الأحاديث النبوية الشريفة فمنها ما يرويه البخارى عن أبىهريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : "خلق الله تعالى الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوى الرحمن عزوجل ـ أى لاذت به وفزعت إليه ـ فقال مه . فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة، فقال تعالى : "ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك" قال أبوهريرة

(١) النساء : آية ١ .
(٢) النحل : آية ٩٠ .
(٣) الإسراء : آية ٢٦ .

ﷺ : "اقرءوا إن شئتم : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) فهذا الحديث يدل علـى أن الله تعالى أنزل الرحم منزلة من استجار به فأجاره وأدخله فـي حمايتـه، ومن كان فى حماية الله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وفى صحيح مسلم والبخارى عن جبير بن مطعم عن النبى ﷺ أنه قال: "لا يـدخل الجنة قاطع" أى قاطع رحم ، وفى الحديث القدسى: قال الله عزوجل : "أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى، فمـن وصـلها وصلته، ومن قطعها قطعته أو قال: بتته"(٢).

إن صلة الأرحام مع أنها واجبة لها جزاء عظيم عند الله تعـالى وقد وردت بذلك الأحاديث الشريفة والآثار الصحيحة. فعن أبىهريـرة ﷺ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "من سره أن يبسط له فـي رزقه، وأن ينسأ له فى أثره، فليصل رحمـه" رواه البخـارى ومسـلم ورواه الترمذى بلفظ : "إن صلة الرحم محبة فى الأهـل مثـراة فـي المال، منسأة فى الأثر" ومعنى: يبسط له فى الرزق: أى يوسع له فـي رزقه، ومعنى: ينسأ له فى أثره : أى يؤخر له فى أجله، وليس معنـاه الزيادة فى العمر، لأن الأجل محدود، وإنما معناه أن الله يبارك له فـي عمره فيهبه الصحة والعزيمة ويوفقه إلى الأعمال الصـالحة فتكـون حياته حافلة بجلائل الأعمال فكأنه بهذه النعم قد زاد الله له فى أجلـه. كما أن صلة الرحم تعجل بالمثوبة فى الدنيا، وقطيعتها تعجل بالعقوبـة أيضا، فقد روى أن رسول الله ﷺ قال: "ما من حسنة أعجل ثوابا مـن

---

(١) سورة محمد آية ٢٢ .

(٢) أخرجه أبوداود فى سننه ٢/ ١٣٣ ، كتاب الزكاة، باب فى صـلة الـرحم، والترمذى فى سننه ٤/ ٣١٥ كتاب البر والصلة ، باب صلة الرحمن وتحـرم قطيعتها. عن عبدالرحمن بن عوف ﷺ .

صلة الرحم، وما من ذنب أجدر أن يُعَجِّل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم"(١).

وقد ذكر بعض العلماء أهم فوائد صلة الرحم فقال: فى صلة الأرحام عشر خصال محمودة: أولها: أن فيها رضا الله تعالى لأنه أمر بصلة الأرحام، والثانى: إدخال السرور عليهم فعن ابن عباس رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال : إن أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم"(٢)، والثالث : أن فيها فرح الملائكة لأنهم يفرحون بصلة الأرحام، والرابع : أن فيها حسن الثناء من المسلمين عليه، والخامس: أن فيها إدخال الغم على إبليس عليه اللعنة، والسادس: زيادة فى العمر، أى أن الله يبارك فيه فيعمل الصالحات فكأن الله أطال عمره، والسابع: بركة فى الرزق، والثامن: سرور الأموات لأن الآباء والأجداد يسرون بصلة الرحم ، والتاسع: زيادة فى المودة لأنه إذا وقع له سبب من السرور أو الحزن يجتمعون إليه ويعينون على ذلك فيكون له زيادة فى المودة، والعاشر: زيادة الأجر بعد موته لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا إحسانه" فاللهم اجعلنا ممن يصلون أرحامهم ويفعلون الخير لذوى قرابتهم إنك على ما تشاء قدير .

---

(١) رواه أحمد ، والبخارى فى الأدب المفرد، وأبوداود والترمذى ـ عن أبى بكرة.

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١١/ ٧١ .

١٧ ـ من الأخلاق الإسلامية الحميدة: التوكل على الله

عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا"(١) .

يقول العلماء : إن هذا الحديث الشريف أصل فى التوكل على الله، وأن التوكل من أعظم الأسباب التى يستجلب بها الرزق . فالله تعالى يقول : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٢) وقد قرأ النبى ﷺ هذه الآية على أبى ذر وقال له : "لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم"(٣) يعنى لو التزموا بتقوى الله والتوكل على الله لاكتفوا بذلك فى مصالح دينهم ودنياهم، ونستطيع أن نتعرف على مفهوم التوكل ومعناه من الحديث النبوى السابق وهو الأخذ بالأسباب مع تفويض الأمر إلى الله تعالى. فالرسول ﷺ يخبرنا أن الطير تغدو خماصا أى تخرج من أوكارها فى أول النهار وهى ضامرة البطن من الجوع، وتذهب إلى فجاج الأرض تبحث عن رزقها وهى معتمدة على الله أن يرزقها بعد أن قامت بما عليها وهو الطيران والبحث، فيرزقها الله تعالى ولا يتخلى عنها ، ويوجهها إلى مكان الحب فتأكل وتملأ

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ١/ ٣٠، ٥٢ والحاكم فى المستدرك كتاب الرقائق ٤/٣١٨ وقال صحيح الإسناد. والترمذى فى كتاب الزهد وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الطلاق : الآيتان ٢، ٣ .

(٣) أخرجه ابن ماجة ٢/ ١٤١١ ، باب الورع والتقوى حديث رقم (٤٢٢٠)، والدارمى ـ فى كتاب الرقائق، باب فى تقوى الله ٢/ ٣٩٢ حديث رقم (٢٧٢٥) .

حويصلاتها لتعود إلى فراخها تطعمهم آخر النهار بطانـــا أى ممتلئـــة البطون ٠

فالحديث الشريف يوضح لنا أن التوكل على الله لابـــد أن يغـــدو المرء ويروح طلبا للرزق كما أمر الله تعالى فى قوله : ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (١) وذلك حتى يكـــون المرء من المتوكلين لا من المتواكلين الذين يتركون العمـــل بـــدعوى الزهد الذى لا يقره عقل ولا دين ، وعليه بعد أن يبذل الجهد أن يثـــق أن الله سيفتح له أبواب الرزق وأنه يهيئ له من أمره ما يسعده ويعـــود عليه بالنفع ، وقد أوضح لنا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعـــالى عنه هذا المعنى وقرره عندما رأى قوما من أهل اليمن يجلســـون فـــى المسجد بلا عمل فقال لهم: من أنتم؟ فقالوا: متوكلون . فقال لهم كـــذبتم : "إنما المتوكل الذى ألقى حبة فى الأرض وتوكل على الله"(٢) فالإنسان مطالب بأن يأخذ بالأسباب ويبذل ما فى وسعه فى طلب الرزق، فـــلا نجاح إلا بالمذاكرة ولا تقدم إلا بالعمل، ولا مـــال إلا بالســـعى إلـــى تحصيله، ثم بعد بذل الجهد عليه أن يعتقد بأن ما كان له سوف يأتيه . ولهذا يقول سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه : "لا يقعد أحـــدكم عـــن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبـــا ولا فضة وأن الله يرزق الناس بعضهم مـــن بعـــض"(٣) وعلـــى هـــذا الأساس أيضا كانت إجابة النبى ﷺ للأعرابى الذى سأله وهو واقـــف على باب المسجد أيعقل ناقته أو يتركها ويتوكل: "اعقلها وتوكل"(٤) أى

(١) سورة الملك : آية ١٥ ٠

(٢) رواه الحاكم عن معاوية بن قرة ، وانظر كتاب جامع العلوم والحكم لابـــن رجب الحنبلى صـــ٤١٨ ط مكتبة الدعوة بالأزهر ٠

(٣) تفسير المنار ٤/ ٢١٣ ٠

(٤) أخرجه الترمذى : كتاب صفة القيامة بـــاب (٦٠) ٤/ ٥٧٦ حـــديث رقـــم ٢٥١٧ عن أنس ، وابن حبان : كتاب الرقائق باب الورع والتوكـــل ٢/ ٥٦ حديث رقم ٧٢٩ عن عمرو بن أمية ٠

لا تتركها بدون عقال وهو ربطها ثم توكل بعد ذلك على الله، فإن لم يعقلها كان ذلك تواكلا لا توكلا. فالتوكل بهذا المفهوم جزء من إيمان العبد بربه وعقيدته، لأنه طاعة لله حيث قام باتخاذ كافة الأسباب المطلوبة لأى عمل من الأعمال التى يريد مزاولتها والدخول فيها، إذ لا يطمع فى ثمرة بدون أن يقدم أسبابها، ولا يرجو نتيجة ما، بدون أن يضع مقدماتها، غير أن موضوع إثمار الأسباب وإنتاج تلك المقدمات مفوض إلى الله تعالى إذ هو القادر دون سواه. ولهذا صدق من قال : "وعلىَّ أن أسعى وليس علىَّ إدراك النجاح" فالتوكل عند المسلم وفى مفهومه: عمل وأمل، مع هدوء قلب وطمأنينة نفس، واعتقاد جازم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وإذا كان بعض الناس قد فهموا أن الإيمان بالقضاء والقدر معناه أن الإنسان مسير لا مخير، وظنوا أن الإنسان كالريشة المعلقة فى الهواء تقلبها الريح كيفما تشاء، فلا اختيار له فى قول أو فعل بل كل ما يباشره هو قضاء وقدر وما هو إلا آلة فى يد القضاء والقدر. ولهذا تواكل هؤلاء الناس وقالوا: "ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن" فإن هذا فهم خاطئ لمعنى القضاء والقدر. وذلك أن الإنسان حر فيما يفعل مريد لما يباشر من أعمال، وما يترك من سلوك واتجاهات، يتأكد لنا ذلك من قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (١) وقوله سبحانه : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (٢) وقوله جل شأنه : ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ

(١) سورة فصلت: آية ٤٦ .
(٢) سورة الزلزلة: آية ٧، ٨ .

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ (١) ولا تكون هذه المسئولية إلا إذا كان الإنسان حرا فى تصرفاته لا يخضع لأى تأثير خارجى عنه عندما يختار الكفر أو يفضل الإيمان والعمل الصالح.

لذا فإن الإيمان بالقضاء والقدر على هذا الفهم الصحيح من أهم الأسباب التى تدفع المؤمن إلى مواصلة العمل، وتحثه على بذل الجهد والاجتهاد ، سواء أكان ذلك فى مجال العبادات أم فى آفاق الحياة الدنيوية، ذلك أن الإنسان لا تخلو حياته من كبوات، فإذا ما كان مؤمنا بالقضاء والقدر دفعه إيمانه على مواصلة السير ومحاولة الاستمرار فى العمل بدل أن يجلس نادبا حظه ملقيا اللوم على هذا أو ذاك ، لأن المطلوب طبقا لهذا المبدأ من الاعتقاد فى القضاء والقدر أن يؤدى واجبه ثم يترك الأمر بعد ذلك لمالك الأمر والتدبير ، فضمان النجاح وتحقيق الغايات لا يملكه إلا الله تعالى، وهذه هى العلاقة بين القضاء والقدر والتوكل على الله، فهما أمران متلازمان . بذل جهد وسعى وكفاح، والثقة فى الله أنه لن يضيع جهدا ولن يرد سائلا، فارتباط الأمرين ارتباط وثيق ذلك أن المؤمن عليه أن يعمل ما عليه ثم يتوكل على الله فيما يريده من أهداف معتقدا أن الله معه يوفقه ويؤيده مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٢) وعلى هذا الأساس كان رسول الله ﷺ فيما يرويه ابن عباس يدعو ربه فيقول: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنى، أنت الحى الذى لا تموت، والإنس والجن يموتون"(٣) فاللهم اجعلنا من عبادك المتقين المتوكلين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) سورة الروم : آية ٤٤ .
(٢) سورة الطلاق : آية ٣ .
(٣) متفق عليه .

١٨ـ الإسلام يدعو إلى صفاء القلب ونقاء الصدر

لقد دعا الإسلام الناس جميعا إلى أن يقيموا حياتهم وعلاقاتهم ببعضهم على التعاون والتراحم والتعاطف، وأن يسعى كل إنسان مسلم إلى خير أخيه المسلم، حتى يعيش الناس إخوة متحابين متعاطفين متعاونين، قلوبهم نقية، وسرائرهم صافية لا تحمل حقدا ولا كراهية لأحد لأنهم يخلصون العمل لله وحده ويحرصون على مرضاته فيما يقولون ويفعلون ٠

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ (١) ويقول المصطفى ﷺ : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(٢) ولن يتحقق هذا التعاون وحب الخير للآخرين إلا إذا تمكن الإيمان من قلب الإنسان وكان هو الموجه لأقواله وأفعاله . فبالإيمان تصفو القلوب وتسلم الصدور من الأحقاد ، وتخلص العمل لله رب العالمين، ولذلك فإن الإسلام يتتبع النفوس كل يوم ليغسلها من أدران الأحقاد، وليجعلها طاهرة حافلة بمشاعر نقية نحو الآخرين . ففي كل يوم نجد آداب الإسلام وتعاليمه السمحة تذكر الإنسان وتدفعه دفعا إلى تنقية قلبه وصفاء روحه، وتبعد عن الأفئدة المؤمنة الأكدار والضغائن، وفي مقدمة ذلك الصلوات المكتوبة التى تطهر النفس والوجدان وتضفي عليهما من الهدوء والسكينة ما يخلصها من أدران الحياة ووساوس

---

(١) سورة المائدة: آية ٢ ٠

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١/ ٥٣، ٥٤ كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ومسلم فى الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير حديث رقم ٤٥ عن أنس ﷺ ٠

الشيطان، فالله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (١) وقد أوضح الإسلام أن الصلوات الخمس إذا لم تقترن بصفاء القلب وفراغه من الغش والخصومات ، لا يحظى المرء بشيء من ثوابها، فقد قال المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام : "ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رءوسهم شبرا: رجل أم قوما وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان"(٢) أى متقاطعان متخاصمان . فإصلاح الباطن أساس لكل إصلاح ظاهرى، ولا بقاء لإصلاح خارجي إلا إذا كانت نتيجة وأثرا للإصلاح الباطنى، والإصلاح الباطنى هو الشجرة الطيبة التى ثبت أصلها وبسق فرعها وطاب ثمرها وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، ولعل قول الرسول صلوات ربى وسلامه عليه : "ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب"(٣) من أقوى العبارات المأثورة فى تقرير هذا المبدأ وهو صلاح الظاهر نتيجة لصلاح الباطن ٠

ومعنى صفاء القلب ونقاء السريرة أن يكون سرك كعلانيتك، وظاهرك كباطنك ، وأن تخشى الله بالغيب وتراقبه فى انفرادك ووحدتك كما تراقبه فى مجالسك وبين معارفك، وهذا ما يجب أن يكون بالنسبة إلى تعاملك مع الله . أما فى جانب العباد فلهم عليك إخلاص المعاملة فلا تفترى على الأبرياء ، ولا تستحل أموال الناس وأعراضهم، ولا تتلمس عيوب الآخرين أو تلصق التهم بهم افتراء وكذبا، أو أن تنال من أحد فى غيبته، وإذا رأيت نعمة ساقها الله إلى غيرك ترض بها وتحمد الله على ذلك، لأنها أصابت أخا لك فكأنها أصابتك، فلقد كان رسول الله ﷺ يقول: "اللهم ما أصبح بى من نعمة أو

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٤٥ ٠

(٢) رواه ابن ماجة ـ عن ابن عباس ٠

(٣) رواه البخارى ومسلم ـ عن أبى عبدالله النعمان بن بشير رضى الله عنهما٠

بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر"[١] وإذا رأيت أذى يلحق أحدا من خلق الله رثيت له ورجوت الله أن يفرج عنه كربه وييسر له أمره ، وإذا استغاث بك احد أغثته، وإن استعان بـك أعنته، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته. فسلامة الصدر تعنى نقاء القلب من الأحقاد والضغائن وخلوه من الشكوك والاتهامات، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[٢]

والجماعة المسلمة هى التى تقوم على عواطف الحب والود والتعـاون والصفاء، لا مكان فيها للفردية الحاقدة الكارهة، بل هى كما صـورها القرآن الكريم فـى قولـه تعـالى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[٣] وقد لاحظ الإسلام أن الحياة لا تخلو من مشـاكل فقد تتعارض مصالح الناس فيحدث النفور بين الناس وتتأزم العلاقـات بينهم ، وقد يتقولون على بعضهم ويلصقون التهم والمعايب ببعضـهم، فلفت الأنظار إلى ذلك وحذر من التمادى فيه ودعا إلى المسارعة فـى علاجه ٠

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٣١٨ ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح. عن عبدالله بن غنام ﷺ والنسائى فى اليوم والليلة صـ١٣٧ ٠
(٢) سورة البينة : آية ٥ ٠
(٣) سورة الحشر : آية ٩ ٠

يقول المصطفى ﷺ : "إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب، ولكنه لم ييأس من التحريش بهم"(١) فهذا الحديث يوجه الأنظار إلى عدو لدود لا يتوقف عن الوقيعة وبذر بذور الكراهية والنفور بين المسلمين، ومن المعروف أن البشر متفاوتون فى أمزجتهم وأفهامهم، وأن التقاءهم فى ميادين الحياة يتولد عنه ضيق وانحراف قد يصل إلى الصدام والتباعد، والعاقل من وضع كل ذلك نصب عينيه فلا يجعل هذه المؤثرات والانفعالات تستحوذ على نفسه أو تبعده عن منهج الحق والعدل، وإلا كان أسيرا للشيطان سائرا فى طريقه، فالخصومة تطيش بألباب أصحابها ، والكراهية تعمى عن الفضائل وتضخم الرذائل، وقد يذهب الحقد بالنفوس إلى التخيل وافتراض الأكاذيب، وإذا تمكن الشر من الأفئدة فتنافر ودها وانفرطت روابطها احتوت القسوة والعناد على النفوس، فيقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض بغير حق ، ومن هنا نجد الإسلام يلاحق هذه الانفعالات بالعلاج، ويشخص لها الدواء، ويدعو الإنسان المسلم إلى سرعة تجاوزها وأن يعود إلى سريرته النقية ، وقلبه المفعم بالحب والخير للآخرين .

يقول المصطفى ﷺ : "لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث"(٢) وفى رواية : "لا يحق لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث ، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة".

كما رتب الإسلام عقوبات مهلكة لبعض الجرائم والإساءات. فقد حرم الغيبة والنميمة لأنهما ذريعتان إلى تكدير الصفو وتغيير القلوب، فعن أبىهريرة أن رسول الله ﷺ قال : "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان ، حديث رقم ٢٨١٢ ، عن جابر ﷺ .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه ١٠/ ٤٠١، ٤٠٣، كتاب الأدب ، باب ما نهى من التحاسد ، ومسلم فى صحيحه، كتاب البر، باب النهى عن التحاسد حديث رقم ٢٥٥٩ .

ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل يا رسول الله أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتـه، وإن لـم يكن فيه ما تقول فقد بهته"[١] أى افتريت عليه. ويقول ﷺ : "لا يـدخل الجنة نمام"[٢] فالمؤمن مطالب بالبعد عن هذه الصـفات الذميمـة وأن يكون قلبه صافيا وسريرته نقية، وله على ذلك الثواب العظيم، يقـول المصطفى عليه الصلاة والسلام : "قد أفلح من أخلص قلبـه للإيمـان، وجعل قلبه سليما، ولسانه صادقا، ونفسه مطمئنة وخليقتـه مسـتقيمة ، وأذنه مستمعة، وعينه ناظرة"[٣] .

وعن عبدالله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خير الناس ذو القلب المحموم واللسان الصدوق ، قيل : صدوق اللسان نعرفه ، فما انقلب المحموم ؟ قال : هو التقى النقى الذى لا إثم فيه ولا بغى ولا حسد ، قيل فمن على أثره ؟ . قال الذى يشنأ الدنيا — أى لا يحرص عليها — ويحب الآخرة ، قيل فمن على أثره ؟ قـال : مؤمن فى خلق حسن "[٤] فاللهم طهر قلوبنا من الشقاق والنفاق وسـوء الأخلاق ، واجعلنا من الأصفياء الأتقياء يارب العالمين.

---

(١) رواه مسلم فى كتاب البر، باب تحريم الغيبة، حديث رقم ٢٥٨٩ .
(٢) رواه البخارى فى الأدب، باب ما يكره من النميمة ١٠/ ٣٩٤، ومسـلم فـى كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم النميمة حديث رقم ١٠٥ عن حذيفة ﷺ .
(٣) رواه أحمد — عن أبى ذر ﷺ — .
(٤) حديث صحيح أخرجه الألبانى فى الصحيحة حديث رقم ٩٤٨ وقـال: رواه ابن ماجة وابن عساكر.

١٩ـ الإسلام يدعو إلى التكافل والتناصر بين المسلمين

من الأسس الأساسية التى قامت عليها دعوة الإسلام، الدعوة إلى التعاون والتآزر والعمل على مساعدة المحتاجين وقضاء مصالحهم، فالتعاون قوام الأمة وملاكها ، وعليه مدار نظامها وحياتها، وهو عماد رقيها وتقدمها. ولهذا قيل: "ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط" فقد اقتضت حكمة الله عزوجل فى خلقه أن يكون احتياج الإنسان إلى أخيه الإنسان أمرا فطريا، فالحياة مليئة بالصعاب، مفعمة بالشدائد، ولولا التعاون لضعفت همة الإنسان ، وفترت عزيمته ، ووهنت قوته، ولذلك كانت مبادئ الإسلام قائمة على التعاون والتآزر بين أفراده حتى يكفل للإنسانية جمعاء ما به عزها وسعادتها لو تمسكت به وعملت بمقتضاه، فعن أبىهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر فى الدنيا يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما فى الدنيا ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العباد ما كان العبد فى عون أخيه"(١) والكربة هى الشدة العظيمة التى توقع صاحبها فى الكرب، وتنفيسها أن يخفف عنه منها، والنصوص كثيرة فى هذا المعنى. فقد جاء فى الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة" نعم لقد ربط الإسلام بين المسلمين بأعظم رابطة وهى الأخوة الدينية وقرر لها آثارها من حقوق وواجبات، فالمسلمون أسرة واحدة كبرى، يفرح المسلم لفرح أخيه، ويحزن لحزنه، يمد إليه يد العون عند الحاجة ، ويرشده إذا غوى، ويعامله بما يجب أن يعامل به، فهم إخوة متصافون رحماء شعارهم: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، "والمؤمن للمؤمن

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٧٤ ، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ٠

كالبنيان يشد بعضه بعضا" ، و"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" وقد طبق مبدأ الأخوة الدينية لأول مرة بمؤاخاة النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار حين قدم المدينة مهاجرا، فكانت مظهرا من مظاهر القوة الذاتية لتعاليم الإسلام، واختلاطها بالنفوس والقلوب . آوى الأنصار إخوانهم المهاجرين وآثروهم على أنفسهم فى كل ما يحتاجون إليه، حتى سجل القرآن الكريم هذا الإيثار الفريد فى تاريخ البشرية فقال جل شانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [1] فالتكافل الاجتماعى لازم من لوازم الأخوة، بل هو أبرز لوازمها وهو شعور الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه، ومحمول على أخيه، يسأل عن نفسه ويسأل عن غيره ٠

والتكافل الاجتماعى والتعاون بين المسلمين له جانبان: جانب عملى أو مادى ، وجانب معنوى أو أدبى، ومن مظاهر التعاون المادى: التعاون على الخير بكل مدلولاته وما يسهم فى إدخال السرور والغبطة إلى نفوس الآخرين، وذلك مثل إنظار المعسر إلى ميسرة أو بإعفائه من دينه، أو من بعضه، أو بمساعدته على تسديد ديونه للآخرين، ومثل تمكينه من الوصول إلى حقوقه لدى الآخرين، ومساعدته إذا نزلت به ضائقة، والوقوف بجانبه إذا كان فى حاجة إلى مساعدة، والحرص على أداء حقوقه له إذا كان له حق لدينا، ومثل تأمين الخائف، وإشباع الجائع ، وإغاثة الملهوف، وإجابة المستغيث، والسعى إلى حل مشاكله وتخفيف آلامه وما نزل به من متاعب أو مصائب ، فالذين يخففون عن الآخرين آلامهم ومحنهم هم أشخاص متعاونون فى سبيل خير الناس، وهم فى قضاء حاجات الناس المأزومين٠

---

(١) سورة الحشر : الآية ٩ ٠

أما عن الجوانب المعنوية أو الأدبية فقد صورها رسـول الله ﷺ لنا فى قوله : "المؤمن مرآة أخيه والمؤمن أخو المـؤمن يكـف عليـه ضيعته ويحوطه من ورائه"(١) فالمؤمن مطالب بالنصح والإرشاد لأخيه المسلم ليصلح من عيوبه لأن الإنسان منا لا يعرف عيوبه بنفسه، وهو فى حاجة إلى من يرشده إليها ليصححها حتى تسير حياته فى طريـق مستقيم. فقد ورد عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال لحذيفـة ﷺ : "هل ترى فيَّ شيئا من علامات النفـاق؟" فقـال : لا والله يـا أميـر المؤمنين. فالمؤمن كما أخبرنا بذلك المصطفى ﷺ "مرآة أخيه" يرى فيه حال نفسه على الحقيقة لأنه أمين عليه مُبْتَغ خيره. كذلك فـإن المسـلم مطالب بتوطيد الروابط الاجتماعية بينه وبَين إخوانه المسلمين وذلـك بالتزاور والسؤال عن إخوانه إذا غـابوا وأن يعـودهم إذا مرضـوا، وإجابة دعوتهم إلى الوليمة إذا وجهوا إليه الدعوة . فعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : "حق المسلم على المسـلم خمـس : رد السـلام ، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس"(٢) ولذلك يقول المصطفى ﷺ : "والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه"(٣) وهذه الجملة تجمل وتلخص التعامل الإنسانى الكريم فى شـتى مناحى الحياة، من المؤازرة والمناصرة والسعى لدى الآخرين، والعمل على إسداء النصح لهم ومعاونتهم فى كل ما يعترض حيـاتهم، وغيـر ذلك من المواقف الإنسانية الكريمة التى تجعل المرء فى عـون أخيـه ومؤازرته.

إن التعاون والبذل والتضحية خلق الأنبياء والصالحين وهو حلية الأتقياء الأصفياء، يخلد الذكر ، ويبقى لسان صدق لأصحابه إن مـاتوا

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٢٨٠ كتـاب الأدب، بـاب النصـيحة عـن أبىهريرة ، وأخرجه البخارى فى الأدب المفرد صـ١٠٧ وأورده الألبـانى فى صحيح الجامع حديث ٦٥٣٢ وفى سلسلة الصحيحة ٦/ ٩٢٣ وقال حديث حسن .

(٢) رواه البخارى ومسلم ، عن أبىهريرة .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٧٤، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن "عن أبى هريرة".

فهم فى القلوب أحياء، وإن عاشوا فهم فى موضع الإجلال والاحترام، فليس هناك أشد تأثيرا فى النفوس من عمل الخير والسعى فى مصلحة الآخرين والإحسان إليهم، إلى جانب ذلك فإنهم يحظـون برضـاء الله وتوفيقه وكان الله فى عونهم دائما يحفظهم ويرعاهم، ولهم فى الآخـرة الثواب العظيم . فعن أبىسعيد الخدرى مرفوعا : "أيما مـؤمن أطعـم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيمـا مـؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم وأيمـا مؤمن كسا مؤمنا من عرى كساه الله يوم القيامة من حلـل الجنـة"(١) وروى مسلم عن أبىمسعود أنه قال:قال رسول الله ﷺ: "حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شىء إلا أنه يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسـر قـال : قـال الله عزوجل : نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنـه"، نسـأله سـبحانه أن يجعلنا ممن يسعون فى مصالح الآخرين ويفرجون كرب المكروبين ٠

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٢/ ١٣٠، كتاب الزكاة، باب فضل سـقى المـاء والترمذى فى سننه ٤/ ٦٣٣ ، كتاب صفة القيامة، باب رقم ١٨ ٠

٢٠ - الإسلام يدعو إلى حماية البيئة والعمل على نظافتها

من المعروف أن العقل السليم فى الجسم السليم . ولن يتحقق ذلك للإنسان إلا إذا عاش فى بيئة نظيفة بعيدة عن القاذورات والتلوث ودينا الإسلامى دين النظافة ، ولذلك حرص على الحث على نظافة البيئة وخلوها من كل ما يضر بالإنسان ، فقد دعانا إلى النظافة فى البدن والملبس والمسكن والحفاظ على البيئة التى نعيش فيها طيبة بعيدة عن التلوث .

فقد حث على نظافة البيوت لتكون مظهرا من مظاهر الإسلام دين النظافة، وعنوانا يتميز به المسلم عن غيره. يروى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : "إن الله تعالى طيب، يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود" ، كما نجده يسن للطريق آدابا عامة من شأنها الحفاظ عليه ميسرا لسير الناس ونظيفا لا يؤذيهم بما يكون فيه من قاذورات أو ما يلقى فيه من فضلات . فالطريق مرفق من المرافق العامة لا يحق لأحد الاعتداء عليه أو استغلاله لمصلحته، أو إلقاء الفضلات فيه مما يضر بالآخرين ويلوث البيئة، فقد نهى الدين الإسلامى عن الجلوس فى الطرقات ، فعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : "إياكم والجلوس فى الطرقات، قالوا يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد، نتحدث فيها، فقال رسول الله ﷺ : إذا أبيتم إلا الجلوس، فأعطوا الطريق حقه، قالوا وما حق الطريق؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر،وإرشاد ابن السبيل ، والإعانة على الحمل، وإغاثة الملهوف، وإعانة المظلوم"[١] فقد نهى رسول الله ﷺ أصحابه عن الجلوس فى الطرقات، فإذا ما دعت ضرورة إلى ذلك قاموا بحق الطريق، فلا يؤذون سائرا بنظراتهم أو بكلامهم ، وأن يحافظوا على نظافته فلا يلقون بفضلات ما يأكلون فى الشارع، ولا يريقون مياها أو يتركون قاذورات تضر بالصحة والبيئة،

---

(١) رواه البخارى .

وأن يميطوا الأذى عن الطريق، فعن حذيفة بن أسيد أن النبى ﷺ قال : "من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم"(١) .

كما يحرص الإسلام على المحافظة على أمن المارة فى الطريق فينهى عن إرسال الماء من الميازيب الخارجة من الحائط فى الطريق لأنها تمس سلامة المارة ، وتلوث الطريق بما ينتج عنها من تراكم الأوحال وصعوبة السير فيها ، كما يمنع الإسلام ربط الدواب على الطريق، لما ينتج عن ذلك من تلويثها بالروث والرائحة الكريهة التى تلوث البيئة وتضر بالصحة العامة للناس، وتلويث ثياب المارة، كما حظر الإسلام على الجزارين ذبح المواشى أمام محلاتهم لأن ذلك يلوث الطريق بالدم ورائحة الروث ، بالإضافة إلى تضييق الطريق والإضرار بالناس، وأوجب على القصابين اتخاذ أماكن معدة للذبح مما هو معروف اليوم بالمجازر، كما دعا المسلمين إلى عدم قضاء حاجتهم أى التبرز أو التبول فى الماء الراكد أو ينابيع الماء، وطريق مرور الناس ومكان استظلالهم، ومواضع اجتماع الناس أو تحت الأشجار المثمرة يقول ﷺ : "اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد، وقارعة الطريق، والظل"(٢) وعن أبىهريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "اتقوا اللاعنين: قالوا وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم"(٣) كذلك فإن الإسلام يعتبر ترك مياه الأمطار والأوحال فى الطريق من غير كسح منكرا، ويوجب على الولاة أن يكلفوا الناس بكسح هذه الأوحال وتنظيف الشوارع منها حتى لا تضر بالمارة وتعوق سيرهم. كما يمنع إلقاء القمامة على جوانب الطرق وتبديد قشور الفواكه عليها لأن ذلك يلوث البيئة ويضر بالصحة العامة، وبهذه التوجيهات السديدة سبقت السنة المطهرة إلى الحث على حماية البيئة ونظافتها كل التنظيمات والقوانين الحديثة ، التى نظمت أمور الاهتمام بالبيئة ودعت إليها، بل إن السنة المطهرة دعت إلى كل ما من شأنه الحفاظ على الصحة وتوفير جو نقى بعيد عن التلوث أو العدوى.

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه أبو داود وابن ماجة، والحاكم بسند صحيح عن معاذ بن جبل .
(٣) أخرجه مسلم وأبوداود .

فنجد الإسلام يدعونا إلى اتخاذ المحاجر الصحية عند ظهور الأمراض المعدية، وذلك بحجز أصحاب هذه الأمراض فى أماكن خاصة للعلاج ومنع الأصحاء من الاتصال بهم سوى ممرضيهم ، يقول النبى ﷺ لأصحاب الإبل : "لا يُورد مُمَرِّض على مُصِح"[(١)] والممرض صاحب الإبل المريضة بالجرب، والمصح: صاحب الإبل الصحيحة فإذا كان هذا فى الحيوان ففى الإنسان من باب أولى، ولقوله ﷺ فى الطاعون : "إذا وقع بأرض أنتم بها فلا تخرجوا منها، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها"[(٢)] ٠

وهذا لا يتنافى مع قوله ﷺ : "لا عدوى ولا طيرة"[(٣)] إذ معناه لاعدوى مؤثرة بنفسها أو بدون إرادة الله ذلك، إذ لا يقع فى ملك الله ما لا يريد، وهذا غير مانع من اتخاذ سبب الوقاية مع الاعتقاد بأن لاواقى إلا الله؛ وأن الذى لا يقيه الله لا يمكن أن يسلم ، كما أقام الإسلام نظام الحسبة وهو نوع من القضاء ونظر المظالم ورعاية المرافق العامة والمحافظة عليها وعلى الطرق والآبار والإشراف على هذه الخدمات والوفاء بمتطلباتها من بيت المال أو من أغنياء المسلمين. وكان الرسول ﷺ أول من تولى وظيفة الحسبة من خلال دعوته إلى الدين الحنيف آمرا الناس بالمعروف وناهيهم عن المنكر، لإقامة مجتمع يتحقق فيه الأمن والسلامة والخير، ويبتعد عن المفاسد والرذائل بكل أنواعها، ويهيئ بيئة نظيفة خالية من التلوث والإضرار بصحة الناس. فكان من أهم وظائف المحتسب التفتيش على الأسواق ونظافتها، والتأكد من سلامة ما يعرض فيها من سلع ونظافتها، والقيام بمراجعة الحوانيت والطرقات وخلوها من كل ما يضر بالصحة العامة ، بل كان المحتسب يقوم بمراقبة البيع والشراء وسلامة الموازين والمكاييل، ونظافة المعروضات من أطعمة وأشربة ، ونظافة بائعيها والأوانى التى يبيعون فيها ٠

إن الإسلام دين النظافة والبيئة النظيفة الخالية من أى تلوث أو إضرار بالناس أجمعين ، إنه تشريع العليم الحكيم الرحيم بعباده، فما أجله من تشريع ٠

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ١٠/ ٢٤٣، كتاب الطب، باب لا عدوى، عن أبىهريرة ورواه مسلم أيضا ٠
(٢) رواه الترمذى وصححه ٠
(٣) أخرجه البخارى ١٠/ ١٥٨ كتاب الطب، باب الجذام وباب، لا عدوى وباب لا صفر. عن أبىهريرة ٠

٢١ـ الإسلام يدعو إلى استغلال فترة الشباب والصحة فيما يعود على المرء بالخير فى دنياه وآخرته

عندما خلق الله الإنسان لم يخلقه ليلهو ويلعب، بل جعل له رسالة واضحة فى هذه الحياة وهى إعمار هذا الكون وعبادته سبحانه وتعالى، ولذلك حرص الإسلام على دعوة الإنسان المسلم إلى انتهاز فرصة الصحة والشباب، التى هى أعظم فترة فى حياته لكى يحقق ذاته وما تصبو إليه نفسه ويتمناه من خير فى حياته وبعد مماته .

ولما كانت رحلة الإنسان فى هذه الدنيا محدودة وقصيرة، مهما طال العمر، وامتد الأجل، فإن المرء مطالب بانتهاز أخصب فترات حياته وأهمها وهى فترة الشباب والصحة، التى هى أخصب فترات حياته وأهمها بل هى الفرصة الذهبية التى لا يعرف الإنسان قيمتها إلا عند الكبر والعجز عن الحركة ، ففيها القوة والحيوية والنشاط والبذل والعطاء، حتى يستفيد من هذه المرحلة فى حياته بما يعود عليه بالنفع فى الحياة الدنيا والسعادة فى الدار الآخرة، فلن ينفع المرء سوى ما ادخره من عمل طيب وزاد كريم، يلقى به ربه ويكون فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله. فعن أبىهريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : "إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله عزوجل ... إلى آخر الحديث"(١).

أما من انغمس فى ملذاته وشهواته وسدر فى غيه وفساده حتى شاب شعره وذهبت قوته، وانطوت صفحة الشباب والفتوة، فقد فرط فى حق نفسه ولن يجنى إلا الحسرة والندامة، ويلقى ربه خاسرا لا ينفعه ندم : ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢/ ٤٣ كتاب الإيمان ومسلم فى صحيحه ١٧٥/٢ .

عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ (١) من أجل ذلك نجد النصيحة الغالية التى ينصحنا بها عبدالله بن عمر رضى الله تعالى عنهما، من الاستفادة من فترة الحياة واستغلال فرصة الصحة والشباب، فيما يرضى الله تعالى ويعود على المرء بالخير والفلاح فيقول : "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"(٢) أى اغتنم الأعمال الصالحة فى الصحة قبل أن يحول بينك وبينها السقم، وفى الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت، ولعل هذه الوصية جاءت متأثرة بما وجه إليه رسول الله ﷺ إلى أن على الإنسان أن يستغل فترة قوته بما يعود عليه بالنفع والفائدة، فإن المرء لن يظل متمتعا بشبابه وقوته إلى أرذل العمر، وإنما هو كالنبات الذى يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما، فيقول عليه الصلاة والسلام : "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"(٣) ويقول عليه الصلاة والسلام : "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"(٤).

وقال غنيم بن قيس : كنا نتواعظ فى أول الإسلام : ابن آدم اعمل فى فراغك قبل شغلك، وفى شبابك لكبرك، وفى صحتك لمرضك، وفى دنياك لآخرتك ، وفى حياتك لموتك" إنها تربية الإسلام الجليلة التى تعنى بالفرد فى سلوكه وأخلاقه ونزعاته وميوله، فتوجهه الوجهة الصالحة التى تكفل له السعادة فى الدنيا ، والراحة والنعيم فى الدار الآخرة ، يقول تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم

(١) الفجر ٢٤ ـ ٢٦ .
(٢) رواه البخارى عن ابن عمر .
(٣) أخرجه الحاكم فى مستدركه ٤/ ٣٠٦ عن عبدالله بن عباس .
(٤) رواه البخارى عن ابن عباس .

مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

لذلك كتب الله لأصحاب الأعمال الصالحة الخلود والبقاء، وجعل لهم فى الدنيا حياة طيبة وذكرى حسنة ، فلهم فى الحياة الدنيا عيشة راضية، ولهم فى الآخرة جنة عالية قطوفها دانية ، يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (٢) وهذا مما يدفع بالإنسان إلى الحرص على انتهاز فترة الشباب والصحة ليتزود بما ينفعه فى دينه ودنياه وآخرته .

يقول عمر بن عبدالعزيز : "إن الدنيا ليست بدار قرار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها منها الظعن"(٣) فرحلة الحياة سرعان ما تنتهى، وحينئذ يحال بين الإنسان وبين العمل، ولا يبقى له سوى الحسرة والأسف، وتمنى الرجوع إلى حال يتمكن فيها من العمل لكن

---

(١) سورة الزمر ٥٤ ــ ٥٨ .
(٢) سورة الكهف ٣٠، ٣١ .
(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى صــ٣٦٠ ط مكتبة الدعوة بالأزهر ومعنى الظعن: الفراق.

الأمانى لا تفيد ولا تنفع . يقول تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١) وما دام الأمر كذلك فلا مجال لتضييع الوقت، والعاقل من اغتنم فترة القوة والشباب والحياة بأسرها قبل أن تمضى فيسعى فى سبيل الخير والعمل الصالح، وما يحقق له السعادة فى الدنيا والآخرة، فكل يوم يعيشه المرء غنيمة، يقول بكر المزنى : "ما من يوم أخرجه الله إلى الدنيا إلا يقول : "يا ابن آدم اغتنمنى ، لعله لا يوم لك بعدى ولا ليلة إلا تنادى: ابن آدم اغتنمنى لعله لا ليلة لك بعدى"(٢) وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ : "ما من يوم يأتى على ابن آدم إلا ينادى فيه: يا ابن آدم أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل غدا عليك شهيد، فاعمل خيرا أشهد لك به غدا، فإنى لو قد مضيت لن ترنى أبدا، ويقول الليل مثل ذلك"(٣).

وفى الترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "ما من ميت يموت إلا ندم، قالوا وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب". ولهذا يروى شداد بن أوس عن رسول الله ﷺ أنه قال : "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى"(٤) فالعاقل من عرف غاية وجوده فى هذه الحياة فجد واجتهد ، وكافح واستغل وقت قوته وفتوته فى الأعمال الصالحة وسما بنفسه عن دركات الشر والرذيلة، وعرف أن الدنيا إنما هى رحلة قصيرة سرعان ما تنتهى ولا يبقى له منها إلا ما قدمت يداه إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فاغتنم أخا الإسلام فرصة الشباب والصحة التى لا تعوض فهى عصب حياتك وفترة العمل الجاد، واجعلها فى طاعة الله ورضوانه لتفوز بخيرى الدنيا والآخرة.

---

(١) المؤمنون ٩٩، ١٠٠ .
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى صـ٣٦٦ ط مكتبة الدعوة بالأزهر
(٣) مسند الفردوس بمأثور الخطب للديلمى ٣/ ٣٨٢ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، وحلية الأولياء ٢/ ٣٠٣ .
(٤) رواه الترمذى والحاكم وابن ماجة .

٢٢ - دعوة الإسلام إلى التيسير عن المعسرين وتفريج كرب المكروبين وبخاصة فى شهر رمضان المبارك

من الأخلاق الإسلامية الكريمة دعوة الدين الحنيف إلى التيسير على المعسرين وتفريج كرب المكروبين فيقول الرسول ﷺ : "والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه"(١) إذ من المسلم به فى هذه الحياة أن حظوظ الناس غير متساوية، فالله تعالى يقول : ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ ﴾ (٢) ومطالب الحياة عديدة، وقد يضطر البعض منا للاستدانة لإنهاء بعض مسئولياته ومتطلبات حياته، وقد لا يستطيع الوفاء بسداد دينه فى موعده لعجزه وعدم وجود ما يقدمه إلى صاحب الدين، فيعيش فى ضيق نفسى، وألم عظيم ولكنه لا يقوى على مصارحة الدائن مما قد يلجئه إلى التسويف والمماطلة، بل قد يؤدى به ذلك إلى الكذب حيث يعد ويخلف وعده، فالدين أعاذنا الله منه، إذا غلب الإنسان ذهب بعزه، وملك عليه فكره وعقله وصوابه ورشده، فلا يذوق طعم الهناءة ولا يحسن التفكير، ولا يهتدى إلى الصواب، ولذلك تروى السيدة عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يدعو فى صلاته : "اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم"، فقال قائل: ما أكثر ما تستعيذ يا رسول الله من المغرم؟ فقال: إن الرجل إذا غرم حدث فكذب، ووعد فأخلف "(٣) والمأثم: الإثم والذنب، والمغرم: الغرم وهو الدين . فالدَّين وقانا الله جميعا ذله ، مثقل للأعناق ، مورث للمهانة فى أكثر أحواله، ولذلك استعاذ منه رسول الله ﷺ ، لأنه من أعظم الأمور إذلالا للنفس وإراقة لماء الحياة وذهابا للمروءة ، والله لا يرضى للإنسان المسلم إلا العزة والكرامة والإباء والبعد عما يستوجب الذلة، ولذلك نجد الدين الإسلامى يحض المسلمين على التعاون فيما بينهم وقضاء حاجة المحتاج، ووقوف المسلم إلى جانب أخيه المسلم فى عسره ومد يد

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه مسلم عن أبى هريرة أوله : " من نفس عن مؤمن كربة ...... إلخ .

(٢) سورة النحل ٧١ .

(٣) رواه البخارى .

المساعدة إليه للتخفيف عنه والتيسير عليه، فيقول الله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) فيأمر الله تعالى بالصبر على المعسر الذى لا يجد وفاء، ثم يحض على الوضع عنه ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل ، أما التيسير على المعسر فإنه يكون بأحد أمرين: إما بإنظاره إلى ميسرة، وذلك أمر واجب كما قال تعالى : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ وتارة بالوضع عنه إن كان غارما، وإلا فبإعطائه ما يزول به إعساره، وكلاهما له فضل عظيم ، فعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر فى الدنيا يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما فى الدنيا ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه"(٢) وعن أبىهريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : "كان رجل يداين الناس، وكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله عزوجل يتجاوز عنا، فلقى الله فتجاوز عنه"(٣) ، وفى الصحيحين عن حذيفة وأبىمسعود الأنصارى أنهما سمعا النبى ﷺ يقول: "مات رجل فقيل له بم غفر الله لك؟ قال: كنت أبايع الناس فأتجاوز عن الموسر وأخفف عن المعسر"، وخرج مسلم من حديث أبىاليسر واسمه كعب بن عمرو ـــ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : "من أنظر معسرا، أو وضع عنه أظله الله فى ظله" وفى المسند عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : "من أراد أن تُستجاب دعوته، أو تُكشف كُربته فليفرِّج عن مُعْسِر" .

(١) سورة البقرة آية ٢٨٠ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٧٤ ، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٤/ ٣٠٩، كتاب البيوع، باب من أنظر معسرا، ومسلم فى صحيحه ٣/ ١١٩٦ ، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، والنسائى فى سننه ٧/ ٣١٨، كتاب البيوع، باب حسن المعاملة والرفق فى المطالبة .

فقد ضمن الله لفاعل ذلك رفع الكرب عنه يوم القيامة، وكرب يوم القيامة شديدة لا تماثل كرب الدنيا، فليس لدرئها يوم لا ينفع مـال ولا بنون إلا معونة يقدمها الإنسان فى الدنيا لذوى الحاجة والمعسرين ٠

ولعل شهر رمضان المبارك الذى يهل على المسـلمين بخيراتـه ونفحاته الإيمانية يدفع بالموسرين ومن أفاء الله عليهم من نعمه وفضله ووسع عليهم أرزاقهم أن ينتهزوا هذا الشهر المبارك الذى تضاعف فيه الحسنات بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى مـا شـاء الله ، كمـا أخبرنا بذلك سيد الخلق محمد ﷺ ، ويسارعوا إلى تخفيف المعاناة عن هؤلاء الذين ضاقت أرزاقهم وأصبحت الدنيا أمامهم كسم الخياط مـن هموم الدين، وينقذوهم مما هم فيه ويحطوا عـنهم بعـض ديـونهم أو يتجاوزوا لهم عما تجود به نفوسهم، أو ينظروهم إلى ميسـرة، فـإنهم بذلك يؤدون شكر النعمة وينالون رضاء الله تعالى ورضوانه، فقد روى الإمام أحمد ومسلم عن أبى قتادة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من نفس عن غريمه أو محا عنه كان فى ظل العرش يـوم القيامـة" ويقول الله تعـالى : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ (١) وليكن لنا جميعا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فقد كان أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود ما يكون فى رمضان، ولننتهز هذا الشهر الكريم ونتنافس فى الخيـرات التـى يضاعف الله ثوابها ، فالرسول ﷺ يقول عن هذا الشهر العظيم : "ينظر الله إلى تنافسكم فيه، ويباهى بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا"، فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله عزوجل"(٢) فما أسعده من خفف عن المأزومين الذين أثقلتهم الديون وأهمتهم المشكلات، وفرج كروبهم ومد إليهم يد المساعدة فى هذا الشهر العظيم، شهر البر والرحمة والمثوبـة والمغفرة٠

---

(١) سورة المزمل آية ٢٠ ٠

(٢) قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ١٤٢ : رواه الطبرانى فى الكبير ــ عن عبادة ابن الصامت ٠

٢٣ـ الإسلام يدعو الإنسان إلى البعد عما يضر صحته والعمل على رياضة بدنه

من الأخلاق الإسلامية الكريمة دعوة الإنسان إلى البعد عما يضر بصحته ويحثه على رياضة بدنه، لما لذلك من أثر فى بناء الشخصية والنهوض بالمجتمع ٠

فالإسلام عقيدة وعمل، ولن يقدر على العمل إلا الأصحاء أما المرضى فهم عاجزون عن العمل عالة على مجتمعاتهم، ولن ينهض المجتمع إلا بالسواعد القوية والأجسام السليمة من الأمراض ٠

ولذلك حرص ديننا الإسلامى على الدعوة إلى المحافظة على صحة الأبدان والبعد بها عما يضرها أو يضعفها، فنهى عن أكل ما لا ينفع الجسم ويلحق الضرر به كالميتة والدم ولحم الخنزير، وسائر الخبائث، كما حرم عليه شرب الخمر لأنها تضر بالجسم والعقل معا، وسماها أم الخبائث لما فيها من الضرر العظيم على صحة الإنسان، كما حرم كل ما من شأنه أن يضر بصحة الإنسان مما نعرفه فى هذا العصر بالمخدرات وما يتصل بها لما عرف عنها من أنها تؤثر فى حكم العقل على الأمور، فيرى البعيد قريبا، والقريب بعيدا، ويذهل عن الواقع ، ويتخيل ما ليس بواقع، ويسبح فى بحر من الأحلام والأوهام وهذا إلى جانب ما تحدثه من خور فى الجسد، وخدر فى الأعصاب، وضعف فى الصحة، وفوق ذلك ما تحدثه من سأم النفس وتميع الخُلق، وتحلل الإرادة، وضعف الشعور بالواجب، مما يجعل هؤلاء المدمنين لتلك السموم أعضاء غير صالحين فى جسم المجتمع ، فضلا عما وراء ذلك من إتلاف للمال، وخراب للبيوت، وانحراف فى السلوك ، لذلك فقد حارب الإسلام هذه السموم لما ثبت من ضررها الصحى والنفسى والخلقى والاقتصادى والاجتماعى، بل إن الإسلام دعانا إلى التداوى مما يصيب الإنسان من مرض أو ضعف حتى لا تهن قواه أو تضعف عزيمته. فعن أبى الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "إن

الله أنزل الداء والدواء وجعـل لكـل داء دواء فتـداووا ولا تـداووا بالمحرم"(١) .

وأمرنا بالمحافظة على صحة البدن، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(٢) وعن أبى هريرة ﷺ قال : قال سول الله ﷺ : "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضـعيف،وفى كـل خير، احرص على ما ينفعك،واستعن بالله ولا تعجز"(٣)وعلى هذا الأساس وضع الإسلام الوسائل الواضحة فى تربية أفـراد المجتمـع جسـميا وتكوينهم صحيا،وهو إملاء فراغهم بأعمال جهادية وتدريبات عسكرية وتمرينات رياضية وترفيهية كلما سنحت فرصة أو تهيـأت الأسـباب لذلك، فالإسلام بمبادئه السمحة يجمع فى آن واحد بين الجد والتـرويح البرئ عن النفس ويوفق بين مطالب الروح وحاجات الجسم، ويعتنـى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حد سواء، فـالمؤمن إذا أعطـى عقلا سليما فى جسم سليم طابت نفسه وحياته، وعاش سعيدا هانئا، يقبل على عمله وهو مغتبط متفائل، منشرح الصـدر، ومـن عـاش قويـا عزيزا، يهابه العدو ويخشى بأسه، أما الضعاف المهازيل فإنهم يعيشون على هامش الحياة يطمع فيهم الطامعون، وينال منهم الأعـداء، وتلـك سنة الله فى خلقه،ولهذا كان رسول اللهﷺ من أقوى الناس وأحرصـهم على صحته، ولم يفته أن يمارس بعض ألوان الرياضية بنفسـه، فقـد روى أبوداود فى سننه أن النبىﷺصارع رجلا معروفا بقوته يسـمى "ركانة" فصرعه النبى أكثر من مرة، وكان ذلك سببا فى إسـلام ذلـك الرجل. ولذلك نجد ثناء الله عزوجل على نبيه وصـحابته الأكـرمين، منوها ببطولتهم وشجاعتهم فى محكم التنزيل حيـث يقـول : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾(٤).

---

(١) رواه أبوداود . تيسير الوصول جـ٣ صـ٣٦٣ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ٢١٥ طبعة حجازى .
(٤) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

ومن يتصفح التاريخ الإسلامي يجد أن رسول الله ﷺ قد حث على كثير من ألوان النشاط الرياضي وفنون اللعب المباحة. ومن ذلك مسابقة العدو. فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون بالجرى على الأقدام، والنبى ﷺ يقرهم عليها، وقد رووا أن على بن أبىطالب كان عداء سريع العدو، وكان الرسول ﷺ يتسابق مع زوجه عائشة رضى الله عنها مباسطة لها وتعليما لأصحابه، روى الإمام أحمد وأبوداود عن عائشة أنها قالت: "سابقنى رسول الله فسبقته، فلبثت حتى أرهقنى اللحم ــ أى امتلأ جسمها ــ سابقنى فسبقنى فقال: "هذه بتلك" أى واحدة بواحدة. ومن ذلك أيضا اللعب بالسهام والحراب أى التصويب، فقد كان ﷺ يمر على أصحابه فى حلقات الرمى فيشجعهم ويقول لهم: "ارموا وأنا معكم" ومن ذلك ألعاب الفروسية. فعن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب فى صنعته الخير، والرامى به، ومنبله ــ أى الذى يهيئ النبل للرامى ــ وارموا واركبوا وأن ترموا أحب إلى من أن تركبوا، ومن ترك الرمى بعدما علمه رغبة عنه فإنها نعمة تركها ــ أو قال كفرها"(١).

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إلى ولاته : "أما بعد: فعلموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل" وكان من حرصهم على ركوب الخيل أن الناشىء من أبنائهم لا يكاد يبلغ الثامنة من عمره حتى يتحتم عليه ركوب الخيل، ويتدرب على فنون الفروسية كما عرف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم رياضة: "الربْع" وهى حمل الأثقال، فقد كانوا يتمرنون على رفع أحجار متفاوتة الثقل وحملها، وأول من فكر فى تلك اللعبة الصحابى الجليل جابر بن عبدالله الأنصارى ﷺ ، فقد كان معروفا بقوته البدنية، إلى غير ذلك من ألوان الرياضة التى تهيئ الإنسان المسلم للإقبال على العبادات وهو أكثر

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٣/ ١٣، كتاب الجهاد، باب الرمى، والنسائى فى سننه ٦/ ٢٢٢ كتاب الجهاد، باب تأديب الرجل فرسه، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٩٥ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى .

نشاطا وأقوى عزيمة، وتحافظ على بدنه وتعده لميادين الجهاد فى سبيل الله والعمل الجاد الذى يسهم فى تطور المجتمع ونهضته، ويحصنه بالقوة والمنعة التزاما بقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (١) فاللهم هب لنا قوة فى أبداننا وثباتا فى عقيدتنا ورسوخ اليقين يا رب العالمين ٠

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٠ ٠

٢٤- الإسلام يدعو إلى عناية الإنسان بالصحة والنظافة

من الأقوال المشهورة : "العقل السليم فى الجسم السليم" ولا شك أن الدين الإسلامى يدعو إلى العناية بالصحة والمحافظة عليها حتى ينشأ المسلم قويا معافى يؤدى رسالته على أكمل وجه،ولذلك اعتنى بها عناية فائقة، بل اعتبرها من صميم رسالته، وذلك لأن الإسلام يتطلب أجساما تجرى فى عروقها دماء الصحة والعافية، يمتلئ أصحابها فتوة وقوة ونشاطا،لأن الأجسام الضعيفة المهزولة لا تطيق تكليفا ولا تحتمل جهدا، والأبدان المرتعشة لا تقدم خيرا ولا تقوى على تحمل التبعات والمسئوليات، فالجسم السليم له أثره الفعال لا فى سلامة التفكير فحسب، بل فى تفاؤل الإنسان فى حياته وفى التعامل مع الآخرين، وتحقيق أمنه واستقراره، والإسهام بجهوده فى قيام مجتمع ناهض مرهوب الجانب، ولذلك كان للإنسان القوى الدرجة العليا عند الله تعالى، جزاء ما يبذل من جهد، وما يقوم فى سبيله من أعمال صالحة.

يقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[١]

ويقول المصطفى ﷺ : "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كلّ خير"[٢] لهذا نجد الإسلام يدعو الناس إلى التماس الأدوية الناجعة لما قد يصيبهم من أسقام وأمراض، فعن أسامة بن شريك قال: جاء أعرابى فقال يا رسول الله . أنتداوى؟ قال : "نعم، فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله"[٣] وفى لفظ قالت الأعراب يا رسول الله. ألا نتداوى؟ قال : "نعم. عبادالله تداوَوْا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء، إلا داء واحدا . قالوا يا رسول الله. وما هو؟ قال: الهرم" وعن جابر ﷺ أن النبى ﷺ

(١) سورة التوبة : آية ٢٠ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ٢١٥ ط حجازى ــ عن أبى هريرة ﷺ .
(٣) رواه الحاكم ــ عن أبى سعيد الخدرى .

قال : "لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله تعـالى"(١) وعن أبىالدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداوا بحرام"(٢) ومن مظاهر حرص الإسلام على صحة الأبدان أنه أولى فى تعاليمـه وتشـريعاته صحة الأجسام والحفاظ على نظافتها اهتمامه وعنايته ، فالطهـارة ونظافـة الأبدان من الأمور المهمة التى تعبدنا الله بها، إذ جعلهـا شـرطا فـى صحة كثير من العبادات، ولها فى الإسلام المنزلة السامية، فهى مـن الإيمان بمنزلة النصف من الكل، فعن أبىمالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال: "الطهور شطر الإيمان"(٣) وفى رواية لأحمد: "الطهارة نصف الإسلام" والمراد بالطهارة والطهور فى هذين الحديثين المعنى الواسـع الذى يشمل الطهارة الحسية والطهارة المعنوية. فمما لا شـك فيـه أن طهارة الجسد وصحته لها أثرها العميق فى تزكيـة الـنفس وتمكـين الإنسان من النهوض بأعباء الحياة، ولهذا كرم الإسلام البـدن فجعـل طهارته التامة أساسا لابد منه لكل صلاة ، وجعل الصلاة واجبة خمس مرات فى اليوم ، وربط هذه الصلوات بالطهارة والوضوء، كما كلـف الإنسان بأن يغسل جسده غسلا جيدا فى أحوال كثيرة تحدث له غالبـا كالجنابة والاحتلام وبعد ارتفاع دم الحيض والنفاس عن المرأة يقـول الله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾(٤) فقد أوجب الإسـلام غسـل الأعضاء التى تتعرض للأتربة وغبار الجو أكثر من مرة فى اليـوم، وذلك بالوضوء الذى يزيل كل ما قد يعلق بأعضاء وأطراف المرء من أوساخ أو ما تفرزه من عرق.

---

(١) رواه مسلم ، وأحمد .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ١/ ٢٠٣، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء.
(٤) سورة المائدة : آية ٦ .

كما أن الإسلام لم يدع أمر الغسل الكامل للظروف والرغبات الشخصية، فقد يتكاسل بعض الناس عن الاغتسال ولذلك وقت للغسل يوما في كل أسبوع فقال ﷺ : "غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم أي بالغ – وسواك ويمس من الطيب"(١) كما جاء في الحديث الشريف : "إن هذا اليوم يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء منا إلى الجمعة فليغتسل"(٢) ، كما أوجب الإسلام النظافة من بقايا الطعام في الفم فقال رسول الله ﷺ : "تخللوا، فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة"(٣) ، وقد اقترنت نظافة الوضوء والنظافة من الطعام في هدى النبي ﷺ . فعن أبي أيوب الأنصاري قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : حبذا المتخللون من أمتي. قالوا: وما المتخللون يا رسول الله؟ قال: المتخللون في الوضوء، والمتخللون في الطعام. أما تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع، أما تخليل الطعام فمن الطعام، وإنه ليس شيء أشد على الملكين من أن يريا ما بين أسنان صاحبها طعاما وهو قائم يصلي"(٤) وهذه العناية بالفم والأسنان من جانب الإسلام توجيه كريم لا نظير لها في وصايا الصحة القديمة والحديثة. فمع دعوته إلى تخليل الأسنان يدعونا إلى استعمال السواك على الدوام، فقد قال رسول الله ﷺ : "تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب، ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك، حتى لقد خشيت أن يُفرَض عليَّ وعلى أمتي"(٥) وفي رواية : "لقد أمرت بالسواك حتى ظننت أنه ينزل على فيه قرآن أو وحي" والذي يلاحظ ما يصيب اللثة والفم والأسنان من أمراض ورائحة كريهة نتيجة إهمال تطهير وتنظيف الفم والأسنان يدرك مبالغة الإسلام في تدليك الأسنان بالسواك، وبالمواد الحافظة لرونقها وسلامتها، ولذلك

---

(١) رواه النسائي وابن حبان – عن أبي سعيد الخدري – .

(٢) رواه ابن ماجة في سننه ١/ ٣٤٩، والمنذري في الترغيب والترهيب ٢٨٦/١ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) رواه الطبراني في الأوسد – عن عبدالله بن مسعود .

(٤) رواه الطبراني في الكبير .

(٥) أخرجه ابن ماجة في السنن ١/ ١٠٦، كتاب الطهارة وسننها، باب السواك. عن أبي أمامة – ﷺ – .

يخبرنا المصطفى ﷺ بهذا الاهتمام فى قوله : "لقد أمرت بالسواك حتى خشيت أن أدرد" أى تسقط أسنانى من شدة الدلك . كذلك فإن الإسلام لم يترك شيئا يتصل بالنظافة التى تحفظ على الإنسان صحته إلا حث عليه وأمر به . فلم تتوقف عنايته عند نظافة الأبدان فى حد ذاتها بل امتدت لتشمل البيوت والطرقات فدعا إلى تنظيفها من الفضلات والقمامات حتى لا تكون مباءة للحشرات ومصدرا للعلل التى تصيب الإنسان ، فقد كان اليهود يفرطون فى هذا الأمر فحذر رسول الله ﷺ من التشبه بهم. فقد روى أنه قال : "إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود"(١) كما أن الإسلام قد وضع قواعد الحجر الصحى التى تعتبر من مظاهر العصر الحديث. فإذا ظهر فى بلد ما مرض معد دعا الإسلام إلى منع الدخول إلى هذا البلد والخروج منه حتى تنحصر رقعة الداء فى أضيق نطاق. يقول ﷺ : "إذا سمعتم بالطاعون ظهر بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"(٢) ومع ذلك دعا إلى التداوى والعلاج لأن الأخذ بالأسباب واجب يقره الإسلام ويدعو إليه ، فاللهم احفظ علينا صحتنا واجعلنا من الطاهرين المتطهرين .

---

(١) رواه الترمذى – عن سعد بن أبى وقاص – ﷺ .

(٢) رواه البخارى ومسلم – عن أسامة بن زيد – ﷺ .

٢٥ ـ تقوى الله خلق إسلامى كريم

لقد وردت كلمة التقوى، وما يشتق من هذه الكلمة فى القرآن الكريم كثيرا، كما وردت فى وصايا رسول الله ﷺ وصحابته الأكرمين، والتقوى فى اللغة مأخوذة من وقى يقى وقاية، أى صان الشىء وستره عن الأذى، تقول وقاه الله السوء ووقاه من السوء، ووقى الأمر وقيا: أصلحه، واتقى صار تقيا، وتوقى واتقى فلانا: حذره وخاف منه، ويقال: ما أتقاه لله: أى ما أخشاه ٠

وكل هذه المعانى يضمها المعنى الأصلى للتقوى وهو: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه. أما مفهومها فى الشرع الحنيف فهو: المحافظة على آداب الشرع، وهى مجانبة كل شىء يبعدك عن الله، وهى ألا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حين أمرك، وهى كما وصفها الإمام على ﷺ : "الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل، والرضا بالقليل" وخلاصة معناها كما جاء فى حديث المصطفى ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[(١)]٠

بعد أن فهمنا معنى التقوى فى اللغة والشرع الحنيف نريد أن نوضح السلوك الذى يكون المسلم به تقيا ، فإذا كان هذا هو معنى التقوى فى اللغة والشرع الحنيف فإن الرسول ﷺ يوجز لنا السلوك القويم إلى تقوى الله فى وصية جامعة، فعن أبىهريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه سئل: ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: "تقوى الله وحسن الخلق"[(٢)] ، فهذه الوصية وصية جامعة لحقوق الله وحقوق الإنسان فإن حق الله على عباده أن يتقوه حق تقاته فيترك العبد ما حرم

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١/ ٧٢، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل للنبى عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، ومسلم فى صحيحه ١/١٥٧، ١٥٨، كتاب الإيمان ، باب تعريف الإسلام والإيمان ، عن عمر بن الخطاب ٠

(٢) خرجه الإمام أحمد وابن ماجة والترمذى وصححه ابن حبان فى صحيحه ٠

الله، ويؤدى ما افترض الله، لا يرضى من أعماله الصالحة بالقليل، ولا يستكثر الكثير، يعمل الأعمال الصالحة على وجل، يمسى وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، وأن يحافظ المرء على حقوق الناس على أموالهم وأعراضهم ودمائهم فلا يعتدى على شيء منها وأن يكون تعامله مع الآخرين كما جاء في حديث رسول الله ﷺ : "أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(١) وبالطبع وأن يكره لأخيه المسلم ما يكره لنفسه. ويدخل فى التقوى الكاملة: فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات، وهى أعلى درجات التقوى، ولهذا يقول المصطفى ﷺ : "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس"(٢) ويقول : "فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه"(٣) ولهذا يقول الحسن ﷺ : "ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام" وقد أوضحت الآيات الأولى من سورة البقرة صفات المتقين فقال جل شأنه : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٤) ويقول تعالى أيضا فى سورة البقرة : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

---

(١) رواه البخارى ومسلم ــ عن أنس .
(٢) رواه الترمذى وابن ماجة والحاكم ــ عن عطية السعدى .
(٣) متفق عليه ــ عن النعمان بن بشير .
(٤) سورة البقرة : الآيات ١ ــ ٥ .

وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (١) .

والتقوى كما جاءت فى القرآن الكريم لها ثلاثة معان: أولها أنها جاءت بمعنى الخشية والهيبة،كما فى قوله تعالى:﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾(٢) وكقوله سبحانه : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (٣) والمعنى الثاني: بمعنى الطاعة والعبادة : مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ (٤) يقول ابن عباس رضى الله عنه فى تفسيرها : "أطيعوا الله حق تقاته" يقول ابن مسعود : "أن يُطاع فلا يُعصى وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر"(٥) والمعنى الثالث: بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب وهذا المعنى هو حقيقة التقوى . فالله تعالى يقول : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ (٦) ويذكر بعض الرواة أن هذه الآية كانت سببا فى إسلام أحد عظماء الروم، فعندما التقى هذا الرجل بسيدنا عمر بن الخطاب

---

(١) سورة البقرة : آية ١٧٧ .
(٢) سورة البقرة: آية ٤١ .
(٣) سورة البقرة: آية ٢٨١ .
(٤) سورة آل عمران: آية ١٠٢ .
(٥) تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٤ ط دار التراث العربى .
(٦) سورة النور : آية ٥٢ .

ﷺ قال له:"لقد وجدت فى كتابكم آية جمعت كل ما فى الكتب السماوية. فقال عمر له؟ وما هى؟ فتلا عليه قوله : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ ثم قال إليك تفسيرها كما فهمتها ـ يا أمير المؤمنين ـ: ومن يطع الله فى الفرائض، ورسوله فى السنن ويخش الله فيما مضى، ويتقه فيما هو آت فقد فاز فوزا عظيما، والفائز من زحزح عن النار وأدخل الجنة" فقال عمر ﷺ : صدق رسول الله ﷺ لقد قال: "لقد أوتيت جوامع الكلم"[1] وهذا المعنى هو ما جاء كثيرا فى القرآن الكريم فالله تعالى يقول : ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[2] وأهل التقوى هم الذين : ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[3] وهم أولياء الله أ[illegible]اؤه الذين يتولاهم الله برعايته وتوفيقه .

كذلك فإن كلمة "التقوى" تارة تضاف إلى اسم الجلالة ويكون المعنى حينئذ : اتقوا سخط الله وغضبه فهو أعظم ما يُتقى، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[4] وكقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[5] وتارة تضاف التقوى إلى عقاب الله [illegible]

---

(١) تفسير القرطبى ٦/ ٤٨٣٣ ط دار الغد العربى .
(٢) سورة مريم : آية ٦٣ .
(٣) سورة يونس: الآيتان ٦٢، ٦٣ .
(٤) سورة المجادلة : آية ٩ .
(٥) سورة الحشر : آية ١٨ .

إلى مكانه كالنار، أو إلى زمانه كيوم القيامة كما قال تعــالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (١) وكقوله:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴾(٢) ويقول تعــالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (٣) ويقول : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ (٤) .

أما جزاء المتقين فهو جزاء عظيم ، فعن معاذ بــن جبــل قــال: ينادى يوم القيامة أين المتقون؟ فيقومون في كنــف مــن الــرحمن لا يحتجب منهم ، ولا يستتر، قالوا: من المتقون؟ قال: المتقــون: اتقــوا الشرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة" وقد وعد الله المتقين بكل فلاح ونجاح في الدنيا والآخرة ففى الدنيا وعدهم الله برحمته الشــاملة وبنور يمشون به حيث يقــول : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ (٥) فالكفلان هما ضعفان من الرحمة، والنور: هدى يتبصر المرء بــه مــن الضــلال والجهالة ، ووعدهم بالحفظ والحراسة من الأعداء فــى الــدنيا، ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ (٦) ووعــدهم بنصــر

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٣١ .
(٢) سورة البقرة : آية ٢٤ .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٨١ .
(٤) سورة البقرة : آية ٤٨ .
(٥) سورة الحديد : آية ٢٨ .
(٦) سورة آل عمران : آية ١٢٠ .

والتأييد : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (١) ووعدهم بالنجاة من الشدائد والرزق الحلال : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٢) ووعدهم بإصلاح أعمالهم وغفران ذنوبهم : ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٣) ووعدهم فى الآخرة بالنجاة من النار:﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾(٤)ووعدهم بالخلود فى الجنة: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٥) فاللهم اجعلنا من عبادك المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٠

(١) سورة النحل : آية ١٢٨ ٠
(٢) سورة الطلاق : الآيتان ٢، ٣ ٠
(٣) سورة الأحزاب : الآيتان ٧٠ ، ٧١ ٠
(٤) سورة مريم : آية ٧٢ ٠
(٥) سورة آل عمران : آية ١٣٣ ٠

٢٦- الإسلام يدعو إلى كفالة اليتيم ورعايته

من الأخلاق الإسلامية رعاية اليتيم وكفالته، فديننا الإسلامى دين التعاون والتكافل والرحمة، ولذلك فإنه يدعو المسلمين جميعا إلى رعاية اليتيم والمحافظة على أمواله والعمل على تنشئته تنشئة كريمة .

واليتيم يطلق على كل من فقد أباه قبل أن يبلغ الحلم أى سن البلوغ والتكليف، فإذا أصبح مكلفا فإنه لا يسمى يتيما. أما إطلاق "اليتيم" عليه وعلى الفتاة : "يتيمة" بعد البلوغ فهو من قبيل التجاوز وليس على الحقيقة ، ومن فقد أباه وأمه وهو صغير فإن حاله يكون أسوأ ممن فقد أباه، أو أمه، خاصة إذا فقدهما أو فقد أحدهما وهو رضيع أو فى بداية حياته .

لقد اهتم الدين الإسلامى برعاية اليتيم ودعا إلى كفالته والعناية به عناية عظيمة ، ونال اليتيم من رعاية الإسلام ما لم ينله أى قريب محتاج من ذوى الرحم، وكأن الإسلام جند المسلمين جميعا للقيام بحق اليتامى ، والتقرب إلى الله تعالى بالعطف عليهم، ونيل أعظم الدرجات بسبب الاهتمام بأمورهم والقيام بما يحتاجون إليه والمحافظة عليهم فقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (١) كما حذر الأوصياء على اليتامى من أمرين: أولهما: أكل مال اليتيم بغير حق يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ

(١) سورة البقرة : آية ٢١٥ .

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (١) ثانيهما : أن يستبدلوا الردىء من أموالهم بالطيب من مال اليتيم. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (٢) والحوب الإثم ، كما أوصى رسول الله ﷺ باليتيم وحض على رعايته ورعاية أمواله. فعن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما"(٣) وعن أبىهريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أنى أرى امرأة تبادرنى فأقول لها: مالك؟ ومن أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتام لى"(٤) وعن أبىهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : "الساعى على الأرملة والمسكين ــ أى اليتيم ــ كالمجاهد فى سبيل الله، وأحسبه قال : "وكالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر"(٥) وعن أبىهريرة ﷺ أن رجلا شكا إلى النبى ﷺ قسوة قلبه فقال له : "امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين"(٦).

أما عن واجب الأوصياء على اليتامى سواء أكانوا إخوة أو أعماما أو أجدادا أو جدات أو غيرهم، أن يهتموا بأمورهم كأنهم أبناؤهم من أصلابهم، ويشمل ذلك جميع احتياجاتهم من حسن التربية والتعليم المناسب لأمثالهم، سواء أكان تعليم صنعة أم حرفة يتكسبون فيها إن كانوا فقراء، أو تعليما عاليا إن كانوا أغنياء، كما يجب الاهتمام بأموالهم والحفاظ عليها وتنميتها وعدم الإسراف فيها، وله أن يتاجر بهذا المال ويشارك فيه حسبما يرى أنه فى صالحه، وله أن يخلط مال

(١) سورة النساء : آية ١٠ ٠
(٢) سورة النساء : آية ٢ ٠
(٣) رواه البخارى ٠
(٤) رواه أبويعلى بإسناد لا بأس به ٠
(٥) رواه البخارى ومسلم، وابن ماجة ٠
(٦) رواه أحمد ورجاله ثقات ٠

اليتيم بماله ويخصم منه قدر نفقته حسب التقدير العادل عرفا وعـادة. فقد ثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم عندما نزل قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١) وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٢) أنهم تحرجوا من مخالطة اليتامى وسـارع كل من كان عنده يتيم إلى عزل طعامه وشرابه ، وصاروا يطعمـونهم منعزلين عن أبنائهم، فكان اليتيم يأكل بعض الطعام ويبقى منه شـيء، فيختزنه الولى له حتى يأكله اليتيم أو يفسد. فشق ذلك علـى اليتـامى وعلى الأوصياء عليهم فأنزل الله التخفيف عنهم فى ذلك وأبـاح لهـم خلط أموالهم بأموال اليتامى(٣) فقال تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤) أى ولو شاء الله لضيق عليكم وشدد ولكنه لم يشأ إلا التسهيل عليكم .

كما طالب الإسلام كل من يتعامل مع اليتيم أن يحسن إليـه فـى الخطاب فلا يخاطبه إلا بنحو ما يخاطب به أبناءه مثـل يـا بنـى أو ياولدى ويا ابنتى .. وأن يفعل معه من ألوان البر والإحسان ما يجعلـه يطمئن إليه ويأنس به، وأن يُقبل عليه بالتبسم وأن يمسح رأسه ويتفقـد شئونه من حين لآخر. فعن عبدالله بن أبى أوفى قال : قال رسـول الله ﷺ : "من مسح على رأس يتيم رحمة له كُتب له بكل شـعرة حسـنة ورفع له بكل شعرة درجة، ومحا عنه بكل شعرة سيئة(٥)" وأن يحسـن

(١) الإسراء آية ٣٤ .
(٢) النساء آية ١٠ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢/ ١٩٤ .
(٤) سورة البقرة : آية ٢٢٠ .
(٥) كتاب المجروحين لأبى حاتم البستى ١/ ٢٦٥ .

إليه ويساعده إذا كان محتاجا. فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال . قال رسول الله ﷺ : "من ضم يتيما من بين يتامى المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى ، أوجب الله تعالى له الجنة ألبتة إلا أن يعمل عملا لا يغفره الله"(١) كذلك فقد أمرنا الدين الحنيف بالتعامل مع اليتيم بالرفق واللين وألا نؤذيه بكلمة قاسية أو بما يشعره بالحرج والإهانة ، فنسامحه إذا أخطأ خطأ غير جسيم، ونتغاضى عما يبدو منه من تجاوزات ، وألا نلجأ إلى اللوم والتعنيف فى كل الأحوال، وأن ننصحه إذا تجاوز، ونمنعه من الظلم إذا حدث منه ، وذلك حتى يشعر اليتيم أنه بين أهله وذويه، وأنه إن فقد أباه أو والديه فقد وجد فى الرحماء آباء يعطفون عليه ويتولون أمره فلا تنكسر نفسه ولا يشعر بالأسى والحزن لفقد أبيه ، وهو يرى كل ولد يسير بجانب والده ويقبل عليه بفرح ويرتمى بين أحضانه، فقد وجد اليتيم بحسن التعامل معه من المسلمين من لا يفرق بينه وبين ولده من صلبه، وكذلك الفتاة تجد أكثر من امرأة تحاول أن تعوضها عن أمها وتحرص على إسعادها. فهذا التعامل الكريم يكون له أثره الإيجابى على نفسية اليتيم وسلوكه وأخلاقياته فينشأ راضيا سعيدا محبا لمن حوله ويكون عضوا نافعا فى مجتمعه يعمل لما فيه خيره وخير مجتمعه، ويسعى إلى خير الناس كما تعامل معه الآخرون، ويبادر إلى العمل الصالح والمفيد فى تعاون وتراحم بينه وبين من يعايشهم ويختلط بهم، وبهذا نكون قد ساهمنا فى تنشئة عضو صالح فى المجتمع، وقدمنا إلى وطننا رجلا يقدر المسئولية ويقبل على الحياة بقلب مطمئن، ونفس متوثبة متطلعة إلى تحقيق الطموحات والآمال لنفسه ولأمته ، ولهذا كان لكافل اليتيم أجزل الثواب وأعظمه فالرسول ﷺ يقول : "إن أحب البيوت إلى الله ، بيت فيه يتيم مكرم"(٢) ويقول : "والذى بعثنى بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم، وألان له فى الكلام، ورحم يتمه وضعفه"(٣) فاللهم اجعلنا من الرحماء الذين يسعون إلى خير اليتيم والقيام بواجبه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٢/ ١٢١٣ ، كتاب الأدب، باب حق اليتيم ٠
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير ـــ عن ابن عمرو ٠
(٣) قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ١١٧: رواه الطبرانى فى الأوسط ـــ عن أبى هريرة ٠

٢٧- الإسلام يدعو إلى السعي في سبيل الرزق

الحياة جهاد وسعى إلى تحصيل الرزق وكسب المال الحلال، والخاملون الكسالى لا مكان لهم فى هذه الحياة، لأن العمل هو الطريق إلى إعمار الكون وتقدم الإنسان ٠

فالعمل هو الأساس الأول والركيزة الهامة لاستمرار هذه الحياة وتقدمها، سواء أكان ذلك على مستوى الشعوب والأمم، أم فى مجال الأفراد والجماعات، فهو العنصر الرئيسى فى بناء الحضارات وإنشاء المرافق العامة التى تعود على الإنسان بالخير فى مجال حياته الخاصة والعامة، وبالعزة والكرامة فى مجال الانتماء الوطنى . لأن الأمة — أى أمة — لا تستطيع الاحتفاظ بحريتها وكرامتها بين الأمم الأخرى إلا بمقدار ما يحققه أبناؤها فى بناء دولتهم فى المجالات المادية والروحية والفكرية والسياسية ، فكلما حققت تقدما فى هذه المجالات كلما اكتسبت قوة ومنعة ضد كل معتد أو مستغل ، ولهذا فإن الإسلام يقدس العمل ويدعو إلى السعى فى طلب الرزق، ويحث أتباعه على ذلك فى أكثر من مائتى آية من القرآن الكريم٠

يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (١) فهذا هو مبدأ الإسلام حيث هيأ الله الأرض وسخرها ذلولا للإنسان — خليفة الله فى هذه الأرض — فينبغى عليه أن ينتفع بهذه النعمة وأن يسعى فى جوانب هذه الأرض مبتغيا فضل الله تعالى — كما يحثنا رسول الله ﷺ على السعى فى طلب الرزق فى أحاديث كثيرة. فعن المقدام بن معد يكرب أن النبى ﷺ قال : "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده" رواه البخارى وغيره وابن ماجة ولفظه : "ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده، وما

---

(١) سورة الملك : آية ١٥ ٠

أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو له صـدقة" . وعـن الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه قال: قال رسـول الله ﷺ : "لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكـف بهـا وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"(١).

فالإسلام يدعو المسلمين جميعا إلى السعى والعمل ،ويحرم القعود والتكاسل والاستجداء ، لأن الإسلام دين العمل والمشاركة فى بناء هذه الحياة وتقدمها ، ولذلك كان الإنسان الذى يكسل عن طلب رزقه منبوذا من الإسلام حتى ولو كان ذلك باسم التفرغ للعبادة أو التوكل علـى الله كما يردد هذه العبارة من لا يفهمونها ، فالسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة والتوكل على الله هو أن يأخذ الإنسان بالأسباب ثم يفوض الأمر بعـد ذلك لله تعالى مالك هذا الكون كما قال تعـالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) ففرق كبيـر بـين التوكل والتواكل وهو ترك العمل بدعوى الزهد الباطل الذى لا يقـره عقل ولا دين ــ يقول معاوية بن قرة : لقى عمر بن الخطاب ﷺ ناسا من أهل اليمن فقال لهم من أنتم؟ قالوا نحـن المتوكلـون قـال: أنـتم المتواكلون إنما المتوكل الذى يلقى حبة فى الأرض ويتوكل على الله(٣) ولهذا كان رسول الله ﷺ يقاوم اللجوء إلى سؤال الناس لما فى ذلك من إراقة ماء الوجه، وذهاب المروءة والكرامة . يقول المصـطفى ﷺ : "الذى يسأل من غير حاجة كمثل الذى يلتقط الجمر"(٤) ولما أخبر عليه الصلاة والسلام عن رجل يقوم الليل ويصوم النهار سأل عمن يكفله فى معيشته فقالوا: أخوه. فقال ﷺ : "أخوه خير منه" فمن يعمـل ليكتسـب قوته ويؤدى فرائضه خير ممن يعبد الله آناء الليل وأطـراف النهـار ويعيش عالة على غيره . هذه هى نظرة الإسلام إلى السعى فى طلـب

---

(١) رواه البخارى وابن ماجة وغيرهما ٠
(٢) سورة الجمعة آية ١٠ ٠
(٣) رواه الحاكم ــ عن معاوية بن قرة ٠
(٤) رواه البيهقى وابن خزيمة ٠

الرزق لأن ثمرة العمل لا تعود على الشخص وحده، بل تعود على الجميع بطريق مباشر أو غير مباشر ٠

والإسلام يحث على العمل والكسب بكل السبل ما دام العمل شريفا والكسب حلالا، ولعل قول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [١] يبين لنا أن الإسلام قد أطلق العمل ليشمل كل عمل من شأنه أن يؤدى إلى نفع الفرد والجماعة والناس جميعا، ولهذا قرر الإسلام أن للعاملين والساعين فى هذه الحياة الأجر العظيم والثواب الأوفى من الله تعالى . فعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : "من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له"[٢] وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال : "إن الله يحب العبد المحترف. ومن كد على عياله كان كالمجاهد فى سبيل الله عزوجل"[٣]، وروى الطبرانى أن رسول الله ﷺ قال : "إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصدقة ولا الحج، ويكفرها الهم فى طلب المعيشة" وعن كعب بن عميرة ﷺ قال : "مر على النبى ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله من جلده ونشاطه فقالوا يا رسول الله : لو كان هذا فى سبيل الله؟ فقال عليه الصلاة والسلام : "إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان"[٤] وعن أنس بن مالك ﷺ عن النبى ﷺ ، قال : "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة"[٥] فهذا الحديث يرغبنا فى تعمير الأرض

---

(١) سورة التوبة : آية ١٠٥ ٠

(٢) قال الهيثمى فى المجمع ٤/ ٦١ : رواه الطبرانى فى الأوسط ٠

(٣) رواه أحمد ٠

(٤) رواه الطبرانى ٠

(٥) رواه مسلم والترمذى ٠

بالأشجار والزرع مأكولا منه أو منتفعا به ولو مات غارسه أو زارعه، ولو انتقل ملكه إلى غيره، يقول العلماء : إن من سعة كرم الله تعالى أن يثيب على ما بعد الحياة كما يثيب على ذلك فى الحياة . وقد روى أن رجلا مر بأبى الدرداء رضى الله تعالى عنه وهو يغرس جوزة فقال له: أتغرس جوزة وأنت شيخ كبير؟ وهذه لا تثمر إلا فى كذا وكذا عاما؟ فقال له أبوالدرداء: ما على أن يكون لى أجرها ويأكل منها غيرى[١] .

فالعمل والسعى فى مناكب هذه الأرض طريق الإنسان المسلم إلى عزته وانتفاعه بما بث الله فى هذه الأرض من خيرات وكنوز، وهو سبيل تقدم الشعوب والأمم ، والتزام بأمره تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[٢] فاللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

---

(١) فيض القدير للمناوى ٥/ ٤٨٠ بلفظ أتغرس هذه؟ .
(٢) سورة الملك آية ١٥ .

٢٨ـ الإسلام يدعو إلى التراحم والتعاطف

لقد بين الرسول ﷺ الغاية العظمى من رسالته فى قولـــه : "إنمـــا بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" وهذا ما يؤكـــده قـــول الله تعـــالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١)ولذلك كان الحـــرص علـــى خيـــر الناس، والرأفة والرحمة بالمؤمنين خلق رسول الله ﷺ ، وأساس مـــن أسس الدعوة الإسلامية وخلق كريم من الأخلاق الإسلامية الرفيعة.

فالرحمة والرأفة صفتان كريمتان وخلق إسلامى كـــريم. بـــل إن الرحمة فى مفهومها الأعلى صفة المولى تباركت أسماؤه، فهو الرحمن الرحيم، ورحمته شملت الوجود كله، وعمت الأكوان، فحيثمـــا أشـــرق شعاع علمه المحيط بكل شىء أشرق معه شـــعاع الرحمـــة الغـــامرة، ولذلك كان من صـــلاة الملائكـــة : ﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ (٢)
وكثير من أسماء الله الحسنى تنبع من معانى الرحمة والكرم والفضل، فهو أفضل الرحماء، وهو أرحم الراحمين، وما نرى على ظهر هـــذه الأرض من تواد وتراحم وتعاطف إنما هو أثر من رحمـــة الله التـــى أودع جزءا منها فى قلوب الخلائق، فقد روى البخارى ومســـلم عـــن أبى‌هريرة أن رسول الله ﷺ قال : "جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل فى الأرض جزءا واحدا فمـــن ذلـــك الجزء تتراحم الخلائق ، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه" فأرق الناس أفئدة أوفرهم نصيبا من هذه الرحمـــة، وأرهفهـــم إحساسا بحياة الآخرين. أما غلاظ الأكباد، والجبارون المستكبرون فهم لا خلاق لهم ولا خير فيهم وهم مطرودون من رحمة الله . فقد أخـــرج

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .
(٢) سورة غافر : آية ٧ .

الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : "..إن أبعد الناس من الله تعالى القاسى القلب" وذلك لأن القسوة إذا كانت خلق الإنسان كانت دليل نقص كبيـر وانحراف فى السلوك والتعامل مع الآخرين، ولذلك نجد الإسلام يحذرنا منها ويعتبرها علة الخروج عن أمر الله، وأساس الانحراف والبعد عن صراطه المستقيم . يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ (١) .

أما التراحم فقد أمر به الإسلام وجعله مـن الـدلائل الواضـحة للإيمان الكامل، وكان رسول الله ﷺ المثل الأعلى فى الالتـزام بهـذا الخلق بل وبكل خلق كريم، ولذلك نجد القرآن الكريم يمدحه ﷺ ببعض هذه الأخلاق العزيزة الكريمة. يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) كما حرص رسول الله ﷺ على أن يلتزم المسلمون بهذا الخلق الكريم، فأخذ يحث عليه فى كثير مـن أحاديثـه ويوضـح أهميته فى التعامل الإنسانى. فقد روى عن أبىموسى أن رسول الله ﷺ قال : "لن تؤمنوا حتى تراحموا. قالوا يا رسول الله، كلنا رحيم. قـال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامة"(٣) نعم إن الإنسان منا قد يهش لأصدقائه حين يلقاهم، وقد يـرق ويلطـف لأولاده حـين يراهم، وذلك أمر يحدث بين الكثير من الناس، إلا أن المفروض فـى

---

(١) سورة الحديد آية ١٦ .
(٢) سورة التوبة آية ١٢٨ .
(٣) قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ١٨٧ :رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

الإنسان المؤمن أن تكون دائرة رحمته أرحب وأوسع، فيظهر مودته ورحمته لكل الناس، ولا يقصرها على معارفه وخاصته، وهذا هو ما يحرص رسول الله ﷺ على توضيحه للناس. فقد روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "من لا يرحم لا يُرْحَم" وفى رواية : "ومن لا يغفر لا يُغفر له" ويروى الطبرانى أنه عليه الصلاة والسلام قال : "طوبى لمن تواضع فى غير منقصة، وذل فى نفسه من غير مسألة، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية، ورحم أهل الذلة والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة" فالذلة فى غير مسكنة تعنى السكينة للمؤمنين والمودة معهم . إن للإنسان جانبه المادى وجانبه العقلى، وجانبه الخلقى، وقد عالج الإسلام هذه الجوانب جميعها بما يزكيها وينميها ، ويكون منها حقيقة الإنسان الكامل، ويرتب عليها الحياة الطيبة الكريمة . إلا أن أهم هذه الجوانب هو التراحم والتعاطف بين الناس الذى يجعل أبناء المجتمع الواحد كالنفس الواحدة . وقد وضح لنا رسول الله ﷺ هذا التعاطف والتراحم فيما رواه النعمان بن بشير عنه ﷺ حيث يقول . قال رسول الله ﷺ : "ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر"(١) فالرسول ﷺ يمثل لنا فى هذا الحديث المؤمنين فى هذه الحالات الثلاث، بالجسد الواحد، فكما أن الجسد إذا مرض منه عضو تألم له باقى الجسم فلم يذق راحة وسرت إليه حرارة الحمى فآلمته، فكذلك المؤمنون حقيقة إذا ناب واحدا منهم نائبة، شعر بألمها الباقون فسعوا بما فيهم من عواطف ومشاعر لدفع الألم عنه وجلب الخير إليه فى تراحم وتعاطف أخوى، وحرص على التواد والتواصل.

ولهذا فإن الله تعالى قد وصف المجتمع المسلم بأنه متماسك مترابط بهذا التعاطف المتبادل بين أفراده فقال جل شأنه مادحا أهله : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (٢) أى يرأفون بالمؤمنين

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٥/ ٢٢٣٨، كتاب الأدب .
(٢) سورة المائدة : آية ٥٤ .

ويرحمونهم ويلينون لهم، ويغلظون على الكافرين. ويقول أيضا عن أصحاب محمد:﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾(١) أى متعاطفون متوادون.

وإذا كانت الرحمة خلق الإنسان المسلم والعاطفة التى ترعى حقوق الآخرين وتسعى إلى خيرهم، فإن الإسلام قد نبه إلى أن هناك أقواما مخصوصين ينبغى أن يحظوا بأضعاف من الرحمة والعطف والرعاية ، وفى مقدمة هؤلاء جميعا الوالدان إذ هما أجدر الناس بجميل بر الأبناء. يقول الله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (٢) ثم الأبناء ، فعن أبىهريرة ﷺ قال : "قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن على ، وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالسا، فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ثم قال : "من لا يرحم لا يرحم"(٣) وفى رواية : "أوَ أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟" كذلك فإن ذوى الأرحام الذين اشتُق اسمهم من الرحمة لهم مزيد رعاية من التعاطف والتراحم والتى يقول الرسول عنها : "من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله"، وغير هؤلاء من الأقرباء واليتامى والمرضى وذوى العاهات ممن هم فى حاجة إلى رعاية وكلمة طيبة تهدهد آمالهم وتُسرّى عنهم آلامهم . نسأله سبحانه أن يجعلنا من الرحماء وأن يعمنا برحمته ورضوانه .

---

(١) سورة الفتح : آية ٢٩ .
(٢) سورة الإسراء : آية ٢٤ .
(٣) صحيح البخارى ٥/ ٢٢٣٥ كتاب الأدب .

٢٩ـ "وأوفوا الكيل والميزان بالقسط"

ومما حرص عليه ديننا الإسلامى الحنيف تحقيق مصالح الناس والمحافظة على حقوقهم، فكان مبدأ العدل وعدم الإضرار بالآخرين أو بخسهم فى البيع والشراء٠ ولذلك أمرنا الشرع الحنيف بإيفاء الكيل والميزان انطلاقا من المبدأ الإسلامى العظيم : "لا ضرر ولا ضرار" لأن تحقيق المصالح الحقيقية للناس جميعا من أسس التشريع الإسلامى، ولما كان المال مصدر إغراء فإنه قد يدفع بالبعض إلى الغش فى تعاملاته مع الآخرين واستغلالهم، ومن مظاهر ذلك الغش فى الكيل والموازين وذلك بتطفيفها أى بزيادتها إذا كان مشتريا، أو بخسها وإنقاصها إذا كان بائعا، ولهذا الأمر خطورته على معاملات الناس وعلاقاتهم، فهو سرقة مقنعة، واستيلاء على أموال الناس خفية، وأكل للحرام، لذلك فإننا نجد الشريعة الإسلامية تلفت الأنظار إلى خطورة هذا التعامل، وتدعو الجميع إلى أن يبتعدوا عنه حتى تقوم علاقة الناس ببعضهم على أساس من التراحم والتعاطف والتعامل الكريم، وينأوا بأنفسهم عن أكل الحرام الذى يودى بأصحابه إلى النار وبئس المصير، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾ (١)

أى افعلوه مستقيما بالعدل ولا تنقصوا الميزان ولا تبخسوا الكيل والوزن . يقول قتادة فى معنى هذه الآية : "اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل لك ، وأوف كما تحب أن يُوَفىَّ لك، فإن العدل صلاح الناس"(٢) فالاحتيال فى التزيد فى الكيل والميزان أو النقص فيهما أكل لأموال الناس بالباطل، وذلك منهى عنه فى جميع الأمم السابقة وعلى ألسنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فأهل مدين كانوا مع كفرهم أهل بخس وتطفيف إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكيل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه وظلموا، وإن جاءهم مشتر للطعام باعوه بكيل ناقص وشحوا له بغاية ما يقدرون، فلما أرسل الله إليهم

---

(١) الرحمن آية ٩ ٠

(٢) تفسير القرطبى ٩/ ٦٥٥٥ ط دار الغد العربى ٠

شعيبا عليه السلام أخذ يدعوهم إلى البعد عن هذا الفعل الذميم والالتزام بميزان العدل فيما بينهم. يقول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (١) فنهاهم عن الاحتيال فى التزيد فى الكيل والنقصان منه، كما يقول لهم فى آية أخـرى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٢) هذه هى دعوة سيدنا شعيب إلى قومه وهى دعوة نبينا محمد إلـى قومـه . يقول الله تعـالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (٣) ويقـول جـل شانه : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ

---

(١) الأعراف آية ٨٥ .
(٢) هود آية ٨٤، ٨٥ .
(٣) سورة الأنعام آية ١٥٢ .

إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (١)

فبخس الموازيين والمكاييل أو تطفيفها إنما هو عمل أصحاب النفوس الضعيفة الذين استولى عليهم الجشع والطمع، وظنوا أنهم ناجون من عذاب الله، ولكنهم كاذبون ضالون، فالله تعالى العادل الذى لا يظلم مثقال ذرة قد توعدهم بأشد ألوان العذاب فقال سبحانه : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) أى يقومون حفاة عراة فى موقف صعب ضيق على المجرمين، ويغشاهم من أمر الله ما تعجز القوى والحواس عنه. فعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : "يوم يقوم الناس لرب العالمين" حتى يغيب أحدهم فى رشحه ـ أى عرقه ـ إلى أنصاف أذنيه"(٣) ويقول نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول: "اتق الله وأوف الكيل والوزن بالقسط فإن المطففين يوم القيامة يوقفون حتى إن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم"(٤)ويُرْوَى أن ابن عمرقرأ:﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ حتى بلغ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فبكى حتى سقط وامتنع من قراءة ما بعده ثم قال : "سمعت النبى ﷺ يقول : "يوم يقوم الناس لرب العالمين، فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فمنهم من يبلغ العرق كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ حِقْويْه، ومنهم من يبلغ صدره، ومنهم من يبلغ أذنيه حتى إن أحدهم

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٤ ، ٣٥ .
(٢) سورة المطففين الآيات ١ ـ ٦ .
(٣) أخرجه البخارى ومسلم ومالك .
(٤) تفسير القرطبى ١٠/ ٧٢٩٠ ط دار الغد العربى .

ليغيب فى رشحه كما يغيب الضفدع"(١) أى فى الماء. فهلا عمل هؤلاء الغشاشون حسابا لهذا اليوم وثابوا إلى رشدهم وقنعوا بالحلال وابتعدوا عن الحرام وحرصوا على طلب الحلال الذى هو واجب كل مسلم .

إننا نُذكّر كما أمرنا الله تعالى فى قوله:﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢). إن التاجر عليه مسئولية خطيرة فى مجتمعه فهو صمام الأمان فى كل مجتمع ، وله دوره الفعال فى تقدمه وازدهاره إذا كان حريصا على إعطاء الناس حقوقهم وعاملهم بمثل ما يحب أن يُعامَل به، إنه بذلك يكون عنصرا فعالا فى الترابط بين أفراد المجتمع ولذلك كان له الثواب العظيم من الله تعالى. فالرسول ﷺ يقول: "التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة"(٣)، ويقول: "إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا ائتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يمدحوا، وإذا كان عليهم لم يمطلوا، وإذا كان لهم لم يعسروا"(٤) ويقول عليه الصلاة والسلام : "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"(٥) فاللهم قنعنا بالحلال واجعلنا هداة مهتدين يا رب العالمين .

---

(١) تفسير القرطبى ١٠/ ٧٢٩١ ط دار الغد العربى .

(٢) سورة الذاريات : آية ٥٥ .

(٣) رواه الأصبهانى وغيره ــ عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ وانظر الترغيب والترهيب للمنذرى ٢/ ٢٨ .

(٤) أخرجه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب ١/ ٣٣٥ ــ عن معاذ بن جبل ــ رضي الله عنه ــ ومعنى لم يمطلوا: ولم يتهاونوا فى دفع ما عليهم من دين . ولم يعسروا أى لم يتشددوا فى المطالبة .

(٥) أخرجه الترمذى فى سننه ٣/ ٥٠٦، كتاب البيوع، باب ما جاء فى التجار، وقال هذا حديث حسن . وأخرجه ابن ماجة فى سننه ٢/ ٧٢٤ ، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب ــ عن أبىسعيد الخدرى ــ رضي الله عنه ــ.

٣٠. الإسلام يدعو إلى الاستفادة بالوقت واغتنام فرصة العمر في العمل الصالح

من الحقائق المسلم بها أن الإسلام دين يعرف قيمة الوقت ويقدر خطورة الزمن، ويعترف بالحكمة القائلة: "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك" ولذلك فإنه يجعل من دلائل الإيمان أن يعى المسلم هذه الحقيقة ويعرف أن الحياة مهما طالت فإنها قصيرة إذا قورنت بالحياة الآخرة فيسعى إلى ما ينفعه فى الدنيا والآخرة، ويعتبر هذه الحياة طريقا لتحصيل الخير والعمل الصالح. فمن الخداع أن يحسب المرء نفسه واقفا والزمن يسير . لذلك قال المصطفى ﷺ لعبدالله بن عمر : "إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدرى يا عبدالله ما اسمك غدا"[١]. فهذا الحديث الشريف أصل فى قصر الأمل فى الدنيا، فإن المؤمن لا ينبغى له أن يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا فيطمئن فيها، ولكن ينبغى أن يكون فيها كأنه على جناح سفر، وينتهز فترة حياته ليعمل ما ينفعه فى أخراه قبل أن يفوت العمر وينتهى الأجل ، وقد اتفقت وصايا الأنبياء وأتباعهم ، على أن رحلة الحياة قصيرة سرعان ما تنتهى ، وكان الرسول ﷺ يقول: "مالى وللدنيا، إنما مثلى ومثل الدنيا كمثل راكب قال — أى استظل — فى ظل شجرة ثم راح وتركها"[٢] ومن كلمات الحسن البصرى : "ما من يوم ينشق فجره إلا نادى مناد من قبل الحق تبارك وتعالى:يا ابن آدم..أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد، فتزود منى بعمل صالح، فإنى لا أعود إلى يوم القيامة" وهذا هو الحق الذى لا مراء فيه، فإن الحياة كما قال الحسن ﷺ : "أيام مجموعة، كلما مضى يوم مضى بعضك" وكما قال داود الطائى : "إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٣/ ٣٨٨ باب ما جاء فى قصر الأمل ٠

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ٤/ ١٧ باب الزهد. ولفظ الحديث . عن علقمة ، عن عبدالله بن عمر قال: "نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر فى جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال مالى وللدنيا، ما أنا فى الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها" ٠

مرحلة، حتى ينتهى ذلك بهم إلى آخر سفرهم"٠ ومع ذلك فإن بعض الناس يغفلون عن هذه الحقيقة ويطلقون لأنفسهم العنان فى الملذات والشهوات ويسترسلون فى عبثهم، حتى إذا استرخت أعينهم، ودخل ظلام الموت، تيقظوا ولكن هيهات، فقد صحوا بعد فوات الأوان ، إن شأن الناس فى الدنيا غريب. يلهون والقدر معهم جاد ، وينسون كل ذرة من أعمالهم محسوبة عليهم : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ (١) إن المسلم الواعى يهتم بالوقت اهتماما شديدا لأن الوقت عمره، فإذا سمح بضياعه وترك العوادى والشهوات تنهبه فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش ، وعلى ذلك فإن الإسلام يعتبر الذاهلين عن غدهم، المسحورين ببريق الدنيا وزينتها قوما خاسرين سفهاء. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) ومن الحقائق الثابتة أن الزمن يغضن الجباه، ويُضعف القوة، ويطوى الآجال، ويُفنِى الحضارات، ويقف الناس مشدوهين أمام عجائبه. هذا الزمن نفسه هو فرصة لإيقاظ الأذكياء لفعل الخير وإسداء المعروف، وادخار ما ينفعهم فى دنيا البقاء ، لذلك كانت نصيحة رسول الله ﷺ الغالية لابن عباس ﷺ وهو يعظه عظة بالغة "اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك"(٣) إنها عظة جامعة جمعت فأوعت، وحددت معالم الطريق كما بينت

---

(١) سورة آل عمران : آية ٣٠ ٠
(٢) سورة يونس : الآيتان ٧، ٨ ٠
(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٣٠٦ ٠

أسباب النجاة ، وما أحوجنا جميعا إلى هذه الأسباب التى إن لم نهتد بها فسنظل فى متاهات الحياة إلى أن نموت بعد حياة لاهية ، فكل واحد منا يجب أن يقف على حقيقة هذه الحياة قبل فوات الأوان، حتى لا يغتر بها فينشغل عن الهدف الأسمى وهو الرجوع إلى الله تعالى والموقف الذى لا محيد عنه .

فكل يوم يعيشه المؤمن غنيمة إن عرف طريق الله، وجعل نصب عينيه التزود للحياة الآخرة. إن عمر الإنسان رأس ماله الضخم،ولسوف يُسأل عن إنفاقه منه، وتصرفه فيه.روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال : "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه" فالواجب على المسلم المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها ويحال بينها وبينه إما بمرض أو موت أو تدركه نهاية هذه الدنيا التى لا يُقبَل معها عمل ، ومتى حيل بين الإنسان والعمل، لم يبق له إلا الحسرة والأسف، وأخذ يتمنى الرجوع إلى حال يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه الأمانى . يقول تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (١)

ولهذا يروى عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "ما من أحد يموت إلا ندم، قالوا وما ندامته يا رسول الله؟ قال: إن كان محسنا ندم

---

(١) سورة الزمر : الآيات ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨ .

أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئا ندم ألا يكون نزع"[١] ـ أى أقلع عما كان فيه من المعاصى ـ ولعل فى توزيع الشرع الحنيف عباداته الكبرى على أجزاء اليوم وفصول العام، ما يؤكد لكل ذى عقل وبصيرة أهمية الوقت والنظام الدقيق المحكم الذى يرتب الحياة ويقيسها بالدقائق من مطلع الفجر إلى مغيب الشمس، وأن الاستفادة بالوقت هو سبيل العقلاء، فإذا استبان لنا ذلك فإنه يتعين على المؤمن اغتنام ما بقى من عمره واستغلال الوقت فيما يعود عليه بالنفع فى دنياه وآخرته وأن يهتدى بهذا التوجيه الكريم : "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا" فكل يوم يعيشه المؤمن غنيمة كما قال سعيد ابن جبير ﷺ ، وكان الحسن ﷺ يقول فى موعظته للناس : "المبادرة المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التى تتقربون بها إلى الله عزوجل: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [٢] فالدنيا ما هى إلا طريق إلى الدار الباقية، فما أسعده من وعى ذلك فعمل لما بعد الدنيا وبادر إلى العمل الصالح قبل أن يعجزه الموت عن العمل.

نسأله سبحانه أن يوفقنا إلى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٤/ ٢٩، ٣٠، باب ما جاء فى ذهاب البصر.
(٢) سورة الزلزلة : الآيتان ٧، ٨ .

٣١- الإسلام يدعو المسلم إلى أن يحب لأخيه الإنسان ما يحب لنفسه

يحرص الدين الإسلامي على أن يقوم المجتمع الإسلامي على أساس من المحبة والتعاون الصادقين بين أفراده، ولن يتحقق ذلك إلا بالعلاقة الكريمة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، فيحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه، ولهذا كان هذا المبدأ الإسلامي العظيم أساس الإيمان الصادق للإنسان المسلم .

فالإنسان كما يقول علماء علم النفس والاجتماع ، مدني بطبعه، اجتماعي بفطرته، أي إنه لا يستطيع العيش وحده، ولابد له من مخالطة الآخرين والتعاون معهم حتى تسير الحياة وتنفذ المصالح بين بني‌البشر، ولذلك كان لابد من تشريع ينظم هذه العلاقة، ويجعل لها ضوابط وحدودا حتى لا تطغى مصلحة على مصلحة، أو يستغل قوى ضعيفا، أو مالك مستأجرا، أو صاحب سلطة وجاه عماله وموظفيه، فكان المبدأ الإسلامي الفاصل الذى أوجزه الرسول ﷺ في جملة واحدة حيث قال : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(١) نعم فإن خير ما يوطد العلاقة بين الناس جميعهم، ويزيدها قوة وتلاحما ويحفظ لكل إنسان حقه أن يحب المرء لأخيه الإنسان ما يحب لنفسه، وبالطبع يكره له ما يكرهه لنفسه، فلا يكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه، ولأهمية هذا المبدأ الإسلامي في التعامل بين الناس نجد أن هذا الحديث قد روى بروايات عدة: فقد خرج الإمام أحمد من حديث قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : "لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير" وروى الإمام مسلم الحديث بلفظ: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لجاره أو لأخيه ما يحب لنفسه" وقد روى أن النبي ﷺ قال لأبي‌هريرة: "أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا"(٢) وقد رتب النبي ﷺ دخول

---

(١) متفق عليه ـــ عن أنس ـــ ﷺ .

(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٢١ وبلفظ مختلف عن يزيد بن أسد في مسند أحمد ٤/ ٧٠ .

الجنة على هذه الخصلة. ففى مسند الإمام أحمد عن يزيد بن أسد القشيرى قال : قال لى رسول الله ﷺ : "أتحب الجنة؟" قلت: نعم. قال: "فأحب لأخيك ما تحب لنفسك" وفى صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال : "من أحب أن يُزَحْزَح عن النار ويدخل الجنة، فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتى إلى الناس الذى يحب أن يُؤْتَى إليه". فالمؤمن الكامل الإيمان هو الذى يسوءه ما يسوء أخاه المؤمن، ويحزنه ما يحزنه .

فهذا التوجيه النبوى الكريم يضع الإنسان المسلم أمام واجبه الإنسانى ويحارب فيه الأثرة وحب الذات، وخاصة إذا كان فيها ظلم لغيره أو اعتداء على حقوق الآخرين، ويدفع به إلى مجاهدة النفس الأمارة بالسوء فيتحقق بذلك الكمال الإيمانى ، وتقوم علاقة الناس ببعضهم على أساس من التعاون والإخلاص ، ولذلك نرى المصطفى ﷺ ينفى عن المسلم كمال الإيمان إن لم يحرص على أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وروايات الحديث بأكثر من رواية توضح أن الإخوة ليست قاصرة على الإسلام بل هى أخوة عامة تشمل الناس جميعهم سواء أكانوا إخوة فى الإسلام أم فى الإنسانية، وسواء أكانوا رفقاء وزملاء، أم جيرانا، أم كانوا أهلا وعشيرة. ومن هذه الروايات : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لجاره ما يحب لنفسه"(١).

ومعنى قول الرسول ﷺ : "لا يؤمن أحدكم .." ليس معناه نفى الإيمان عن المرء لأن الإيمان يتحقق بما نص عليه الرسول ﷺ بقوله : "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" ، وإنما المراد أن إيمان المرء لا يكون كاملا فلا يكون مؤمنا حقا كما أراد الله. يوضح ذلك الرواية التى تقول: "لا يبلغ عبد

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه ١/ ٦٨ ، وأبويعلى فى مسنده ٥/ ٣٣٩، ولفظ الحديث عن أنس ﷺ ، عن النبى ﷺ قال : "والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره أو قال لأخيه ما يحب لنفسه" .

حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير"[١] من فعل ذلك كان إيمانه كاملا صحيح العقيدة، ومن لم يفعله كان ناقص الإيمان فالإيمان يزيد وينقص حسب التزام المرء بما أمر الله به، كما أن هذه الرواية توضح المراد بما يحبه لأخيه وهو الخير، والخير اسم جامع للطاعات والمباحات الدنيوية حسية كانت كالغنى واليسار ، والأولاد، أو معنوية كالعلم والصحة والمكانة وسلامة اليقين، كما أنه يكره لأخيه ما يكرهه لنفسه من الفقر والحاجة والوقوع فى الآثام والذنوب، والبعد عن تقلبات الدهر إلى غير ذلك، فكل شخص يحب لنفسه وفرة المال وكمال الصحة وسمو القدر والمكانة المرموقة فى العمل، وكل شخص يريد أن يستمتع بطيبات الحياة فى الطعام والمسكن والملبس، فإذا ما وسع دائرة هذا الحب وتمنى تحقيق هذه الأمور وغيرها مما فيه النفع والفائدة له ولأخيه فهو إنسان كامل الإيمان، تغلب على الأثرة وحب الذات، فالمؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويحزنه ما يحزنه، ولو قامت العلاقة بين الناس على هذا المبدأ الإسلامى الكريم ما وجدنا فى مجتمعنا بائسا ولا محروما، وما حيكت المؤامرات والدسائس، ولا اطمأن كل فرد على ماله وعرضه، ولا اختفت من حياتنا ما تطالعنا به الصحف كل يوم من جرائم يشيب لها الولدان من اعتداءات على الأنفس والأعراض والأموال والممتلكات، ولانصرف الناس إلى العمل المنتج الذى يسهم فى تقدم الأمة ويحوطها بسياج من الحب الجماعى والتعاون المثمر الخلاق فما أجله من توجيه وما أعظمه من سلوك٠ يكفل للمجتمع الأمن والسلامة ولأفراده الترابط والتآخى والتعاون الذى يتحقق به كل خير وأمن وأمان ٠

---

(١) الأحاديث المختارة للمقدسى ٧/ ١٠٧ ط مكتبة النهضة الحديثة ــ مكة المكرمة ــ وموارد الظمآن للهيثمى ١/ ٣٨، ط دار الكتب العلمية ــ بيروت (عن أنس بن مالك) ٠

٣٢ـ الإسلام يدعو إلى البعد عن الإعجاب بالرأى واتباع هوى النفس

إذا كان الإسلام قد حرص على أن يكون الإنسان مستقلا فى رأيه وجعل له الحرية الكاملة فيما يقول وما يعتقد، فإنه فى الوقت نفسه لا يرضى منه التعالى والاعتداء على الآخرين والإعجاب بالرأى، ورفض ما يتعارض مع وجهة نظره، ودعاه إلى مجاهدة هذا المسلك والالتزام بأدب الحوار وقبول الرأى الآخر ما دام قائما على حجة وبرهان .

فالنفس الإنسانية عالم واسع يموج بعضه فى بعض، وتصطرع فيه نوازع الخير والشر، ثم هى إلى جانب ذلك تحكمها غرائز مختلفة ومتباينة، كحب الذات والأثرة، والاعتزاز بالنفس، والخوف والكبر، والتعالى على الآخرين، وما إلى ذلك من النوازع والغرائز التى إذا لم تُقَوَّم بالتربية الرشيدة والتوجيه السليم انحرفت بصاحبها عن طريق الحق والخير، وقادته إلى مواطن الشر والضلال، وتربية النفس على الفضائل بتنمية نوازع الخير فيها وتنحية دوافع الشر عنها هو بعض ما يفهم من قول الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (١) وقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (٢) وعلى ذلك فإن الواجب على كل إنسان أن يعمل فكره فى كل ما حوله حتى يكون اعتقاده ورأيه الذى يتحدث به إلى الآخرين قائما على حجة وبرهان ويقين واضح، وهكذا يجب أن يكون الإنسان المسلم فى كل ما يناقش من أمور أو يتحدث به إلى الآخرين. فلا ينحاز إلى رأى من الآراء ولا يعتنق مبدأ من المبادئ إلا إذا كان لديه من الأدلة ما يقنعه القناعة الكاملة بأن ما يقول به ويعلنه للناس هو الرأى السليم، والصواب الذى لا يحتمل الخلاف. فإذا ما ناقشه أحد فيما يقول فليكن بروح متسامحة تحترم الرأى الآخر وصوت هادئ بعيد عن الانفعال، والحرص على

---

(١) الأعلى ١٤ .
(٢) الشمس ٩، ١٠ .

تحرى الحق، فقد ورد عن سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه قوله : "ما حاججت أحداً إلا وتمنيت أن يكون الحق على لسانه" فإذا ظهر له الحق ابتعد عن المراء وهو الاستمرار فى الجدل والمكابرة، فإن هذا خلق مرفوض ومسلك مذموم، فالرسول ﷺ ينهى عن المراء بقوله: "من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم"(١) كما وعد تاركى المراء بالجنة بقوله : "من ترك المراء وهو مبطل، بنى له بيت فى ربض الجنة ـ أى حولها ـ ، ومن تركه وهو محق بنى له بيت فى وسطها ، ومن حسن خلقه بنى له فى أعلاها"(٢) وعن الإمام مالك بن أنس قال : "المراء يقسى القلوب ويورث الضغائن" فالواجب على الإنسان أن يبدى وجهة نظره لمن يحدثهم فإن اقتنعوا بها حصل المطلوب، وإن رفضوها، وناقشوه فيها بقصد الوصول إلى الحق ومقابلة الحجة بالحجة، فليكن ذلك فى جو أخوى بروح متسامحة ومنطق سليم وصوت هادئ بعيد عن الانفعال، فالله تعالى يقول : ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٣)

فإن ظهر له خطأ ما قال به وبان له فساده وأتى المناقشون بالأدلة الواضحة، فالواجب عليه أن يسارع بالعدول عن هذا الرأى إلى الرأى الصائب المبنى على الحجة الصادقة، وألا يشمخ بأنفه ويصر على رأيه ويمارى فى الحق ويرفض كل مناقشة ويغتر بنفسه، لأن هذا هو العُجْب بعينه والاستسلام لهوى النفس الأمارة بالسوء، وهو خلق يأباه الإسلام لأنه من شر الأمراض النفسية التى تصيب الإنسان ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : "إن أبغض الرجال إلى الله، الألد الخصم"(٤) ـ أى الشديد العناد فى الخصومة ـ فقد بين الرسول ﷺ فى هذا القول الحكيم أن أبعد الناس من رحمة الله ومحبته ومودته ومعونته، بل أحقهم ببغضه ولعنته وعذابه وعقوبته، الذى يشتد

(١) رواه ابن ماجة .
(٢) أخرجه الترمذى وابن ماجة .
(٣) النحل ١٢٥ .
(٤) أخرجه البخارى ومسلم .

فى خصومته ويجادل حتى يجندل خصمه ويتغلب عليه بغير علم كبرا وعجبا بنفسه، وهما بلا شك داءان مهلكان، فقد حذر منهما لقمان ابنــه فقــال : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (١) وقــال رســول الله ﷺ : "ثــلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه"(٢) فالجــدال بغير علم واتباع هوى النفس بغير حق لا يصدر إلا من صاحب فكــر سقيم وقلب مريض، ونفس متعالية متكبرة، وقد ذم الله الكبر والتعــالى فى مواضع كثيرة من كتابه الحكيم، وذم كل جبار معجب بنفسه فقال : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٣)

وقال جل شانه:﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (٤)

بل إن الرسول صلوات ربى وسلامه عليه قــد جعــل اتبــاع الهــوى والإعجاب بالرأى من علامات الساعة فقال لأبى ثعلبة ـــ حيث ذكــر آخر هذه الأمة ـــ : "إذا رأيت شحا مُطاعًا، وهوًى مُتَّبعًا، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك"(٥) وفى رواية : ثلاث مهلكات ، وثــلاث منجيات وثلاث كفارات ، وثلاث درجات ، فأما المهلكات : فشح مطاع ، وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه(٦) .

لذلك كان الواجب على كل إنسان أن لا يغتر بما أفاء الله عليــه من علم وفكر، وألا يظن فى نفسه أنه أصبح فوق المساءلة والمراجعة

---

(١) لقمان ١٨ .
(٢) رواه البزار والطبرانى فى المعجم الأوسط عن أنس بن مالك .
(٣) الأعراف ١٤٦ .
(٤) غافر ٣٥ .
(٥) أخرجه أبو داود والترمذى وحسنة ن وابن ماجة والبيهقى فى شعب الإيمان (٧٥٥٣) .
(٦) رواه الإمام أحمد فى مسنده بسند صحيح وراه الترمذى وصححه الألبانى.

لآرائه وما يقوله ويسطره. فالله تعالى يقــول:﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) والعلم بحر زاخر واسع الشطآن، ولا نهاية للمعلومات، ولا حدود للمقدورات ، فقد قال ﷺ : "منهومان لا يشبعان: طالــب علــم، وطالب دنيا"(٢) وعلى كل من بلغ قدرا من العلم والمعرفة أن يحمد الله بالتواضع والبعد عن الاغترار بالنفس، فمن تواضـــع لله رفعـــه، وأن يعمل بقول ابن المبارك: "لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل" فاللهم فقهنا فى ديننا وعلمنا العلم النافع، وارزقنـــا تواضع العلماء، بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين ٠

---

(١) سورة يوسف ٧٦ ٠
(٢) رواه ابن عدى فى الكامل ــ عن أنس ﷺ ٠

٣٣- من القيم الإسلامية الكريمة: المروءة

المروءة هي كل تصرف وسلوك من الإنسان قصد به نفع الآخرين وإسعادهم، وكان مدفوعا إليه بدافع إنسانى وأخلاقى ، إلا أنه وجب عليه من قبل الشرع الإسلامى. فصاحب المروءة إنسان بلغت فى نفسه المشاركة الإنسانية مبلغا يدفعه إلى معاونة ذى الحاجة، من صحته وماله وجاهه ومعرفته وعواطفه الوجدانية بدافع من الرابطة الأخوية الإنسانية، لا للقرابة أو المعرفة، ولا للرغبة فى جزاء الدنيا من حسن السمعة والصيت أو ثناء الآخرين، وكنتيجة منتظرة له، ولكنه يرجو به نفع أخيه الإنسان وثواب الله وجزاءه. فالمروءة عمل إنسانى وراء التكاليف والفروض الشرعية، وتدل على أن صاحبها خطا خطوة أخرى بعد الطاعة لأوامر الله ونواهيه، ودخل فى معنى الإنسان المهذب الشاكر لنعم الله عليه. ولهذا يروى أبوهريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر فى الدنيا يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما فى الدنيا ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه"(١) ويروى عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال : "ما أكرم شاب شيخا لسنه، إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه"(٢) ويروى ابن عباس ﷺ أنه ﷺ قال : "تبسمك فى وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الردئ البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة"(٣) ففى هذا الحديث الشريف يعرض المصطفى ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٧٤ ، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن •

(٢) رواه الترمذى — عن أنس •

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ٤/ ٣٣٩، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى صنائع المعروف، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه "الإحسان" ١/ ٣٤٨ •

لثلاثة أنواع من التصرف الإنسانى، جعلها جميعها صدقة، وكلها خارجة عن الفروض والتكاليف الشرعية ولكنها داخلة فى نطاق المروءة الإنسانية والتعاون الأخوى.

النوع الأول: لقاء غيرك بوجه طلق وبشاشة نفس، يدل على الانشراح والسرور بمقابلته، وهو نوع يتصل بوجدان الإنسان وعواطفه، فملاقاتك لأخيك الإنسان بوجه سمح، وإقبالك عليه بصدر رحب عمل إنسانى يدل على خلق كريم ونفس مؤمنة، ولذلك جعل الرسول ﷺ حسن الخلق من أحسن خصال الإيمان ، فقد خرج الإمام أحمد وأبوداود من حديث أبىهريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا".

وخرج أحمد وأبوداود والنسائى وابن ماجة من حديث أسامة بن شريك قال: قالوا يا رسول الله . ما أفضل ما أعطى المرء المسلم؟ قال: "الخلق الحسن" وقد أخبر النبى عليه صلوات الله وسلامه أن صاحب الخلق الحسن يبلغ بخلقه درجة الصائم القائم. فقد خرج الإمام أحمد وأبوداود من حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ : "إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم" .

والنوع الثانى: إرشادك لغيرك ونصحه وتوجيهه لما فيه مصلحته وهدايته. وهذا أيضا من المروءة والسعى فى خير الآخرين. فالدين النصيحة. فعن أبىرقية تميم بن أوس الدارى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : "الدين النصيحة. قالها ثلاثا. قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(١)وفى صحيح مسلم عن أبىهريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: "حق المؤمن على المؤمن ست: فذكر منها : "وإذا استنصحك فانصح له" فالنصح للآخرين وتوجيههم من أعظم الأعمال التى تدل على مروءة الشخص ومنزلته عند الله تعالى. يقول أبوبكر المزنى : "ما فاق أبوبكر رضي الله عنه أصحاب محمد ﷺ بصوم

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه، كتاب الإيمان ، باب الدين النصيحة ، صحيح مسلم بشرح النووى ٢/ ٣٧ .

ولا صلاة ولكن بشيء كان فى قلبه" يقول ابن عطية: "والذى كان فى قلبه : الحب لله عزوجل، والنصيحة فى خلقه"(١).

والنوع الثالث: تقديمك المعونة العملية لمن هو فى حاجة إليها. فإذا عاون الإنسان غيره لا بدافع القرابة بينهما ولا لصلة المعرفة أو الجوار مثلا ، بل للرابطة الإنسانية العامة كان هذا الإنسان ذا فضل عظيم ، وعُدَّ عمله عندئذ صدقة ينال جزاءها من الله وحده، وعُدَّ ذا مروءة وإنسانية لأنه لم يصدر فيما أتى من تصرف معنوى أو مادى عن تكليف كُلِّفَ به من قبل الشرع، ولا عن داعى القرابة أو العلاقة الخاصة، بل بدافع المشاركة الأخوية والمروءة الإنسانية.

فالمروءة أثر للتربية الإسلامية ونتيجة طبيعية للالتزام بشرع الله، فإذا كانت المروءة عملا إنسانيا بعد التكاليف والفروض الشرعية، فإن العبادات فى الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج مقدمات لتهيئة الإنسان لأن يكون ذا مروءة، لأن الالتزام بشرع الله يحمل على تخفيف الأنانية وأثرها فى نفس الإنسان، وعلى اندماجه بالتالى فى الجماعة، فتقوى الرابطة بينه وبين غيره، عندئذ يسير فى طريقه إلى المروءة بدافع من حسه الدينى وطبقا للمعنى الإنسانى المشترك. فالالتزام بأداء الفرائض ينمى الإحساس القوى بمشاركة الأخرين ويدفع بعد هذا الإحساس إلى معاونتهم والمشاركة الإيجابية فيما يعود على الجماعة بالنفع. وبذلك يكون الإنسان فى سلوكه إنسانيا يصدر فيه عن روح المشاركة، ويكون صاحب مروءة لأنه يمد يده للآخرين مصافحا أو منفقا، أو معينا ومساعدا، ويؤاخى ويؤازر .

أما أولئك الذين يتعالون على الآخرين ويقفون موقف المتفرج من مشكلات الناس ، ولا يسهمون بجهد أو عطاء فى سبيل تخفيف معاناة المحتاجين، فهم مجردون من المشاعر الإنسانية وهم بعيدون عن المروءة، لأنهم لم يدفعهم إيمانهم إلى الطريق القويم، ولم تصل بهم درجة الإيمان إلى التغلب على نزغات النفس الأمارة بالسوء، وهم فوق ذلك سيعود عليهم هذا الموقف المتخاذل بالوبال وسوء العاقبة فى الدنيا

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى ص٧٦ ط مكتبة الدعوة بالأزهر.

والآخرة . يروى جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلما فى موضع تُنْتَهَك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ قام ينصر مسلما فى موضع يُنتَقص فيه من عرضه، ويُنتَهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته"(١) .

نسأله سبحانه أن يجعلنا ممن يكونون فى حاجة الناس ويحرصون على نفع الآخرين .

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٢٧١ ، كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبته .

٣٤ـ محمد : الرحمة المهداة

فى ذكرى ميلاد المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه نجد أنفسنا أمام بحر زاخر بالعطاء الإنسانى الرحب، الذى شمل البشرية كلها بالفيوضات الأخلاقية الرائدة. فقد كان عليه الصلاة والسلام كما وصفه ربه عزوجل:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١).

فلقد شهد له الأعداء قبل المؤمنين بما كان عليه من أخلاق رفيعة، فهو الأمين، وهو الرحمة، وهو العدل والحب، والتواضع، والوفاء، والكرم، والإباء ، مما جعل سيرته العطرة على مر العصور نورا وضاء، وشذا تفوح نسائمه فى أرجاء الدنيا حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ففى هذه الذكرى العطرة تشرق علينا نور النبوة الخالدة، التى شاءت إرادة الله أن تكرم بها شهر ربيع الأول من بين سائر الشهور، فقد كانت الدنيا والعرب على وجه خاص قبل بعثته ﷺ فى ظلام دامس، وضلالة عمياء، وقسوة لا حدود لها، حتى ابتعد الإنسان عن إنسانيته، وتملكته نوازع الشر، وكانت القوة هى الحاكمة وصار الناس فى نزاع دائم أفزعت الآمنين، فى هذا الجو الخانق والضلالة العمياء أرسل الله محمدا بالهدى والرحمة، فشمل الناس برحمته واقتدى به أصحابه فأصبحت الرحمة سلوكا وخلقا لهم وعنوانا لأقوالهم وأفعالهم. فكان رسول الله ﷺ كما قال عن نفسه "إنما أنا رحمة مهداة"(٢) وكما أثنى عليه ربه عزوجل فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣) ولما قيل له: يا رسول الله، ادع على المشركين قال : "إنى لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة"(٤) فمحمدﷺ

---

(١) سورة القلم آية ٤ .
(٢) رواه الحاكم ــ عن أبى هريرة .
(٣) الأنبياء ١٠٧ .
(٤) رواه مسلم والبخارى فى الأدب المفرد ــ عن أبى هريرة .

رسول الرحمة،قد أرسله الله تعالى رحمة لجميع العالمين، رحمة للمؤمنين، ورحمة للكافرين، ورحمة للمنافقين،ورحمة لجميع بنى الإنسان:الرجال والنساء والصبيان، ورحمة للطير والحيوان، فهو رحمة عامة لجميع خلق الله تعالى، أما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فيوضحها قول الله تعالى : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) أى يعز عليه الشىء الذى يعنت أمته ويشق عليها، حريص على هدايتكم، ووصول النفع الدنيوى والأخروى إليكم، ولذلك اختار الله له من أسمائه القدسية اسمين: الرءوف والرحيم، فقال عنه : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ قال ابن عباس : "لم يجمع الله بين اسمين من أسمائه إلا له عليه الصلاة والسلام" وقال الحسن بن الفضل: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبى محمد ﷺ ، فإنه قال : "﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾" وقال : "﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾"(٢).

أما عن شفقته ورحمته وتواضعه الجم مع الصغار فإن المواقف لا تحصى ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يمسح رءوس الصبيان إذا ما التقى بهم ويقبلهم فى عطف وحنان واضحين. ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : قبل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ابنى علىّ وعنده الأقرع ابن حابس التميمى جالس فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا قط، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : "من لا يَرْحَم لا يُرْحم" فقد كان عليه الصلاة والسلام يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا مع الناس جميعا. فعن أسامة بن زيد ﷺ قال : كان رسول

---

(١) التوبة ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٨ وانظر: تفسير القرطبى ٤/ ٣٢٢٨ ط دار الغد العربى .

الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول : "اللهم ارحمهما فإني أرحمهما"(١) وعن أنس قال : "ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من النبي ﷺ "(٢) وكان يلاطف الصبيان ويسلم عليهم ويمسح رءوسهم، وكان أحيانا يَصُفّ بعضهم ثم يقول : من سبق إليّ فله كذا وكذا فيسبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره ﷺ وهو جالس فيلتزمهم ويُقبِّلهم"(٣) وكان إذا رجع من سفر تلقاه الصبيان من أهل بيته فرحا به، لما يعلمون من لطفه ورحمته، فكان يحمل هذا على يديه ، وهذا يردفه خلفه، إنها الرحمة التي دعا إليها رسول البشرية، فعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"(٤).

أما عن مظاهر رحمته ﷺ في بعض المواقف الشاجية، فلقد كان ﷺ يفيض قلبه بالرحمة والحنان حتى إنه كان يتأثر تأثرا عظيما بما يشق على الآخرين أو يؤلمهم، لأنه وثيق الصلة بأبناء أمته وهو جزء منهم يشق عليه ما يشق عليهم، حتى إنه إزاء بعض المواقف لا يتمالك نفسه فينهمر الدمع من عينيه الشريفتين . روى البخاري عن أنس بن مالك قال : دخلنا مع رسول الله ﷺ على أبي يوسف القين، وكان ظئرا لإبراهيم ـ أي والدا لمرضعته ـ فأخذ رسول الله ﷺ إبراهيم ولده وقبله ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبدالرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله؟ فقال : يا ابن عوف إنها الرحمة" ثم قال : "إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون" وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رفع إليه ابن ابنته وهو في الموت ففاضت عيناه ، فقال له سعد بن معاذ: ما

(١) رواه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٢٣٦، وأحمد في مسنده ٥/ ٢٠٥ .
(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٨٠٨ ومسند أحمد ٣/ ١١٢ .
(٣) رواه أحمد في المسند بإسناد حسن .
(٤) رواه أبو داود في سننه ٤/ ٢٨٥، والترمذي في سننه ٤/ ٣٢٣، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء"(١) ومن مظاهر رحمته عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا رأى أحد أصحابه فى شدة أو بأس يحزن لذلك حزنا شديدا ويرق قلبه ويبكى متأثرا بما هو عليه. فعندما زار سعد بن عبادة فى مرضه ـ وكان معه عبدالرحمن بن عوف ـ فلما رآه بكى فبكى من معه" وكان عثمان بن مظعون الصحابى الجليل أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع. يروى ابن عباس أن النبى ﷺ دخل على عثمان بن مظعون حين مات فانكب عليه ورفع رأسه، ثم حنى الرأس ثانية، ثم حنى الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق" وفى رواية أنه قبّل بين عينيه ثم بكى طويلا"(٢) فصل اللهم وسلم تسليما كثيرا كثيرا على محمد الرحمة المهداة وجازه ياربنا عنا خير ما جازيت نبيا عن أمته •

---

(١) حديث متفق عليه •
(٢) حلية الأولياء ١/ ١٠٥، الاستيعاب ٣/ ١٠٥٥ ، سير أعلام النبلاء ١/ ١٥٦

٣٥- الإسلام يحض على اختيار الأصدقاء

مما هو معروف فى علم الاجتماع أن الإنسان مدنى بطبعه، أى إنه يألف ويؤلف، ويحتاج إلى من يأنس إليه ويتحدث معه ويشاركه الرأى فيما يعن له وما يريد، لذلك كان التعارف والصداقة أساس العلاقات البشرية •

يقول تعالى فى محكم التنزيل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١) فديننا الإسلامى يدعو إلى الأخوة والصداقة التى تؤلف بين القلوب وتجعل من أتباعه على اختلاف الأزمنة والأمكنة وحدة راسخة. بل إن هذه الأخوة هى روح الإيمان الحي . يقول المصطفى ﷺ : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"(٢) كما أن أعباء الحياة كثيرة والمتاعب تنزل بالناس فى تلاحق وتتابع، والإنسان وحده أضعف من أن يقف طويلا تجاه هذه الشدائد والصعاب التى كثيرا ما تعترض طريقه، ولئن وقف فإنه يبذل من الجهد ما كان فى غنى عنه لو أن له إخوة وأصدقاء ظاهروه ووقفوا بجانبه، يشدون من أزره ويشاركونه أمره ، ولهذا كان التعارف والتآخى ضرورة من ضرورات الحياة ويوضح الرسول ﷺ لنا هذه الأهمية فيقول : "ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"(٣) ولهذا من الله تعالى على عباده المؤمنين بهذه النعمة وهو يدعوهم إلى الوحدة وعدم التفرقة فى

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٣ •

(٢) رواه البخارى ومسلم، والترمذى والنسائى — عن أبىموسى الأشعرى — ﷺ

(٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه — عن النعمان بن بشير — كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم — صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ١٣٩ •

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١) وهذه الأخوة نعمة من نعم الله الجليلة، لا تُشْتَرَى بالمال أو بالأعراض الدنيوية، ولكنها تتم بفضل الله سبحانه وتعالى وقدرته. يقول جل في علاه : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) .

ورابطة الأخوة الإسلامية هي أقوى الروابط وأعظمها على الإطلاق، ولذلك نجد أن أواصر الأخوة الإسلامية هي التي جمعت بين أبناء المسلمين لأول مرة وأقامت دولته ، ورفعت رايته ، وعليها اعتمد رسول الله ﷺ في تأسيس الأمة الإسلامية التي صابرت وحاربت قوى البغي والعدوان والوثنية الحاقدة، وسائر الخصوم المتربصين بالدعوة الإسلامية. فقد كان أول عمل قام به الرسول ﷺ بعد أن استقر به المقام في المدينة أن آخى بين المهاجرين والأنصار مما كان سببا في تدعيم موقف الإسلام ، وتآزر المسلمين مهاجرين وأنصار في منظومة فريدة غير مسبوقة، يسعى كل واحد منهم إلى خير أخيه، ويؤثره على نفسه ويبذل ما وسعه في سبيل إسعاده، فالصاحب هو العضد القوى والساعد الأيمن للمرء في حياته، وما ينتابه من ملمات وسراء وضر، فالصداقة والأخوة في الله زاد يتزود به الإنسان المسلم، ويتسلح به في خضم هذه الحياة الممتلئة بالمتاعب والصراعات، فقد تأتي على الإنسان فترات

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .
(٢) سورة الأنفال : آية ٦٣ .

فتور، أو غفلة أو نسيان أو استجابة لوسوسة الشيطان فلو كان وحده لتمادى واستمرأ تلك الأحوال، وقد ينتهى به الأمر إلى الزلل والهلاك، أما إذا كان له صحبة صالحة فلن تتركه إلى نفسه وفكره السقيم، إذا افتقدوه فى مجال العمل الصالح، وسيبحثون عنه لينصحوه ويُذكّروه ويعاونوه على نفسه وشيطانه. وفى ذلك أمن له وعون وزاد فى مواجهة هذه الحياة وتقلباتها •

أما عن الأسس التى يجب أن تقوم عليها الصداقة والصحبة حتى تؤتى ثمرتها المرجوة فهى كثيرة من أهمها : أن يكون الصديق فاضلا متحليا بالأخلاق الكريمة، ولن يكون كذلك إلا إذا كان مؤمنا إيمانا صادقا يرعى الله فى كل ما يقول وما يفعل، فعن أبىسعيد الخدرى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقى"[١] وإذا كان الرسول ﷺ قد وجهنا فى هذا الحديث إلى مصاحبة المؤمن فإن السبب فى ذلك هو أن المؤمن ليس خائنا ولا كذابا فقد قال ﷺ "يُطبَع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب"[٢] وهو المؤتمن كذلك على النفس والعرض والمال . فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : "المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم"[٣] فمصاحبته تكون منفعة وخيرا دائما وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : "المؤمن منفعة، إن ماشيته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن شاركته نفعك، وكل شيء من أمره منفعة"[٤] هذا بالإضافة إلى أن من يصاحبه يتخلق بأخلاقه الكريمة التى لا يكمل إيمانه إلا بها. وقد بين لنا رسول الله ﷺ أثر هذه الصحبة عن طريق المقارنة بين صحبة الأخيار وصحبة الأشرار الذين فسدت طباعهم وساءت أخلاقهم فيما يرويه أبو موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير

(١) رواه أحمد، وأبوداود، والترمذى، وابن حبان والحاكم •
(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان — عن ابن عمر — ﷺ — وهو حديث حسن
(٣) رواه ابن ماجة — عن فضالة بن عبيد — وهو حديث حسن •
(٤) رواه أبونعيم فى الحلية — عن ابن عمر — ﷺ •

إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة"[١] فهذا الحديث يبين لنا أثر الصحبة فى سلوك الإنسان، فالجليس الصالح هو الذى ترتاح إليه نفسك ويطمئن به فؤادك، وتنتعش به روحك، تطرب لحديثه، وتنعم بمجالسته، وتسعد بصحبته، إنه عدة فى الرخاء، وعون فى الشدة، وبلسم الفؤاد وراحة النفس. ولذلك شبهه الرسول ﷺ ببائع الطيب الذى ينفحك بعطره الذكى ويغمرك برائحته الفواحة، فإما أن يهديك وإما أن تشترى منه طيبا وهو خير ما يُشْتَرَى ، وإما أن تجد عنده ريحا طيبة تنتعش بها، فأنت معه وفى صحبته فى ريحان دائم ونشوة غامرة، أما جليس السوء فليس هناك أبلغ من تشبيهه بالحداد الذى ينفخ فى كيره، فأنت معه فى خسارة دائمة، فإن لم يحرقك بشرار ناره المتطاير من الكير، زكم أنفك بدخانه الصاعد من نار كيره، فصحبته لا نفع فيها بل إنها ضارة وأذى يلحق بك. ولهذا قيل: "من جالس جانس" لأن النفس تقتبس الخير أو الشر من الجلساء ولهذا أمرنا الله تعالى بصحبة الصالحين فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٢] كذلك فإن من شروط اختيار الأصدقاء أن تكون هذه الأخوة والصحبة لله وفى الله، لا لغرض دنيوى. يقول المصطفى ﷺ "أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله وتبغض فى الله"[٣] فالذين يعيشون فى ظل الحب والأخوة فى الله يحسون بسعادة وراحة نفسية لا يحظى بمثلها من يجتمعون على عَرَض من أعراض الدنيا، والصحبة الصالحة التى لا غرض لها سوى الحب فى الله تضاعف من قدرات الإنسان وطاقاته، فحينما يفكر فى أمر فكأنما يفكر بعقول إخوانه جميعا، لأنه يسترشد بآرائهم وحينما يقوم بعمل فهم جميعا عون له بطاقاتهم وخبراتهم، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه. فما أعظم الزاد الذى يحظى به الإنسان فى الصحبة الصالحة، حينما يدعو له إخوانه

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) سورة التوبة: آية ١١٩ .
(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٤/ ٢٨٦ ـ عن البراء بن عازب ـ ﷺ

بظهر الغيب بدعوات صالحات وهى دعوات مستجابة كما أخبرنا بذلك سيد الخلق محمد ﷺ ، فعن أبى الدرداء ﷺ : أنه سمع رسـول الله ﷺ يقول: "ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهـر الغيـب إلا قـال الملـك الموكل: ولك بمثل ذلك"(١).

فاللهم اجعلنا من المؤمنين الذين يألفون ويؤلفون وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٩٤ ، كتاب الذكر والدعاء، بـاب فضـل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ٠

٣٦. الإسلام يدعو إلى البعد عن الغيبة والطعن في أعراض الناس

يحرص الإسلام على أن تقوم علاقة الناس ببعضهم على الحب والتناصر وحفظ أعراضهم وأموالهم وحقوقهم، حتى تتوطد دعائم الأخوة بينهم، ويقوم المجتمع الصالح الذى يحب فيه المرء لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه، ولذلك وجدنا الشرع الحنيف ينهى عن كل ما يسئ إلى الآخرين أو ينال منهم وفى مقدمة ذلك البعد عن الغيبة.

ولذلك أقام العلاقة بين أبناء مجتمعه على دعامتين أساسيتين: **أولاهما:** رعاية الأخوة التى هى الرباط الوثيق بين بعضهم مع بعض، **والثانية:** صيانة الحقوق والحرمات التى حماها الإسلام لكل فرد منهم، من دم وعرض ومال.وعلى هذا الأساس فإن كل عمل أو قول أو سلوك فيه عدوان على هاتين الدعامتين أو جرح لها يحرمه الإسلام ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

﴿... فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) فالإسلام دين المحبة والإخاء ولكل فرد فى المجتمع كرامته، والجماعة الإسلامية كرامتها واحدة، وعرض كل إنسان مصان لا يصح لأحد أن يلوكه أو ينال منه ولذلك قال الله تعالى:﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ وقد أراد الرسولﷺ أن يحدد مفهوم الغيبة لأصحابه عن طريق تعليمه بالسؤال والجواب فقال لهم : "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره" ، قيل أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته(٢) ــ أى افتريت عليه ــ ومعنى ذلك أن كل ما يكرهه الإنسان من تناول خَلْقه وخُلُقه ونسبه وكل ما يخصه بالذم والطعن فيه فهو غيبة . ولذلك تقول السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها: قلت للنبى ﷺ حسبك من صفية ــ زوج النبى ﷺ ــ كذا وكذا تعنى أنها قصيرة، فقال عليه الصلاة والسلام : "لقد قلت كلمة لو مُزِجت بماء البحر لمزجته"(٣) ــ أى غيرته ــ فالغيبة شهوة الهدم للآخرين ، إنها شهوة النهش فى أعراض الناس وكراماتهم وحرماتهم وهم غائبون ، إنها دليل على الخسة والجبن لأنها طعن من الخلف ومظهر من مظاهر السلبية ، وهى معاول من معاول الهدم لأن هواة الغيبة قلما يسلم من ألسنتهم أحد بغير طعن ولا تجريح، فلا عجب إذا صورها القرآن الكريم فى صورة منفرة تتقزز منها النفوس وتنبو عنها الأذواق: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾

فالإنسان يأنف أن يأكل لحم أى إنسان، فكيف إذا كان لحم أخيه المسلم؟ وكيف إذا كان ميتا؟ ولذلك ظل الرسول ﷺ يؤكد هذا التصوير القرآنى

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠ ــ ١٢ .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه ــ كتاب البر والآداب ــ باب تحريم الغيبة صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/ ١٤٢ عن أبىهريرة .

(٣) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٢٦٩ كتاب الأدب ــ باب الغيبة .

فى الأذهان ويثبته فى القلوب، كلما لاحت فرصة لهذا التأكيد والتثبيت، حتى يعرف الناس بشاعته ويرعووا وينزجروا ويبتعدوا عن هذا المسلك الذميم، يقول ابن مسعود ﷺ : "كنا عند النبى ﷺ فقام رجل — أى خرج من المجلس — فوقع فيه رجل من بعده أى تحدث عنه بما يكره، فقال النبى ﷺ لهذا الرجل : "تخلل" أى استعمل عود الخلال حتى تخرج ما بين أسنانك من نتن — فقال الرجل ومم أتخلل ما أكلت لحما؟ قال : "إنك أكلت لحم أخيك"(١) ولبشاعة هذا العمل كان السامع شريك المغتاب فى الإثم إن لم ينصر أخاه فى غيبته ويرد عنه، فالرسول ﷺ يقول : "من ذَبَّ — أى دافع — عن عرض أخيه الغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار"(٢) ويقول : "من رد عن أخيه فى الدنيا رد الله عن وجهه النار يوم القيامة"(٣) فإن لم يستطع رد ألسنة المغتابين المفترسة عن عرض أخيه، فأقل ما يجب عليه أن يعتزل هذا المجلس ويعرض عن القوم، حتى يخوضوا فى حديث غيره وإلا فإنه مثلهم فى ارتكاب الجرم كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ (٤) .

وإذا كان الله تعالى قد صور هؤلاء المغتابين بمن يأكلون لحوم الناس الموتى؟ فإنما يدل ذلك على أن هذا العمل مستقذر وحرام فى الدين وقبيح فى النفوس ، فمن تنقص مسلما أو ثلم عرضه فقد أكل لحمه ميتا وهى جريمة بشعة وداء عضال وذنب عظيم، فقد روى أحمد وأبوداود عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : "لما عُرج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس،

---

(١) مجمع الزوائد ٨/ ٩٤ ، والمعجم الكبير ١٠/ ١٠٢ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٠١ ، كتاب البر والصلة، باب تحريم الغيبة — عن أبىالدرداء — .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ٤/ ٣٢٧، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى الذب عن عرض المسلم وقال: حديث حسن .
وروواه ابن أبىالدنيا فى كتاب الصمت، حديث ٢٥٠ ، ورواه أبونعيم فى الحلية ٧/ ٢٥٧ .

(٤) سورة النساء — آية ١٤٠ .

ويقعون فى أعراضهم" وعن المستورد بن شداد رضـــى الله عنـــه أن رسول الله ﷺ قال : "من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كُسِيَ ثوبا برجل مسلم، فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة وريـــاء يـــوم القيامة"(١) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : "من بهت مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى طينة الخبال"(٢) أى فى عصارة أهل النار. فالغيبة كبيـــرة مـــن الكبائر، ولكن الله فتح باب التوبة لمن يقع فيها وكفارتها عنـــد بعـــض العلماء: الاستغفار لمن اغتابه ، وقال آخرون: كفارتها الاستحلال منها وهو أن يطلب ممن اغتابه مسامحته والعفو عنه، فقد خرج البخـــارى من حديث أبىهريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "مـــن كانـــت لـــه مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه اليوم قبل ألا يكون لـــه دينار ولا درهم، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمتـــه، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه"(٣).

فاللهم اعصم ألسنتنا من السوء واجعلنا دائما يا رب العالمين فى طاعتك ورضاك .

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٢٧٠ ، كتاب الأدب ، باب الغيبة .

(٢) أخرجه ابن النجار عن على ــ الجامع الكبير ٤/ ٣٢١ ، والبهت: الكـــذب والافتراء ، راجع النهاية ١/ ١٦٥، وطينة الخبال: عصـــارة أهـــل النـــار، والخيال فى الأصل: الفساد ويكون فى الأفعال والأبدان والعقـــول . راجـــع النهاية ٢/ ٨ .

(٣) متفق عليه ــ من حديث أبى هريرة .

٣٧- الإسلام يدعو إلى البعد عن النميمة والإيقاع بين الناس

من المبادئ الإسلامية العظيمة أن المسلمين إخوة تجمعهم أخوة الدين مع أخوة البشرية، ولذلك دعا الناس جميعا إلى التواصل والتراحم والاتحاد وأن تقوم العلاقة بينهم جميعا على الاحترام المتبادل وصيانة مشاعرهم والحفاظ على أعراضهم وأموالهم وألا يحدث منهم ما يعكر صفو هذه العلاقة فلا يتباغضون ولا يتنابذون بالألقاب، ولا يتشاحنون ولا يتجسس أحد على أحد أو يحاول الاطلاع على معايبه، فلكل إنسان حرمته التى يجب أن تصان ولا تنتهك، ومن ذلك الغيبة والنميمة. والغيبة أن يذكر الإنسان أخاه الإنسان فى غيبته بما يكره أما النميمة فهى: الوشاية والسعاية للإفساد بين الناس، فينقل المرء ما يسمعه عن شخص إليه على وجه يوقع بين الناس ويكدر العلائق بينهم أو يزيدها كدرا، ولشناعة الغيبة والنميمة نجد أن النميمة تذكر دائما بجوار الغيبة لاقترانها بها فهما من الكبائر، وقد نزل القرآن بذمهما والتنفير منهما، فيقول سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ [١] فالهماز هو الطعان فى الناس أى المغتاب، ومشاء بنميم: الناقل لحديث الناس للإفساد بينهم ٠

وقد عدت الشريعة الإسلامية النميمة من الكبائر التى حرمها الله تعالى ووعدت الواقعين فيها بالعذاب الأليم، فعن همام بن الحارث قال: مر رجل على حذيفة رضى الله عنه فقيل إن هذا الرجل يرفع الحديث إلى الأمراء، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "لا يدخل الجنة قتات"[٢] والقتات هو النمام، وقيل النمام هو الذى يكون مع جماعة يتحدثون حديثا فينم عليهم أى ينقل أقوالهم ، وأما القتات فهو الذى يتسمع عليهم أى يتجسس عليهم وهم لا يعلمون ثم ينم عليهم أى ينقل

(١) سورة القلم آية ١٠، ١١، ١٢ ٠
(٢) متفق عليه ٠

[illegible] بيناء [illegible]
من الوقوع في هذا الخزي [illegible] ما يفعله هؤلاء ولذلك
نفى رسول الله عنهم دخول الجنة لتكون النار مأواهم وبئس المصير. لأنه ليس هناك إلا الجنة أو النار فإذا ثبت أنه لا يدخل الجنة ثبت أن مأواه النار. ومما ورد في التنفير من هذه الخصلة الذميمة ما رواه أبو وائل قال: "بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يدخل الجنة نمام"(١) وروى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد بن السكن أن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال الذين إذا رؤوا ذكر الله عزوجل ثم قال: ألا أخبركم بشراركم: المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العنت"(٢) وسماها رسول الله الحالقة فقال: "فإن فساد ذات البين هي الحالقة" أي التي تحلق أعمال الخير وتقضي عليها، فقد خرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال: "إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة"(٣). وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة"(٤) أي لا يتنزه عن بوله ولا يتوقاه. ولذلك قال قتادة — ﷺ — ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم •
(٢) أخرجه أحمد وابن ماجة •
(٣) أخرجه أبوداود في سننه ٤/ ٢٨٠، كتاب الأدب، باب إصلاح ذات البين. وابن حبان في صحيحه (الإحسان) ٧/ ٢٧٥، والترمذي في سننه ٤/ ٦٦٣، كتاب صفة القيامة باب رقم (٥٦) وقال: هذا حديث صحيح، ومعنى الحالقة: أي التي تحلق الخير وتستأصله كما يستأصل الموسى الشعر •
(٤) رواه الشيخان •
(٥) إحياء علوم الدين للغزالي ٣/ ١٤٠ ط الحلبي •

إن الإسلام ينفر من أولئك الذين يسمعون كلمة السوء فيبادرون بنقلها تزلفا أو كيدا أو رغبة فى الهدم والإفساد ، بل إن شهوة الهدم عندهم تدفعهم إلى أن يزيدوا على ما سمعوا ويختلقوا إن لم يسمعوا، دخل رجل على عمر بن عبدالعزيز فذكر له شيئا عن رجل آخر يكرهه. فقال له عمر :"إن شئت نظرنا فى أمرك، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾(١)

وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية :﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾(٢)

، وإن شئت عفونا عنك، فقال الرجل العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود لذلك أبدا"(٣) فهذا درس لكل من تسول له نفسه الاستماع إلى أحاديث الناس ونقلها إلى أصحابها ليوقع بين الناس ويوغر صدورهم على بعضهم. فهؤلاء شرار الناس كما أخبرنا بذلك سيد الخلق محمد ﷺ . فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: أتدرون من شراركم؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال: شراركم ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه"(٤) ندعوه سبحانه أن يعصمنا من الزلل، وأن يكف ألسنتنا عن قالة السوء، وأن يرطب ألسنتنا بذكره تعالى وشكره، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة الحجرات آية ٦ .
(٢) سورة القلم آية ١١ .
(٣) إحياء علوم الدين للغزالى ٣/ ١٥٣ ط عيسى الحلبى .
(٤) متفق عليه .

٣٨. النظافة من الإيمان

لقد حرص الإسلام على أن يتعود أبناؤه نظافة الحس والنفس وطهارة الظاهر والباطن. فالله تعالى يقول: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[١]

ويقول: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾[٢] والرسول ﷺ يدعو إلى النظافة، فيقول: "الطهور شطر الإيمان"[٣] والمراد أن التطهر بالماء من الأحداث نصف الإيمان، كما يقول: "تنظفوا بكل ما استطعتم فإن الله تعالى بنى الإسلام على النظافة ولن يدخل الجنة إلا كل نظيف[٤]. ولعل فى فرض الوضوء للصلوات الخمس كل يوم والاغتسال من الجنابة والحيض ودم النفاس ما يدل دلالة قاطعة على اهتمام الإسلام بالنظافة وحرصه عليها وجعلها فى مقدمة الأولويات التى يطالب بها المسلمين، والرسول ﷺ يوضح حرص الإسلام على النظافة فيقول لأصحابه: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه – من أوساخه – شيء؟ قالوا لا يا رسول الله. قال: فذلكم الصلاة يمحو الله بهن الخطايا[٥] ورسولنا ﷺ هو القدوة لنا فى ذلك فقد كان ﷺ حريصا على النظافة بكل جوانبها، وكان المثل الأعلى فى ذلك فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يعتنى بنظافة بدنه ويأمر بذلك، ويغتسل كل أسبوع مرة على الأقل، ويحافظ على غسل يديه قبل الطعام وبعده،

---

(١) سورة التوبة : آية ١٠٨ .
(٢) سورة المائدة : آية ٦ .
(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ١/ ٢٠٣، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء – عن أبي مالك الأشعرى – ﷺ – .
(٤) فيض القدير للمناوى ٢/ ٢٧٠ عن عائشة رضى الله عنها .
(٥) أخرجه البخارى فى صحيحه (فتح البارى) ٢/ ١١ ، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة – عن أبى هريرة، ومسلم فى صحيحه ٤٦٢/١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشى إلى الصلاة .

ويحرص على استعمال السواك فى كل أحواله، بل إننا نجده يوضح لنا كيفية استعمال السواك حتى نتخلص من فضلات الطعام التى توجد بين الأسنان. فتروى السيدة عائشة رضى الله عنها أنـــه ﷺ كـــان يســـتاك عرضا ولا يستاك طولا(١). وهذا ما يقرره الطب الحديث ويـــأمر بـــه حتى لا تخدش الفرشاة اللثة أو تتسبب فى أذاها، ولما كان للسواك أثر عظيم على الصحة فقد حث عليه ﷺ ودعانا إلى استعماله دائما فقال : "لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة"(٢) كما كـــان يعتنى بتخليل أسنانه بعد تناول الطعام ويقول : "حبذا المتخللـــون مـــن أمتى" فقيل له وما المتخللـــون؟ فقـــال: المتخللـــون فـــى الوضـــوء، والمتخللون فى الطعام، أما تخليل الوضوء فالمضمضـــة والاستنشـــاق وبين الأصابع، وأما تخليل الطعام فلأنه ليس شيء أشد على الملكـــين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قـــائم يصـــلى" (٣). إنـــه توجيه كريم وأدب رفيع، وخلق حميد، كما كان يحـــافظ علـــى تعهـــد أطراف بدنه بالنظافة وإزالة الأوساخ عنها من قص شاربه وأظـــافره ونتف إبطه وحلق عانته، وكان يتجمل ويحث على ذلك فيقـــول : "إن الله تعالى جميل يحب الجمال، سخى يحـــب الســـخاء، نظيـــف يحـــب النظافة"(٤) ، وكانت الرائحة الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيبا، ومـــع ذلك كان يتطيب بالطيب ويكثر دهن رأسه وتسريح لحيته، ويكتحـــل. فعن ابن عباس قال: "كان للنبى ﷺ مكحلة يكتحل منها، كل ليلة: ثلاثة فى هذه وثلاثة فى هذه"(٥) ويروى عن عبدالله بن عبـــاس قـــال: قـــال

(١) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ١/ ٤٠ عن ربيعة بن أكثم .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه (فتح البارى) ٢/ ٣٧٤، كتاب الجمعة، بـــاب السواك يوم الجمعة ــ عن أبى هريرة ، ومسلم فى صحيحه ١/ ٢٢٠، كتـــاب الطهارة، باب السواك، وأحمد فى المسند ٢/ ٢٤٥، وابن خزيمة فى صحيحه ٧٢/١ .

(٣) رواه الطبرانى ــ عن أبى أيوب .

(٤) رواه ابن عدى فى الكامل ــ عن ابن عمر ــ .

(٥) رواه الترمذى، وابن ماجة .

رسول الله ﷺ : "عليكم بالإثمد — أى الكحل — فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر"[١].

فالنظافة سلوك ومظهر كريم من مظاهر الإسلام ، وفضيلة من الفضائل التى حرص الإسلام على أن نغرسها فى نفوس أبنائنا منذ الصغر، وفى مقدمتها النظافة لأن العقل السليم فى الجسم السليم، وخير ما نهتدى به فى ذلك توجيهات الرسول ﷺ وملاحظاته: فقد روى أبوهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : "من كان له شعر فليكرمه"[٢] كما نهى رسول الله ﷺ عن أكل الثوم والبصل عند دخول المسجد فقال: "من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجدنا"[٣] ويقول: إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوآدم، ويروى الإمام مالك فى الموطأ أن رجلا جاء إلى النبى ثائر الرأس واللحية فأشار إليه الرسول وكأنه يأمره بإصلاح شعره، ففعل ثم رجع فقال عليه الصلاة والسلام : "أليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان"؟

فقد دعا الإسلام الإنسان المسلم إلى أن يكون نظيفا فى نفسه وملبسه، وأن يظهر فى المجتمع بمظهر لائق يشرح صدور الناس ولا يؤذيهم بمنظره أو رائحته ولهذا حث على نظافة الأطراف والأفواه وبخاصة أثناء الاجتماعات والالتقاء بالناس، فقد دعانا إلى التزين عند الذهاب إلى المسجد فقال تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[٤] كما حث على النظافة والتجمل فى أوقات الجمعة والأعياد فقال ﷺ : "ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبى مهنته"[٥] وحث على التطيب والاغتسال يوم الجمعة حتى لا يتأذى أحد من رائحة عرقه يقول ﷺ : "غُسْل يوم الجمعة

---

(١) رواه أبونعيم فى الحلية .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) رواه البخارى ومسلم — عن جابر بن عبدالله — .
(٤) سورة الأعراف: آية ٣١ .
(٥) رواه ابن ماجة — عن عائشة — رضى الله عنها — .

واجب على كل محتلم ــ أى بالغ ــ وسواك وأن يمس طيبا"[١] وروى ابن عباس قال: قال ﷺ : "إن هذا اليوم يوم عيد، جعله الله للمســلمين، فمن جاء منكم إلى الجمعة فليغتسل وإن كان له طيــب فلــيمس منـــه وعليكم بالسواك"[٢] كما كان يراعى المناسبات والأحوال فإذا جاء إليه وفد من العرب كان يتجمل بثوبه أو بجبته أو بما هو حاضر لديه بمــا يناسب المقام، وإذا جاء العيد كان يلبس حلة مخصوصة ويأمر أصحابه بذلك فيقول: "أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة فى الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش"[٣] نســأله ســبحانه أن يجعلنا من الطاهرين المتطهرين الذين يألفون ويؤلفون.

---

(١) رواه النسائى، وابن حبان ــ عن أبىسعيد الخدرى ــ .
(٢) رواه ابن ماجة فى سننه ١/ ٣٤٩، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ١/٢٨٦
(٣) رواه الحاكم ــ عن سهل بن الحنظلية .

٣٩- الإسلام يدعو إلى المحافظة على العهود والوفاء بها

لما كانت طبيعة الحياة التى نعيشها توجب علينا أن يختلط الناس ببعضهم، وأن يتعاونوا فيما بينهم، مهما اختلفت أجناسهم، وعاداتهم وأوطانهم، فإن الأعمال على اختلاف أشكالها وألوانها، كالتجارة والزراعة والصناعة والتعليم والسفر والبيع والشراء وما إلى ذلك من أمور الحياة، لا تتم ولا تؤتى ثمارها المرجوة إلا بالتعاون بين الناس، ولن يكون التعاون بناء ومحققا أهدافه إلا بالثقة المتبادلة التى تحقق الاطمئنان، فبالثقة تنتظم الأمور، وتسير الحياة وتُؤَدَّى الأعمال على الوجه الذى يعود بالنفع والفائدة على الجميع، ولن يتحقق ذلك إلا إذا أدى كل إنسان ما عهد به إليه وألزم نفسه الوفاء بما اتفق عليه ووعد به، فإذا قال اليوم قولا لا ينقضه غدا، وإذا وعد غيره بشىء وفىَّ به، وإذا عقد عقدا مع غيره التزم بما جاء فيه، ولهذا حرص ديننا الحنيف على تربية الإنسان المسلم على هذا الخلق الكريم، وحث عليه وامتدح من تخلق به، حتى ينشأ نشأة فاضلة، ويكون عضوا نافعا فى مجتمعه، يحظى بحب الناس، واحترامهم وثقتهم، ويتحمل مسئولياته فى هذه الحياة، ويؤدى رسالته فى تعاون بناء والتزام أخلاقى كريم، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ (١) ويقول: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍ ﴾ (٢) ففى

(١) سورة المائدة آية ١ .
(٢) سورة النحل ٩١ ، ٩٢ .

هذا القول الحكيم يأمر الله تعالى عباده بالوفاء بالعهود، والاستقامة على شريعة الله فى العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك، والالتزام بكل وعد وبكل عهد، فإن المؤمن تقى وفى، صدوق أمين، إذا حَدَّث صدق، وإذا وعد وفىَّ، وإذا ائتمن على شىء لم يخن فيه، وهذه هى القيم التى توثق دعائم المجتمع، فالوفاء بالعهود والوعود هـو الضـمان لبقـاء عنصر الثقة فى التعامل بين الناس، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمـع، ولا تُبْنَى حضارة، ولا تنهض أمة ولا تعز، ولا يكتفى القرآن الكـريم بتوجيه المؤمنين إلى الأمر بالوفاء بالعهد والنهى عـن نقضـه وإنمـا يستطرد لضرب الأمثال وتقبيح حال الناكثين للعهود فى أبـدع صـور التمثيل، يمثل لهم ذلك فى الآية السابقة بصورة امرأة حمقـاء ملتاثـة العقل ضعيفة الرأى والعزم تغزل غزلا ثم تنقضـه، وتتركـه قطعـا محلولة مبعثرة هنا وهناك، تقضى وقتها فيما لا فائدة منـه إلا التعـب والعناء وسوء التصرف، " كالتى نقضت غزلها من بعد قـوة أنكاثـا" ويؤكد القرآن فى آيات كثيرة على الوفاء بالعهود مثل قولـه تعـالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (١) فالوفاء بالعهد أمانة يحاسب عليها المؤمن، وهو إلى جانب ذلك فضيلة خلقية تثمر الخيـر، وتنم عن كرم النفس، وشرف الطبع ، وسمو الخلق، فمما لا شك فيـه أن انتشار الثقة فى ميدان التجارة وشتى المعاملات الاقتصادية أساسـه افتراض الوفاء فى أى تعهد، ولذلك يقول المصـطفى ﷺ : "المسـلمون عند شروطهم"(٢) من هنا كان الوفاء بالحق واجب مع المؤمن وغيـر المؤمن، فالفضيلة لا تتجزأ، فلا يكون المرء خسيسا مع قوم، كريما مع آخرين، فالمدار يعود على موضوع العهد، فمـا دام خيـرا فـإقراره والالتزام به حتم مع كل فرد، وفى كل حين ومكان.

وذلك لأن الغدر وعدم الوفاء بالعهود مفسد لنظام الحيـاة، فهـو يعوق التقدم ، ويضر بالآخرين، ويفتح باب شر مستطير فى العلاقـات بين الناس، فتنعدم الثقة بينهم وتضطرب المصالح، ولا تُنْجَز الأعمال.

---

(١) سورة الإسراء ٣٤ .

(٢) رواه الحاكم عن أنس بن مالك ﷺ .

فما من جماعة فقدت الوفاء بالعهود إلا ضل سعيها وخـاب قصـدها وحل بها البلاء، ومن هنا اجمعت الشرائع على ذم من يخلـف الوعـد وينقض العهد، وجعله رسول الله ﷺ مـن علامـات النفـاق ، فعـن أبى هريرة ﷺ قال : "آية المنافق ثلاث: إذا حـدث كـذب، وإذا وعـد أخلف، وإذا أؤتمن خان"(١) فنكث العهد لون من ألوان الكذب، والكذب رأس النفاق وهو صفة ذميمة لا تتفق مع الإيمان وتتعارض معه، لأن المؤمن الحق يأبى على نفسه الكذب ويتحرى الصدق والالتـزام بمـا عاهد ووعد به، فخيانة العهود وعدم الوفاء بها مظهـر مـن مظـاهر الغدر وفساد الأخلاق التى تنـزع الثقـة وتثيـر الفوضـى، وتمـزق الأواصر، وترد الأقوياء ضعافا واهنين.

وقد وعد الله الأوفياء بعهودهم ومواثيقهم الجزاء الأوفى ، يقـول تعـالى: ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢)

وهو كما يقول المفسرون الجنة دار الأبرار . ويقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ (٣) كما وصف الله تعالى الموفين بعهـودهم بـأنهم أولـوا الألباب، يقول سـبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ١/ ٨٣، ٨٤، كتاب الإيمان، بـاب علامـات المنافق ، ومسلم فى صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق حـديث رقم ٥٩ .

(٢) سورة الفتح آية ١٠ .

(٣) سورة المؤمنون: الآيات ٨، ٩، ١٠، ١١ .

﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴾ (١) ويروى ابـن مسـعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البـر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتـى يُكْتَب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلـى الفجـور، وإن الفجور يهدى إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكـذب حتى يُكْتَب عند الله كذابا"(٢).

أما جزاء الغدر ونكث العهود فهو اللعنة من الله وفـى الآخـرة عذاب أليم، يروى أنس ﷺ فيقول : "ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قـال: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"(٣). وعن على بـن أبى طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ذمة المسلمين واحدة، يسعى بهـا أدناهم، فمن أخفر مسلما[أى غدر بعهده ونقضه]فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلا ولا صرفا"(٤) ويقول سبحانه موضحا جزاء ناكثى العهود: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (٥) نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، ونسأله الهداية والرشاد.

---

(١) سورة الرعد آية ١٩، ٢٠ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١٠/ ٥٠٧ ، كتاب الأدب ، باب قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ ومسلم فـى صـحيحه ٤/٢٠١٢، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله .

(٣) رواه أحمد وابن حبان .

(٤) رواه الحاكم عن عائشة بلفظ "ذمة المسلمين واحدة، فإن جارت عليهم جائرة فلا تخفروها فإن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة" .

(٥) سورة البقرة آية ٢٧ .

٤٠. الإسلام يدعو إلى توطيد العلاقة الطيبة بالجار والصبر على أذاه

يقول علماء الاجتماع: إن الإنسان مدنى بطبعه أى إنه بحكم وجوده فى المجتمع لابد أن يختلط بالآخرين ويقيم علاقات معهم ويتعامل معهم فى تسيير أمور حياته، والجار أقرب إلى الإنسان من أهله وعشيرته وعلاقتنا به ضرورة لابد منها، فهى طبيعة من طبائع البشر وظاهرة من ظواهر المجتمع،ولهذا أوصى الإسلام بالجار وأحاط هذه الرابطة بما يعلى من قدرها، ويرفع من شأنها، ويصون حقوقها ويحفظ بقاءها فى تراحم ومودة ومحبة، فأمر بالمحافظة على الجار والإحسان إليه وصون كرامته وعدم الإساءة إليه وأن نتغاضى عما قد يكون منه من إساءة، فلقد قرن الله تعالى الإحسان إلى الجار بالإحسان إلى الوالدين وذوى القربى واليتامى والمساكين ووضع هذه الحقوق مع حقه سبحانه وتعالى فقال جل شأنه : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (١)

فالإحسان والتعامل الكريم واجب مع الجار ذى القربى وهو الذى قرب جواره أو هو الذى له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين، وإلى الجار الجنب، أى البعيد، أو هو الذى لا تربطنا به قرابة، وإلى الصاحب بالجنب وهو الرفيق فى السفر، والزميل فى العمل، ومن كان شريكا لك أو له معك أدنى صحبة، مسلما كان أو كافرا، فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن، قيل : يا رسول الله : من؟ قال: الذى لا يأمن جاره بوائقه" ــ أى شروره ــ وهذا عام فى كل جار، فالرسول

---

(١) النساء : الآية ٣٦ .

ﷺ يؤكد فى هذا الحديث على ترك أذى الجار بقسمه ثلاث مرات وأنه لا يؤمن الإيمان الكامل من آذى جاره. كذلك فقد أخرج أبوبكر البزار وأبونعيم فى الحلية عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ : "الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقا، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقا، فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ، له حق الجوار ، وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم له حق الإسلام، وحق الجوار ، وأما الذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام، وحق الرحم" وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ قال : "ما آمن بى من بات شبعان، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم"[١] فالإحسان إلى الجار أكبر شاهد على قوة الإيمان وكماله وهو ما أمرنا به الله ورسوله، ودعانا ديننا الحنيف إلى الالتزام به، ولهذا حرص السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم على الإحسان إلى جيرانهم ابتغاء مرضاة الله ورسوله، وتعاملوا مع جيرانهم بتعاون ومحبة وصفح عن الزلات وتجاوز عن الإساءات.

وحقوق الجار كثيرة. فقد أخرج البخارى ومسلم عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : "مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" وهذه الوصية تشمل الحرص على إيصال كل خير إلى الجار ودفع كل أذى عنه. وقد ورد حديث شريف جمع فيه النبى ﷺ أهم هذه الحقوق وهو حديث معاذ بن جبل قال : "قلنا يا رسول الله ما حق الجار؟ قال: إن استقرضك أقرضته، وإن استعانك أعنته، وإن احتاج أعطيته، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير سرك وهنَّيته، وإن أصابته مصيبة ساءتك وعزَّيته، ولا تؤذه بِقُتار قدرك ــ أى برائحة طعام قدرك ــ إلا أن تغرف له منها، ولا تستَطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح إلا بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فأهد له منها وإلا فأدخلها سرا، لا يخرج ولدك بشىء منه يغيظون به ولده، هل تفقهون ما أقول لكم؟. لن يؤدى حق الجار إلا

(١) رواه الطبرانى والبزار .

القليل ممن رحم الله"(١) هذه هى عظمة الإسلام، وهــذه هــى مبادئــه السمحة ٠

وهذا هو التعاون والتراحم بين بنىالبشر فى أجل صوره وأرقــى معانيه. استمع معى إلى ما رواه مسلم عن أبىذر قال: قال رســول الله ﷺ : "يا أبا ذر ، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك"، ومــا يرويه مجاهد حيث يقول : ذبحت لعبدالله بن عمرو شاة فى أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودى؟ ثلاث مرات، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"٠

أما إيذاء الجار والإساءة إليه فى عرضه أو ماله أو فى شخصــه أو مشاعره فقد حذرنا منها الشرع الحنيف تحذيرا شديدا ، ففى مســند الإمام أحمد عن المقداد بن الأسود ﷺ قــال : قــال رســول الله ﷺ لأصحابه : "ما تقولون فى الزنا؟ قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، وهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ : "لأن يزنى الرجل بعشــر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بحليلة جاره" قال : "مــا تقولــون فــى السرقة؟ قالوا: حرام حرمها الله ورسوله فهى حرام إلى يوم القيامــة، قال: "لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره" ، وهاهو رسول الله ﷺ يرتب دخول النار على إيذاء الجــار أو الإساءة إليه، فقد خرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبى هريرة قال: قيل يا رسول الله: إن فلانة تصلى بالليل، وتصوم النهار، وفى لســانها شىء تؤذى جيرانها سليطة، قال: "لا خير فيها هى فــى النــار" كمــا طالبنا بالصبر على أذاه والتغاضى عن إساءاته ٠يقول الحسن البصرى ﷺ : "ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار، بــل حســن الجــوار الصبر على أذى الجار" وقد جاء فى المسند والترمذى عن عبدالله بــن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال : "خير الأصحاب عنــد الله تعــالى

---

(١) أخرجه الطبرانى فى مكارم الأخلاق، وأبوالشيخ فى كتاب التوبيخ، وانظــر فتح البارى ١٠/ ٢٤٢ ٠

خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجـاره" ولـن يتحقق له ذلك إلا بالصفح عن إساءاته والتجاوز عن أخطائـه، فهـذا عبدالله بن مسعود ﷺ جاءه رجل فقال لـه: "إن لـى جـارا يـؤذينى ويشتمنى ويُضيّق علىَّ. فقال له عبدالله: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه"[١] ولهذا جاء فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أن مـن جملة من يحبهم الله عزوجل : رجل كان له جار سوء فصبر على أذاه حتى يكفيه الله إياه بحياة أو مـوت" فـاللهم اجعلنـا مـن الصـابرين المحتسبين ٠

(١) إحياء علوم الدين للغزالى ٢/ ١١٢ طبعة عيسى البابى الحلبى ٠

٤١ـ الإسلام يدعو إلى التخلق بحسن الخلق

يحرص الإسلام على إرساء القيم الكريمة بين أفــراد المجتمــع ليكون مجتمعنا متعاونا متضامنا يحب بعضه بعضا، ويسعى أفراده فى تواد وتراحم إلى ما يعود عليهم بالخير، ويسير بمجتمعهم نحو غاياتــه الفاضلة التى تحقق خيرى الدنيا والآخرة. ومن هذه القــيم الكريمــة: الأخذ بمكارم الأخلاق والتعامل مع الناس جميعا بالخلق الحسن، وقــد نوه الإسلام بذلك ودعا إلى تربية المسلمين على هذا الخلق وتنميته فى نفوسهم، واعتبر إيمانَ العبد بفضائل نفسه، وإسلامه بحُسن خلقه. ولهذا أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ بحســن الخلــق فقــال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1] كما أمره بأن يكون ذلك منهجه فــى تبليغ دعوته فقال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [2] وقال: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [3] كمــا جعــل الأخلاق الفاضلة سببا فى دخول الجنة فقال ســبحانه: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [4] ولهذا جاءت آيات كثيــرة

---

(١) سورة القلم : الآية ٤ .

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٣) سورة فصلت: الآية ٣٤ .

(٤) سورة آل عمران : الآيتان ١٣٣، ١٣٤ .

من القرآن الكريم تأمر الرسول ﷺ وأمته بالأخذ بمكارم الأخلاق والتخلق مع الناس بالخلق الحسن، وترك الغلظة والفظاظة، وعدم مقابلة السفهاء بمثل سفههم وجهلهم ، بل بالصفح والحلم والعفو عن المسيء، يقول سبحانه: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (١) وهذه الآية على وجازتها قد جمعت الفضائل الإنسانية التى دعا إليها الإسلام وحذرت من مساوئ الأخلاق، ونهت عن كل رذيلة، ودعت إلى كل فضيلة ــ وهذا من أسرار الإعجاز القرآنى ــ فقد أُعْطى رسول الله ﷺ جوامع الكلم كما أعْطِىَ روائع القرآن. ولهذا يُرْوَى أنه لما نزلت هذه الآية الكريمة جاء جبريل عليه السلام إلى النبى ﷺ فقال يا محمد : "إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك، وتصل من قطعك"(٢) وهذا وإن كان خطابا للنبى ﷺ فإنه تعليم وتأديب لجميع الخلق ليقتدوا بسيرة سيد الأولين والآخرين.

وقد قرر بعض المفسرين أن هذه الآية وهى قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ قد تضمنت قواعد الشريعة فى المأمورات والمنهيات.

فهى تتكون من ثلاث جمل هى : "خذ العفو" وهذه الجملة يندرج تحتها صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين، والجملة الثانية: "وأمر بالعرف" ويدخل فيها صلة الأرحام، وتقوى الله فى الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، والجملة الثالثة: "وأعرض عن الجاهلين" وتشمل الحض على التعلق بالعلم والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

(٢) الحديث ذكره الألوسى فى روح المعانى ٣/ ١٨٨ .

عن منازعة السفهاء، أو مساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة . وقد جمع رسول الله ﷺ هذه الخصال لجابر بن سليم. يقول جابر بن سليم أبوجرّى : ركبت قعودى ـ أى جملى ـ ثم أتيت إلى مكة فطلبت رسول الله، فأنخت قعودى بباب المسجد، فدلونى على رسول الله، فإذا هو جالس عليه بُرْدٌ من صوف فيه طرائق حمر، فقلت: السلام عليك يا رسول الله. فقال : "وعليك السلام" فقلت: "إنا معشر أهل البادية قوم فينا الجفاء، فعلمنى كلمات ينفعنى الله بها. قال: ادن" ثلاثا، فدنوت فقال: أعد علىَّ ، فأعدت عليه، فقال: "اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا، وأن تلقى أخاك بوجه منبسط، وأن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى ، وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه، فإن الله عزوجل جاعل لك أجرا وعليه وزرا، ولا تسبن شيئا مما خولك الله تعالى"، قال أبوجرى: فوالذى نفسى بيده: ما سببت بعده شاة ولا بعيرا"[١] ولهذا يروى البخارى فى صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن الزبير فى هذه الآية وهو قوله تعالى :﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ قال: "ما أنزل الله هذه الآية إلا فى أخلاق الناس" وروى سفيان بن عيينة عن الشعبى أنه قال : "إن جبريل عليه السلام نزل على النبى ﷺ فقال له النبى : ما هذا يا جبريل؟ فقال: لا أدرى حتى أسأل العالم، وفى رواية: حتى أسأل ربى. فذهب فمكث ساعة ثم رجع فقال :"إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطىَ من حرمك، وتصل من قطعك"[٢] فهذه قمة الأدب والأخلاق الفاضلة

---

(١) الحديث ذكره السيوطى فى الجامع الكبير ١/ ١٤٢ مع اختلاف فى بعض ألفاظه من رواية أبىداود الطيالسى، وأحمد والنسائى وغيرهم والحديث فى الجامع الصغير ١/ ٨ .

(٢) الحديث ذكره الألوسى فى روح المعانى ٣/ ١٨٨ .

وثوابها عند الله عظيم . فعن أبىالدرداء أن النبى ﷺ قال : "ما شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن"(١).

وقد نظم أحد الشعراء هذه المعانى فى قوله :

مكــارمُ الأخــلاق فــى ثلاثــةٍ .:. مَنْ كَمُلت فيــه فــذلك الفتــى
إعطاءُ مَنْ تَحْرِمْه، ووصْلُ مَــنْ .:. تَقْطَعْه، والعفوُ عمَّــنِ اعْتَــدى

فهذه هى مكارم الأخلاق التى جمعتها هذه الآية الكريمة، يقــول جعفر الصادق: "ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق مــن هــذه الآية"(٢) فطوبى لمن حسنت أخلاقه وما أسعد من وصل من قطعــه ، وعفا عمن ظلمه، وأعطى من حرمه ، نسأله سبحانه أن يجعلنا ممــن حسنت أخلاقهم فيأخذون العفو ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصفحون عن الجاهلين. آمين آمين . والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٢٥٣، كتاب الأدب، باب فى حســن الخلــق. والترمذى فى سننه ٤/ ٣٦٢، كتاب البر والصلة باب فى ما جاء فى حســن الخلق. وقال: هذا حديث حسن صحيح .

(٢) تفسير القرطبى ٤/ ٢٨٧٢ طبعة دار الغد العربى.

٤٢- الإسلام يحث على المحافظة على نظافة الشوارع والمرافق العامة

لقد حرص ديننا الإسلامى على دعوة المسلمين إلى النظافة بكل جوانبها، من نظافة البدن والهيئة والمطاعم والمشارب والمساكن والشوارع والأماكن والمرافق العامة، وطالبنا بأن نحرص على ذلك، لأن العناية بالنظافة والصحة جزء من عناية الإسلام بقوة المسلمين المادية والأدبية. والمحافظة على نظافة الشوارع والمرافق العامة فى صورة نظيفة يعكس مدى تقدير الفرد للمسئولية، ووعيه المستنير.

ولعل دعوة الدين الإسلامى إلى نظافة البيوت وتخليتها من الفضلات والقمامات حتى لا تكون مباءة للحشرات ومصدرا للعلل، هو المنطلق الأول إلى الدعوة إلى نظافة الشوارع والمرافق العامة والحفاظ عليها . فإذا عاش الإنسان فى مسكن نظيف وتعود الاحتفاظ بما فيه مرتبا منظما نظيفا، دعاه ذلك إلى أن يلتزم بهذا المسلك الراشد فى الشارع إذا خرج إليه ، وفى المرافق العامة التى يستعملها والتى هيأتها له الدولة لكى تسهم فى إضفاء البهجة والسعادة على نفسه، وتهيئ له الراحة وتبعد عنه الأذى والتعب البدنى والنفسى . فقد رُوى أن رسول الله ﷺ قال : "إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم"(١) كما جعل إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، واعتبر هذا العمل اليسير الجليل صلاة مرةً، وصدقة مرة أخرى . ففى الحديث الشريف : "حملك عن الضعيف صلاة، وإنحاؤك الأذى عن الطريق صلاة"(٢) ويقول فى حديث آخر : "بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن

(١) رواه الترمذى وقال: حديث حسن[الجامع الصغير للسيوطى]جـ١ صـ١٠٩

(٢) رواه ابن خزيمة فى صحيحه ٢/ ٣٧٦ عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ومجمع الزوائد للهيثمى ٣/ ١٠٤، وذكره صاحب كتاب تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر الحجاج المروزى ٢/ ٨١٢ .

الطريق صدقة"[١] كما وجه الأنظار إلى عدم قضاء الإنسان حاجته إلا فى أماكن معزولة حتى تذهب الفضلات فى مستقر سحيق، فلا يتلوث بها ماء، ولا يتنجس طريق أو مجلس ، فعن جابر أن النبى ﷺ نهى أن يبال فى الماء الراكد[٢]، وعنه أيضا أنه نهى أن يبال فى الماء الجارى[٣] وعن معاذ قال : "قال رسول الله ﷺ اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد ـ أى موارد الماء ـ وقارعة الطريق، والظل"[٤] أى إن هذه الأمور الثلاثة تجلب على فاعلها اللعنة وغضب الله تعالى، وعن أبىهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : "اتقوا اللاعنين. قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: الذى يتخلى فى طريق الناس أو ظلهم"[٥] وعن حذيفة بن أسيد أن النبى ﷺ قال : "من آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليهم لعنتهم"[٦] فالطريق مكان عام للناس أجمعين يجب المحافظة عليه وعلى نظافته وكف أى أذى يقع فيه، وذلك بعدم إلقاء الأوساخ وفضلات الأطعمة فى الطرقات أو التبول والتبرز فيها، لما فى ذلك من إيذاء الناس بهذه القاذورات وما ينتج عنها من رائحة كريهة تكون سببا فى تجميع الذباب والبعوض الذى ينقل الأمراض ويصيب الناس بالأذى والأمراض، بل إننا مطالبون بأن ننحى أى أذى عن الطريق حتى لو كان ذلك حجرا صغيرا أو قشرة فاكهة أو غير ذلك مما يكون فى الطريق. فعن أبىهريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "نزع رجل ـ لم يعمل خيرا قط ـ غصن شوك عن الطريق، إما كان فى شجرة فنزعه وألقاه، وإما كان موضوعا فأماطه، فشكر الله له

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٥/ ٣٠٩، كتاب الصلح، باب فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم، ومسلم فى صحيحه ٢/ ٦٩٩، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٠

(٢) رواه مسلم فى كتاب الطهارة، باب النهى عن البول فى الماء الراكد، حديث رقم ٢٨١ ٠

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط بإسناد جيد"الترغيب والترهيب للمنذرى" ١/١٠٠

(٤) رواه أبوداود، وابن ماجة، والحاكم، والبيهقى ٠

(٥) أخرجه مسلم ٠

(٦) رواه الطبرانى فى الكبير ، وقال حديث حسن صحيح ٠

فأدخله الجنة"[١] وعلى ذلك فإن كل من يشغل الشارع بعرض بضاعته ويضيق على الناس طريقهم، أو يضع المقاعد للجلوس عليها ويسد بها طريق النـــاس، أو يلقـــى بالفضــــلات والقمامــــة فيهـــا أو بالفواكـــه والخضروات الفاسدة إنما يرتكب إثما عظيما فى حق نفسه وفى حـــق دينه ومجتمعه واستحق كما أخبرنا المصـــطفى ﷺ لعنـــة الله والنـــاس أجمعين .

فالدين الإسلامى يطالب كل فرد من أفراده بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وأن يكره له ما يكرهه لنفسه ويحرص على أن يقوم المجتمع الإسلامى على أساس من المحبة والتعاون الصادقين. فكل شخص يحب أن يحافظ على ماله وعلى ممتلكاته ولا يسمح لأحد بأن يعتدى على ما يمتلكه أو يقع تحت سلطانه، فإذا ما وسع دائرة هذا الحب وجعل هذه المشاعر على نفس القدر بالنسبة لأخيه المسلم، فهو إنسان كامل الإيمان عقيدته صحيحة، والمرافق العامة التى هيأتها الدولة لجميع أفراد المجتمع وقدمتها لهم خدمات جليلة تعود عليهم بالنفع والفائدة وإن كانت ملكا للدولة فهى ملك لأفراد المجتمع، واجبنا أن نحافظ عليها وأن نحميها من كل عبث أو اعتداء عليها، وأن نكون حراسا عليها كما نحرس أملاكنا الخاصة، وندفع عنها أى جور أو اعتداء، وأن نتصدى لأولئك العابثين الذين لا يستشعرون واجبهم نحو مجتمعهم فيعتدون على سيارات النقل العام، فيمزقون كسوة المقاعد أو يكتبون على جوانب هذه السيارات كتابات مبتذلة، أو يلقون بالفضلات والأوراق فى داخل هذه السيارات، أو يجتمعون فى المتنزهات التى تسعدهم بجوها النقى ورياحينها الفواحة وأزهارها الجميلة، لكنهم مع ذلك لا يخرجون منها إلا وقد شوهوها بفضلات أطعمتهم ونزعوا بعض أغصان أشجارها وعاثوا فى أرضها فسادا. إن هذه الأعمال لا تصدر إلا من إنسان لا يقدر المسئولية، ولا يكترث بالقيم والسلوك القويم، وهو بهذه الأعمال يقف حجر عثرة فى سبيل تقدم الأمة

---

(١) رواه أبو داود .

وانطلاقها فى التنمية والبناء من أجل الارتقاء بالإنسان، والنهوض بالخدمات التى تعود عليه بالنفع والفائدة. لقد كانت النظافة والمحافظة على أموال الناس وممتلكاتهم سمة المسلمين الأوائل، وعلامتهم المميزة لهم بين الأمم، بفضل التزامهم بأدب الإسلام وسنة نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام، فكانت أحياؤهم ودورهم ومساكنهم تعرف بنظافتها وطهارتها وطيبها، وتتميز بذلك عن دور المشركين. فالنظافة وعدم تلويث الأماكن العامة أو تشويهها سمة ديننا الحنيف التى ميز الله بها المسلمين على غيرهم، فعلينا أن نلتزم بهذا الهدى الإسلامى الكريم حتى ننهض بمجتمعنا ونسير فى طريق التقدم ونلحق بركب الحضارة. نسأله سبحانه أن يجعلنا من المتطهرين الذين يلتزمون بما أمر به ديننا الحنيف •

٤٣ - الإسلام يدعو إلى الإنفاق فى سبل الخير والنهوض بالمجتمع

مما يحرص عليه الإسلام أن يكون أفراده متعـاونين متـرابطين يعملون على نفع بعضهم البعض، ويسعون إلى ما فيه مصلحة النـاس أجمعين، وما من شأنه أن ينهض بمجتمعهم ووطنهم، ولهذا دعا إلـى الإنفاق فى سبيل الله تعالى. يقول جل شأنه : ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

وسبيل الله كما يرى كثير من الفقهاء هـو المصـلحة العامـة للأمـة والمجتمع، أى ما ارتفع فوق مصـلحة أشـخاص معينـين محـددين، والمصلحة العامة للأمة أو للمجتمع هى كل ما يحفظ عليهـا تماسـك جماعتها ووحدتها، ويقيها عدوان أعدائها، ويحقق لها قيمها وأهـدافها، ويصون علاقات أفرادها من المنازعات والخلافـات، ويرفـع حقـد النفوس وتآمرها، ويسبب لها استقرارها ونماءها، ويهيئ لهـا فـرص العمل من أجل حياة كريمة عزيزة لأفراد المجتمع، فكل ما جلب النفع العام ودفع الشر عن الناس وأزال البؤس والفاقـة عـن المحتـاجين والمعوزين، وفرج الكرب عن المكروبين، كالإنفاق فى المشـروعات النافعة، وفى وجوه الخير والبر، وإزالة الجهل ومحو الأمية، ومساعدة العجزة والضعفاء، وإنشاء الملاجئ والمستشفيات والمعاهد والمدارس ، وبناء الدور لرعاية المسنين وأصحاب العاهات، والتبرع لتسليح جيوش المسلمين فى أى بقعة من بقاع الأرض، كل ذلك أمر الإسلام به وحثنا على المسارعة إليه ما دمنا قادرين وبما نستطيعه مهما قل، يـروى أن فقيرا دخل وهو عار على رسول الله ﷺ فتصدق عليـه الرسـول ﷺ بثوبين، ثم جاء فقراء بعده فدعا الرسول إلى الصدقة عليهم فقام ذلـك الفقير وخلع أحد ثوبيه اللذين تصدق الرسول عليه بهما وتصدق بـه، فقال الرسول ﷺ : "ألا ترون إلى هذا دخل عاريـا فتصـدقنا عليـه بثوبين، فلما دعوت إلى الصدقة تصدق بأحدهما مع أنه فى حاجة إليه،

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

إن الرحمة قد خالطت دمه، وإن الإيمان قد ملأ قلبه" فهذا هو التعـاون والتراحم الذى حث عليه الإسلام ولذلك نجد دعوة الإسلام الكريمة إلى الإنفاق فى سبيل الله مبثوثة فى كثير من الآيات القرآنية. يقول تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ (١) ويقـول : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٢) ويقـول جـل فـى عـلاه : ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾(٣) والرسول ﷺ قد أشاع هذه الدعوة الكريمة فى نفوس أصـحابه، وربـاهم علـى الرحمة وغذاهم بالشفقة والرأفة، وجعلهم رحماء فيما بينهم، فقد وجدنا المسلمين الأوائل يعرفون ما وجب فى أموالهم من حق للفقيـر، ومـن نصيب للمحتاج، كما حرصوا على البذل فى وجوه الخير وأدوا ذلـك كله بنفوس راضية وصدور منشرحة، وقلوب مطمئنة، وبذلك صلحت دولتهم، وعزت مكانتهم، وقويت شوكتهم، فمكن الله لهـم فـى الأرض وجعلهم سادة قادة، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين.

ومن بعض مواقف الأوائل فى البذل والعطاء فى سـبيل الله مـا حدث فى غزوة تبوك، عندما حث رسول الله ﷺ أصحابه على الإنفاق لتجهيز الغزاة فأخذوا يتنافسون فى تقديم ما تجود به نفوسهم، فقد جـاء عثمان بن عفان ﷺ بعشرة آلاف دينار صبها فى حجـر الرسـول ﷺ وأهدى للجيش ثلاثمائة بعير وخمسين فرسا مجهزة بما يلزم لها، فسُرَّ رسول الله وقال: "اللهم ارض عن عثمان فـإنى راض عنـه" وجـاء عبدالرحمن بن عوف بألفى درهم وقال: يا رسول الله: كان لى أربعـة آلاف فأمسكت لنفسى وعيالى ألفين،وألفان أقرضتها لربى، فقال رسول الله له: "بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت" ولم يكن هذا التنافس

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٧ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ٩٢ .
(٣) سورة الحديد : الآية ٧ .

المحمود مقصورا على الرجال وحدهم، بل كانت النساء يتسابقن إلى الإنفاق فى تجهيز الجيوش، فكن يقدمن أموالهن وحليهن رغبة فى الثواب الذى أعده الله للمجاهدين والمنفقين فى سبيل الله، فعن زيد بن خالد الجهنى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا فى أهله بخير فقد غزا"(١).

وقد وعد الله المنفقين فى سبيل الله بالأجر والثواب العظيم، فلقد نوَّع الإسلام فى أساليب الدعوة إلى الإنفاق فى سبل الخير وأوضح فى الوقت نفسه جزاء هذا العمل العظيم، فمرة يدعو إلى البذل بعبارة تسيل رقة وحنانا واعدا برد أضعاف ما ينفق فيقول القرآن الكريم : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ (٢) ومرة يحث عليه ويبين أن ما أنفق الإنسان مدخر عند الله، وما كان عند الله فهو خير مما نختزنه فى هذه الدنيا فيقول : ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ (٣) ويقول : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) لقد هز الإسلام العواطف وحض على الإنفاق فى سبيل

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٦/ ٤٩، كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير ومسلم فى صحيحه ٣/ ١٥٠٧ ، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازى فى سبيل الله بمركوبة وغيره .

جهزه: أمده بالمال والذخيرة والعدة وكل ما يتيسر به الجهاد .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٤٥ .

(٣) سورة المزمل: الآية ٢٠ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦١ .

الله، وسبل الخير بشتى الأساليب فتارة بالترغيب فيما عند الله، وأخرى بضمان الخلف: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾(١) وتارة بالتنفير من رذيلة الشح مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (٢) فالبذل والعطاء فى سبيل النهوض بالمجتمع خلق إسلامى كريم ودعوة حث عليها ديننا الحنيف. نسأله سبحانه أن يجعلنا من الحريصين على نفع الآخرين والباذلين عن طيب نفس فى سبيل الله.

---

(١) سورة سبأ : الآية ٣٩ .

(٢) سورة التوبة: الآيتان ٣٤، ٣٥ .

٤٤. الإسلام يدعو إلى المحافظة على كرامة الآخرين وعدم الإساءة إليهم

من المبادئ الأصيلة في الإسلام أن المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يحقره ولا يسيء إليه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم الله تعالى، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: ماله ودمه وعرضه"[١] إلى آخر الحديث الشريف. فجوهر التشريع الإسلامي رعاية الإنسان والإكبار من قدره، وتحاشي المساس به، أو الإساءة إليه أيا كان جنسه ودينه ولونه، ولذلك أقام الإسلام علاقة الإنسان بأخيه الإنسان على الاحترام المتبادل والحفاظ على عرضه وكرامته وماله ومشاعره ، ووجه الجميع إلى أن يبتعدوا عن أن يهين بعضهم بعضا أو يؤذي أحدهم أخاه بما يجرح كرامته وينال منه أو يؤذيه ، لأن مثل هذه الأفعال لا تقع إلا عن غطرسة أو أنانية أو حقد، وهي أسباب لا تُشرّف من يتصف بها. وإذا كان بعض الناس يختلفون مع بعضهم في الرأي وقد يصل إلى حد التنازع والتخاصم ٠فإن الإسلام يحترم الطبيعة البشرية فلا يمنع الاختلاف في الرأي بين المسلمين، لأن ذلك أمر تقتضيه الفروق الشخصية بين الأفراد، فيما هم عليه من قيم وأخلاقيات ولكن إذا وصل الاختلاف في الرأي إلى نزاع بينهم، فإن الإسلام يأمر المختلفين بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأن يستوحوا منها الرأي دون أن يقحموا عليهما ما يتشبث به كل فريق، يقول الله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس، حديث رقم ٢٥٦٤ ٠

كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [١] فالإسلام يحرص أشد الحرص على سلامة وحدة المسلمين وشدة بأسهم وقوتهم وتماسكهم. ولهذا الهدف نفسه يمنع السخرية والضحك والاستهزاء فى معاملة المؤمنين بعضهم مع بعض، كذلك يمنع التطاول والسب والاتهام بدون بينة، بل أمرنا بألا ننادى أحدا بما يكره أن يسمعه أو ينتقص من قدره، كالعرج، والسواد، والعمى، وغير ذلك، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [٢]

فالإسلام دين المحبة والإخاء، ولكل فرد فى المجتمع الإسلامى كرامته، والجماعة الإسلامية كرامتها واحدة، فلا ينبغى أن يسخر قوى من ضعيف، أو شاب من عجوز، أو صحيح من مريض، فالميزان عند الله فى تقدير الناس مختلف عن ميزان البشر، فرب إنسان لا يلتفت إليه الناس ولا يأبهون به ، يكون عند الله أفضل من أمير أو رئيس، كما ورد فى الحديث الصحيح: "رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب ــ أى يمنعه الناس من الدخول عليهم ــ لو أقسم على الله لأبره"[٣] فالناس وإن اختلفوا أجناسا وألوانا وتفرقوا شعوبا وقبائل، فإنهم جميعا إخوة فى الإنسانية أبوهم واحد وأمهم واحدة، وهذا يقتضى منهم التعاون فى هذه الحياة، وليس للون والجنس واللغة والمكانة والغنى حساب فى ميزان الله تعالى، إنما هناك ميزان واحد يُقدَّم به البشر ويُعرف به فضل الناس ألا وهو ميزان التقوى، وصدق الله العظيم حيث يقول :

---

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .

(٢) سورة الحجرات : آية ١١ .

(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٢٤، كتاب البر والصلة، باب فضل الضعفاء والخاملين .

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (١) فلم يقل أشرفكم حسبا، أو أغناكم أو أقواكم، وإنما قال : "أتقاكم" فهو الميزان الصادق، وكل الأشكال الأخرى أشكال زائفة، لا يعترف بها الإسلام بل يمقتها ويحاربها، وهى من بقايا العصبية القبلية التى وضعها الإسلام تحت قدميه •

وللأسف الشديد فإن ما يحدث فى هذا الزمان من اضطهاد لبعض الشعوب وما هو دائر من حروب عرقية مقيتة لا أساس له من خلق أو دين ، فبكل الأسى والألم نجد العالم الآن قد ابتعد عن القيم الإنسانية والمبادئ الأخلاقية، وتحول إلى مجموعات متصارعة وتكتلات عرقية ممجوجة، ويشهد الآن صنوفا عديدة من الصراع : يشهد لونا من الصراع بين الأبيض والأسود، ويشهد لونا آخر من الصراع بين شعب فى قارة وآخر فى نفس القارة أو فى قارة أخرى، ولونا من الصراع العرقى والعقائدى ، ولونا من الصراع بين القوى والضعيف ، وتمزق العالم بالفعل إلى تكتلات ومجموعات متصارعة متنافرة، وأصبح القوى هو المهيمن والمسيطر، يقتل الأبرياء ويشرد الضعفاء، وينتهك الحرمات بلا وازع من خلق أو ضمير، ووجدنا تحيزا مقيتا من بعض القوى الكبرى فى العالم لهذه الاعتداءات الوحشية التى لا تستند إلى أى معيار إنسانى أو أخلاقى إنما هو الغرور والغطرسة والعصبية المقيتة للجنس أو العرق ، وكلها معايير لا تصلح أبدا للمفاضلة بين فرد وفرد أو مجموعة ومجموعة أخرى، لسبب بسيط جدا هو أنها جميعها لا تنبثق عن الطبيعة البشرية التى هى أصل المساواة، والتى هى عبارة عن مجموعة من الخصائص تتميز بها عن الطبائع الأخرى فى الوجود . كما أن الإسلام يقرر أن الناس جميعا أصلهم واحد ، وينفى أن يكون اختلافهم إلى شعوب وقبائل ومجموعات مبررا للمفاضلة بين الأفراد والأمم، بل ينظر إلى هذا الاختلاف على أنه سبب للتعارف واللقاء والتراحم والتعاون، وليس للتخاصم والتنافر والتطاول على الضعفاء

(١) سورة الحجرات : آية ١٣ •

واستلاب حقوقهم، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (١) بل إن الاختلاف أو المفارقة بين فرد وآخر، أو شعب وغيره أدعى للتلاقي والتآلف والتعاون بينهما. فالإنسانية كلها مكرمة عند الله، يقول سبحانه في محكم التنزيل : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾(٢) وبناء على هذا التكريم للجنس البشري كله كان معيار التفاضل الوحيد بين الناس جميعا هو التقوى، التي ليست بحكم أحد من الناس، وإنما هي بعلم وحكم الخالق العليم الخبير حيث يقول : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) إن مقاييس الإسلام للتهذيب والسلوك الخلقي الكريم، هي مقاييس للسمو الإنساني والمستوى الرفيع في الإنسانية، وما يجافيها ويخالفها إنما هو التخلف والردة إلى الجاهلية، ونجاح أي مجتمع إنساني هو في دفع أفراده إلى المستوى الفاضل في الإنسانية، وليس إلى الانحدار نحو التعصب العرقي المقيت، والأنانية والتعالي والغرور، والبعد عن منهج الله الذي يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. فاللهم انصر جنودك وحزبك، وأمدهم بعونك وثبت أقدامهم فأنت وحدك المرتجى وأنت على كل شيء قدير ٠

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٣ ٠
(٢) سورة الإسراء آية ٧٠ ٠
(٣) سورة الحجرات : آية ١٣ ٠

٤٥ . الإسلام يدعو إلى العمل لعمارة الأرض وتحصيل الرزق

من المقرر فى الشرع الإسلامى أن الله تعالى خلق الإنسان ليعبده وليكون خليفته على هذه الأرض، وذلك بتعميرها والتنقيب والتفتيش فى خباياها، لإظهار كنوزها ومكنوناتها، ومعرفة سر الله فى كونه، ولن يتحقق ذلك إلا بالسعى والعمل والضرب فى مناكب الأرض، ولهذا نجد القرآن الكريم لا يذكر الإيمان إلا ويقرنه بالعمل. فنحن نقرأ فى كتاب الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (١) ويقول تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ (٢) ويقول سبحانه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ . ففى كتاب الله ما يقرب من ثلاثمائة وستين آية تحث الناس على العمل الصالح، وتبين لنا أن العقيدة لا أثر لها بدون عمل يبرزها ويدل عليها ٠

وذلك لأن العمل يحتل منزلة كبيرة فى المجتمع الإسلامى ، فهو دعامة الإنتاج، وعنصر فعال من عناصر النشاط الاقتصادى والثقافى والسياسى والاجتماعى فى الأمة، واليد المحركة لمرافق الدولة، والمساعد القوى للأمة فى نهضتها فى شتى مناحى الحياة، وهو طبيعة

---

(١) آية ٩٧ من سورة النحل ٠

(٢) آية ١٢٢ من سورة النساء ٠

الحياة المتجددة المبدعة، فلولا العمل ما كانت زراعة، ولا صناعة، ولا حياة، ولولا العمل ما كانت حضارة ولا مدنية، ولذلك كان العمل فـــى الإسلام فريضة وواجبا مقدسا، يقول تعالى: ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ (١)، ويقول: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) وأوجبه على القادرين وجعله خير مكاسب الرجل. فقد روى البخارى عن المقدام بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال : "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده" وكان رسول الله ﷺ يعمل فى رعـــى الغنم وهو شاب بأجر لأهل مكة، ثم عمل بالتجارة وكان خير صـــادق وخير أمين ، ليبين للناس أن العمل فخر للعاملين ما دام العمل للكسب الحلال، كما كان ﷺ يحبب العمال فى مهنتهم، فيروى الإمام الغزالـــى أن عاملا جاء إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله؟ ما تقول فى حرفتـــى؟ قال: وما حرفتك؟ قال: حائك. فقال عليه الصلاة والســـلام : "حرفتـــك حرفة أبينا آدم عليه السلام، وكان أول من نسج، وكان جبريل يعلمه"، وكذلك كان يشجع النجارين ويقول لهم : "كان زكريـــا عليـــه الســـلام نجارا"(٣) . كما نوه القرآن الكريم ببعض الصناعات التى كانت ســـائدة فى المجتمعات القديمة أو فى المجتمع العربى على عهد نزول القـــرآن الكريم، مثل صناعة الحديد، والتعدين، والكســـاء، وبنـــاء المســـاكن، وصناعة الدروع، والسفن، والصيد وصناعاته. يقول تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (٤) ويقول تعالى: ﴿ وَمِمَّا

(١) آية ١٥ من سورة الملك •
(٢) آية ١٠ من سورة الجمعة •
(٣) رواه مسلم وأحمد وابن ماجة ــ عن أبىهريرة •
(٤) آية ٢٥ الحديد •

يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ (١) ويقـول تعالى : ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَـٰرِهِينَ ﴾ (٢) وهذا كلـه حث على العمل ودعوة إلى عمارة هذه الأرض وتحصيل الأرزاق ٠

ولذلك فشتان ما بين العامل والعاطل، وفرق كبير بين من يسعى إلى عمارة هذه الأرض وبين الكسالى المتواكلين ، فالذى يعمل ويكسب رزقه من عرق جبينه ويأكل من إنتاجه خير ممن يأكـل مـن تركـة موروثة أو صدقة تُعْطى له عفوا أو استجداء، فالرسول ﷺ يقول : "من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفورا له"(٣) ويروى أن رسول الله ﷺ مد يده مُسَلِّماً على معاذ بن جبل ﷺ فلمس فى يده خشونة فسأله عـن سببها، فأخبره أنها من أثر العمل، فقبلها رسول الله ﷺ ، وقال : "هـذه يد يحبها الله ورسوله، هذه يد لا تمسها النار"(٤) ولذلك يقـرر فقهـاء الإسلام أن أطيب المكاسب ما يحصله الإنسان من عملـه، فقـد قـال رسول الله ﷺ "إن الله يحب المؤمن المحترف"(٥) أى صاحب الحرفـة، ويقـول الله تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ (٦) ، أما الكسل والقعود عن العمل فهو صفة الإنسان العاجز الجبان، وهو طاقة معطلة عالة على غيره، مهان ذليل، منبوذ من المجتمع، مطرود من رحمة الله تعالى، فالرسول ﷺ يقول : "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير،

---

(١) آية ١٧ الرعد ٠
(٢) آية ١٤٩ من سورة الشعراء ٠
(٣) قال الهيثمى فى المجمع ٤/ ٦٣ رواه الطبرانى فى الأوسط ــ عن عائشة٠
(٤) قال العراقى فى الإحياء ٢/ ٦١ : رواه البزار والحـاكم، وقـال الحـاكم: صحيح الإسناد٠
(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير ١٢/ ٣٠٨ ٠
(٦) سورة الكهف آية ١٠٧ ٠

احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز"[١] ويروى معاوية بن قرة فيقول : "لقى عمر بن الخطاب ﷺ ناسا من أهل اليمن وهم جلوس بلا عمل فقال لهم من أنتم؟ فقالوا: نحن المتوكلون، فقال: كذبتم، بل أنتم المتواكلون ـ أى المتكاسلون ـ إنما المتوكل على الله هو الذى ألقى حبة فى الأرض، وسقى الزرع، وتوكل على الله"[٢] وكان ﷺ يسير فى أيام خلافته في الطرقات فإذا وجد رجلا جالسا وفارغا من العمل علاه بدِرّته ـ أى بعصاه ـ ونهره وقال : "إن الله يكره الفارغ من العمل" وكان ﷺ يقول : "لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق لأن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة"[٣] .

فالعاطل وهو قادر على الكسب عاص فى نظر الإسلام. يقول الرسول ﷺ : "أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفى الفارغ"[٤] أى الذى يكفيه غيره مطالب معيشته، ومعنى الفارغ : الذى يخلد إلى الكسل والبطالة، كما يحذر الإسلام من البطالة وسوء نتائجها. ففى الحديث الشريف : "إذا قصر العبد فى العمل ابتلاه الله بالهم"[٥] ويقول عليه الصلاة والسلام: "أخشى ما خشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل وضعف اليقين"[٦] فالعمل شرف ووسام على صدور العاملين، وللعامل المثوبة والرضوان من الله تعالى. فاللهم اجعلنا من العاملين المخلصين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه مسلم ١٦/ ٢١٥ بشرح النووى ـ عن أبى هريرة .
(٢) رواه الحاكم ، وانظر كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلى.
(٣) تفسير المنار ٤/ ٢١٣ .
(٤) مسند الفردوس بمأثور الكلام ١/ ٣٦١ حديث رقم ١٤٥٩ عن أنس بن مالك
(٥) رواه الإمام أحمد فى كتاب الزهد ـ عن الحكم مرسلا .
(٦) رواه الدارقطنى فى الإفراد ـ عن جابر بن عبدالله .

٤٦ـ المسلم مطالب بالصبر على متاعب الحياة ومشقاتها

لما كانت طبيعة هذه الحياة متقلبة لا تدوم على حال، وأن دوام الحال من المحال؛ فإن الإنسان وهو يسعى فى هذه الحياة معرض للإخفاق فى بعض سعيه، وقد يناله الضرر والأذى، بل قد تعترض حياته بعض المشاكل الحادة، وحتى يجتاز الإنسان ذلك أو يتغلب عليه لابد له من التزود بالصبر واحتمال الأذى، حتى يستطيع متابعة حياته، ولذلك كان الصبر علاجا ناجعا لكثير من مشكلات الحياة ٠

فالدهر عنيد، إذا تركك فترة من الزمن لن يتركك على مدى العمر، وصدق الله العظيم حيث يقول:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[1]

فقد خلق الله تعالى الإنسان فى تعب ومشقة ومكابدة وكفاح، فلا يزال يقاسى الشدائد من وقت نفخ الروح إلى نزعها منه، ومن أظهر ما يكابده الإنسان فى حياته الهموم والأحزان، ولذلك فإن الإنسان مختبر دائما، والمؤمن هو الذى يجتاز الاختبار بما استقر فى قلبه من علاقة وطيدة بالله تعالى وما منحه الله من صبر وقوة تحمل . فالصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا حياة لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له، فالصبر عزيمة من أقوى العزائم التى تمهد للإنسان طريق حياته المحفوف بالأشواك، وتساعد على السير فى طريق الحياة بقدم ثابتة وعزيمة صلبة، وهو نفحة ربانية يهبها الله قلوبا قد تهيأت لتحملها، واستعدت أن تحتفظ بها كمنحة عظمى من الله تعالى، إذ لا يمكن للإنسان أن يعيش بدونها ولذلك قيل :

ألا بالصبْرِ تَبْلُغُ ما تُرِيدُ ∴ وبالتَّقوَى يَلِينُ لك الحَديدُ

فالصبر عدة الإنسان فى هذه الحياة ولذلك كان خلق الأنبياء والمرسلين، وسلاح المتقين والمجاهدين، ما نجح رسول ولا زعيم ولا مصلح ولا مجاهد إلا بالصبر، فهو العدة التى توصل إلى الغايات من أقصر طريق، فكل سلاح فى الحياة يستطيع أن يفله الزمن إلا سلاح

---

(١) سورة البلد : آية ٤ ٠

الصبر، فهو الذى يهزم المحن ويتغلب علـى المصـائب، وصـاحبه منصور دائما مهما تلونت عليه الأزمان ولعبت به السنون والأيام. إن الصبر على متاعب الحياة ومشقاتها، والتسليم الكامل لله تعالى بقضائه وقدره والصبر حين ابتلائه أساس هذا الدين وركن عظيم من أركانـه، ولذلك نجد آيات قرآنية عديدة تحث عليه وتـدعو المسـلمين إلـى أن يجعلوه خلقهم ومنهجهم فى هـذه الحيـاة، يقـول الله تعـالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) فقد ختم الله تعالى الوصايا العشر التى جـاءت فـى آخر سورة آل عمران بهذه الوصية الجامعة، فحض على الصبر على الطاعات وعن الشهوات واحتمال الأذى، فهو السبيل إلـى طاعـة الله تعالى والظهور فى الدنيا على الأعداء، والفوز بنعيم الآخرة، واجتيـاز المحن والصعاب، ولذلك كانت وصية الله تعالى لأنبيائه جميعا:"الصبر على أذى أقوامهم" يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (٢) فالصبر علاج المشكلات، ودواء المحن والملمات، يقول الله تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٣) فكل متدبر لمعنـى هـذه الآيـة الكريمة يجد نفسه وكأنه هو المعنى بها، وأن كل من وجد نفسـه فـى موقف صعب يجد سلوته وعزاءه فى هذه الآية التى تجرى على لسانه كالمثل السائر. ففى هذا القول الحكيم يـأمر الله عبـاده المـؤمنين أن يستعينوا على قضاء حوائجهم وما يصادفهم فى حياتهم مـن متاعـب

---

(١) آية ٢٠٠ من سورة آل عمران .
(٢) آية ٣٥ من سورة الأحقاف .
(٣) آية ١٥٣ من سورة البقرة .

وصعاب، وما يعترضهم من بلاء بالصبر وإقامة الصلاة، وإذا كان الصبر ثلاثة أنواع كما قال العلماء: صبر على طاعة الله، وصبر على محارمه، وصبر على البلية وفجائع الدنيا وأحزانها، فالصبر فى هذه الآية هو الصبر على البلية والمعروف أن الإيمان نصف صبر، ونصف شكر، والمطلوب من المؤمن أن يصبر وأن يكون صابرا فى كل الأحوال وله فى المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه الأسوة والقدوة . فعن حذيفة بن اليمان ﵁ قال : "كان رسول الله ﷺإذا حزبه أمر صلى"[(١)] وهذا هو منهج الصحابة والصالحين. فالصبر يتجلى فى الصلاة بوضوح تام، فللصلاة دائما وأبدا مكانتها العالية الرفيعة لأنها عماد الدين ويتجلى الصبر فيها بسبب تواليها بصورة واضحة عن سائر العبادات، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴾ [(٢)] فالصلاة وسيلة ناجعة للتغلب على ما يصيب الإنسان من هم وحزن وما ينزل به من مصائب، ولذلك يقول المصطفى ﷺ : "جعلت قرة عينى فى الصلاة"[(٣)] كما أن ذكر الله والاستغفار والاسترجاع سبل حقيقية لذلك، يقول الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [(٤)] وإذا كان الصبر خلق الإنسان المسلم يتغلب به على ما يناله فى هذه الحياة من متاعب، فإن له على ذلك الأجر والثواب العظيم .

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٢/ ٣٥ كتاب الصلاة ــ باب وقت قيام النبى ﷺ من الليل .

(٢) سورة البقرة آية ٤٥ .

(٣) رواه الطبرانى . عن المغيرة بن شعبة .

(٤) سورة البقرة آية ١٥٥ ــ ١٥٧ .

يقول الله تعـالى:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (١)

أى بغير تقدير، فلا شك أن كل من سلم فيما أصابه وترك ما نهى عنه، لا مقدار لأجره عند الله. يقول قتادة: لا والله مـا هنـاك مكيـال ولا ميزان، حدثنى أنس أن رسول الله ﷺ قال: "تنصـب المـوازين يـوم القيامة فيُؤتَى بأهل الصدقة فيوَفَّوْن أجورهم بالموازين،وكذلك الصـلاة والحج، ويُؤتَى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر بغير حسـاب، يقـول الله تعـالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تُقْرَض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضـل(٢)"

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "يود أهل العافية يوم القيامـة حين يُعْطَى أهل الـبلاء الثـواب لـو أن جلـودهم كانـت قرضـت بالمقاريض"(٣).

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : سمعت جدى رسول الله ﷺ يقول : "أد الفرائض تكن من أعبد الناس، وعليك بالقنوع تكن من أغنى الناس، يا بُنَىّ إن فى الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى، يُؤتَى بأهل البلاء فلا يُنصب لهم ميزان ولا يُنشر لهم ديوان، يُصَبُّ عليهم الأجر صبا" ثم تلا النبى ﷺ : "﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾"(٤) فاللهم اجعلنا من الصابرين المحتسبين.

---

(١) سورة الزمر : الآية ١٠ .
(٢) تفسير القرطبى ٢٤١/١٥ ط دار الكتب .
(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ٤/ ٦٠٣، كتاب الزهد، باب رقم ٥٨ .
(٤) آية ١٠ من سورة الزمر .

٤٧.من القيم الإسلامية الكريمة: كظم الغيظ

من المقرر فى الشرع الإسلامى أن التربية الإسلامية المجيدة تعنى بالفرد وتعنى بسلوكه وأخلاقه، وتعنى بنزعاته ورغباته كما تعنى بميوله واتجاهاته، فتوجهه الوجهة الصالحة التى تكفل له السعادة فى الدنيا والراحة فى الآخرة، وتجعل منه عضوا نافعا فى المجتمع، وإنسانا مثاليا يعيش بين إخوانه وأقرانه عيشة الشرفاء الأتقياء الذين يعرفون ما لهم وما عليهم فلا يظلمون ولا يعتدون، ولن يتحقق للإنسان المسلم ذلك ، إلا بالالتزام بالأخلاق الكريمة والفضائل الرفيعة، ولهذا حرص الإسلام على توجيه الفرد المسلم إلى كثير من تلك الفضائل، ومنها فضيلة كظم الغيظ، ومعنى كظم الغيظ: رده فى الجوف . يقال كظم غيظه أى سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه. ويقال : كظمت القربة أى ملأتها وسددت فوّهتها، فالمراد من كظم الغيظ ، أن يحبس المرء غيظه فى نفسه ولا يعديه إلى غيره بالأذى والفعل، ويتضح لنا ذلك فيما رُوِىَ أن عمر بن عبدالعزيز رضى الله تعالى عنه غضب يوما، فقال له ابنه عبدالملك: أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟ فقال له: أو ما تغضب يا عبدالملك؟ فقال عبدالملك: وما يُغْنى عنى سعة جوفى إذا لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر؟" والغيظ أصل الغضب، وكثيرا ما يتلازمان والفرق بينهما أن الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب فإنه يظهر فى الجوارح .

ولما كان الغضب غريزة فى النفس البشرية كامنة فيها، يثيرها اعتداء على حق أو انتهاك لحرمة، مما قد يشتط بالنفس إلى حد الاعتداء والجنون طلبا لدفع الأذى الذى لحق بالشخص من الآخرين، أو بدافع الانتقام ممن حصل له منه الأذى، فغالبا ما ينشأ عن غليان دم القلب بسبب الغضب، كثير من الأفعال المحرمة كالقتل، والضرب، وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف والسب والفحش، وكالأيمان التى لا يجوز التزامها شرعا، وكطلاق الزوجة

الذى يعقبه الندم، وربما تصاعد إلى درجة الكفر والعياذ بالله لكل هذه الأسباب التى من شأنها أن تحدث الفتن بين الناس، وتكون سببا فى تقطيع الروابط والقضاء على علاقات الأخوة والمحبة اهتم الإسلام بتوجيه الإنسان المسلم إلى أن يحارب رذيلة الغضب فى نفسه وأن يتسلح أمام نفسه الأمارة بالسوء بقوة اليقين، وأن يتمالك نفسه، عند ثوران الغضب فيقهرها بحلمه ويصرعها بثباته، ولا يُمكنّها من أن تسترسل مع تيار الغيظ، فتشتم وتسب وتضرب وتقتل وتخرج عن سنن الاعتدال فى أقوالها وأفعالها.

فكظم الغيظ والعفو عن المسيء من الأخلاق الإسلامية الكريمة، بل إن ذلك من أعظم الأعمال ويدل على خلق كريم وإيمان صادق. فعن أبى‌هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب"(١) فقد بين الرسول ﷺ فى هذا الحديث أن الشديد ليس الذى يصرع الناس ولا يصرعونه، ويطرحهم على الأرض ولا يطرحونه، وإنما الشديد حقا الذى يملك نفسه عند ثوران الغضب، وعن أبى‌هريرة ﷺ أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى، قال:" لا تغضب" فردد مرارا ، قال: "لا تغضب"(٢) فهذا الحديث الشريف من جوامع الكلم، فقد جمع بين خيرى الدنيا والآخرة فى كلمة واحدة: "لا تغضب". فهذا الرجل طلب من الرسول ﷺ أن يوصيه وصية وجيزة جامعة لخصال الخير ليحفظها عنه، فوصاه أن لا يغضب، ثم ردد هذه المسألة عليه مرارا والنبى يقول له فى كل مرة : "لا تغضب" وذلك يدل على أن الغضب جماع الشر وأن التحرز منه جماع الخير. فالإنسان الذى يكظم غيظه عن عدوه ويعفو عن المسيء كان ذلك منه نوعا من شكر الله تعالى، الذى أعانه على أن يأخذ بحقه إذا شاء، وإلى هذا المعنى يشير القرآن الكريم فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ﴾ (٣) وفى قوله سبحانه:

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبوداود .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) سورة الشورى : آية ٣٧ .

﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١)

ومن التوجيهات النبوية فى كظم الغيظ أن النبى ﷺ كان يأمر من يغضب بتعاطى أسباب تدفع عنه الغضب وتُسكّنه، ويمدح من ملك نفسه عند غضبه. ففى الصحيحين عن سليمان بن صُرَد قال: استب رجلان عند النبى ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضبا قد احمر وجهه، فقال النبى ﷺ "إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد. لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" ، فقالوا للرجل ألا تسمع ما يقول النبى ﷺ ؟" وخرج الإمام أحمد وأبوداود من حديث أبى ذر أن النبى ﷺ قال: "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع" وخرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال: "إذا غضب أحدكم فليسكت قالها ثلاثا" ومن ذلك أيضا التوجيه بالوضوء فقد قال رسول الله ﷺ:"إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ"(٢) .

كما أن ثواب كظم الغيظ عظيم عند الله تعالى . فقد خرج الإمام أحمد وأبوداود والترمذى وابن ماجة من حديث معاذ بن أنس الجهنى عن النبى ﷺ قال : "من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره الله فى أى الحور شاء" وخرج الإمام أحمد من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ قال : "ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى" وقد جعل القرآن الكريم كظم الغيظ والعفو عن المسىء من أسباب الفلاح التى تسرع بأصحابها إلى الجنات العلا. يقول تعالى:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٤ .
(٢) رواه الإمام أحمد وأبوداود .

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (1) فسيئات الغضب كثيره، ونتائجه الوخيمة أكثر، ولذلك كان ضبط النفس عند ثورانها دليل قدرة محمودة وتماسك كريم، فإذا ملك الإنسان نفسه وتغلب على نفسه الأمارة بالسوء فقد قهر أقوى خصومه وصرع أشد أعدائه بأسا ، وعاش بين الناس عزيزا كريما ·

فاللهم املأ قلوبنا بالإيمان واهدنا إلى أحسن الأخلاق، فإنه لا يهدى لأحسنها إلا أنت، وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم·

(1) سورة آل عمران : الآيتان ١٣٣، ١٣٤ ·

٤٨ـ الإسلام يحض على الرأفة بالحيوان

إن مبادئ الدين الإسلامى الحنيف تقوم على الرأفة والرحمة لكل ما فيه روح والرفق به والتعامل الطيب معه. فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ قال يا عائشة : "من أُعْطِى حظَّه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير، ومن حُرِم حظه من الرفق فقد حُرم حظه من الخير"(١) ، وقال النبى ﷺ : "إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق، وإن الرفق لو كان خُلُقًا لما رأى الناس خُلُقا أحسن منه، وإن العنف لو كان خلقا لما رأى الناس خلقا أقبح منه"(٢).

وعلى أساس هذا المبدأ القويم حمى الإسلام حياة الحيوان بكل أنواعه إذا لم يكن منه أذى للناس ، ودعا إلى الرأفة به، والإحسان إليه، وأن ندفع عنه الغوائل والشرور ، فالحيوان جدير بالرحمة، بل لعله أحق بها وأكثر احتياجا إليها، فهو لا يملك أن يشكو أو يتوجع ، أو يطلب الطعام أو الشراب ، بل لا يملك أن يشكو قسوة أصحاب القلوب الغليظة التى نُزعت الرحمة منها، ولهذا جاءت الأحاديث الشريفة تحث على الرأفة بهذا الحيوان الأعجم، وتوضح عقاب من يسيء إليه وثواب من يحنو عليه ويرحمه، فعن سهل بن الحنظلية قال: مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال : " اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة"(٣).وروى البخارى ومسلم عن أبىهريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "بنيما رجل يمشى فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى، فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، ثم رقى فسقى الكلب، فشكر الله له ، فغفر له" قالوا يا رسول الله: وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟! فقال : "فى كل كبد رطبة

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٤/ ٣٦٧ ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى الرفق ، وقال: هذا حديث حسن صحيح .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٦/ ١٠٤ ورجاله رجال الصحيح .

(٣) أخرجه أبوداود فى سننه ٣/ ٢٣، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، وأخرجه المنذرى فى الترغيب والترهيب ٣/ ١٤٦ .

أجر"• ففى سقى الحيوان وجميع وجوه الإحسان إليه من إطعام وعلاج ثواب وأجر عظيم، فشكر الله تعالى لهذا الرجل هو عفوه عن ذنوبه السابقة، وهذا فضل عظيم من الله تعالى، وقول الرسول ﷺ لأصحابه موجها ومعلما : "فى كل كبد رطبة أجر" يوضح للجميع أن فى كل نفع لحيوان مثوبة وأجرا، فكنى بالكبد عن الحيوان، وبالرطوبة عن حياته ، وهذه الجملة تعم كل حيوان من كلب، أو قط، أو جمل، أو بقرة، أو شاة، أو عصفور، أو حمامة، أو دجاجة، أو غير ذلك مما له روح من الحيوان والطير، كما أنها تشمل دفع أنواع الأذى عنه من عطش أو جوع أو مرض أو حمل ثقيل أو عمل مجهد، وغير ذلك مما يتأذى منه الحيوان، كما تشمل أنواع النفع له من تقديم الطعام والشراب وعدم ترويعه أو الإساءة إليه، فكل عمل يعمله الإنسان يزيل به ضررا، أو يجلب نفعا لحيوان له فيه أجر عظيم، فالراحمون يرحمهم الرحمن، ومن لا يرحم لا يُرْحَم . فالإسلام رسالة خير ورحمة وسلام على الخلق أجمعين. فقد رأى عمر رضى الله تعالى عنه رجلا يسحب شاة ليذبحها ، فقال له : "ويلك، قُدْها للموت قودا جميلا"[١] وعن معاوية بن قرة عن أبيه ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله: إنى لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال: إن رحمتها رحمك الله"[٢] بل إن الإسلام يحثنا على أن نريح البهيمة عند ذبحها وألا نروعها وأن نختار أسهل الطرق فى إزهاق روحها وأقلها إيلاما لها، فعن أبى يعلى شداد بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله كتب الإحسان علي كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، ولْيُحِدّ أحدكم شفرته، ولْيُرح ذبيحته"[٣] فهذا التوجيه النبوى الشريف يمثل الرحمة والرأفة بأجل معانيها، فالرفق بالذبيحة واجب فلا يصرعها على الأرض بعنف كما يحدث من كثير من الجزارين، بل يضجعها برفق ويزيل ما على

---

(١) أخرجه عبدالرازق بإسناده عن ابن سيرين •

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٢٣١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى •

(٣) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ٣/ ١٥٤٨ ، وأخرجه أبوداود فى سننه ٣/١٠٠ ، كتاب الأضاحى باب الرفق بالذبيحة •

محل ذبحها من شعر وغيره حتى تصل السكين بلا حائل، ومن السنة أن يضجعها على جنبها الأيسر ليتمكن من الذبح بيمينه، وليحد شفرته حتى تكون قاطعة، وأن يوارى السكين عن الذبيحة لأنها تحس، فقد روى الطبرانى أن النبى ﷺ مر برجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته، وهى تلحظه ببصرها فقال: "أفلا قبل هذا؟ أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها"؟

ولذلك كان عقاب الذين يعذبون الحيوانات، أو يلعبون بالطيور ومن تقسو قلوبهم على الحيوان ويستهينون بآلامه عقابا شديدا ، ففى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى ومسلم عن عبدالله بن عمر أن النبى ﷺ قال : "عُذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار" وفى رواية : "دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض" فالرسول ﷺ يذكر أن امرأة حبست هرة فى حجرة أو ربطتها حتى ماتت جوعا، فلا هى قدمت لها طعاما وشرابا، ولا هى أطلقتها تأكل من هوام الأرض وحشراتها فعذبها الله على عملها هذا، وفى ذلك دليل واضح على أن من يعذب الحيوان بحبسه دون داع أو يتخذه أداة لهو وعبث كما يفعل بعض الصبيان بالعصافير ونحوها، يستوجب العقاب الشديد . ولهذا فقد ثبت عن النبى ﷺ أنه نهى عن صبر البهائم"[1] وهو أن تحبس البهيمة ثم تضرب بالنبل ونحوه حتى تموت . ففى الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ أن النبى ﷺ نهى أن تُصْبَر البهائم" وفيهما أيضا عن ابن عمر أنه مر بقوم نصبوا دجاجة يرمونها، فقال ابن عمر : من فعل هذا؟! إن رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا؟ وخرج مسلم من حديث ابن عباس عن النبى ﷺ أنه نهى أن يُتّخَذ شىء فيه الروح غرضا" والغرض هو الهدف الذى يُرْمَى فيه بالسهام. وأخرج النسائى عن النبى ﷺ أنه قال : "من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة ، ويقول يا رب: سل هذا لم قتلنى عبثا ولم يقتلنى لمنفعة" والنبى ﷺ من فرط إحساسه بحاجة الحيوان إلى الرحمة كان كأنه يسمع إلى شكاة الحيوان المتعب،

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ٣/ ١٥٤٩، وأخرجه ابن ماجة فى سننه ٢/١٠٦٣ .

وكأنما هو نداء النجدة لكل طالب رحمة حتى لو كان حيوانـــا، يقـــول عبدالله بن جعفر : "دخل رسول الله بستانا لرجل من الأنصار فإذا فيـــه جمل، فما إن رأى النبى ﷺ حتى حن وذرفت عيناه، فأتاه رســـول الله فمسح ذفراه، فسكت، وقال الرسول من رب هذا الجمل أى صـــاحبه؟ فقال فتى من الأنصار : هو لى يا رسول الله. فقـــال عليـــه الصـــلاة والسلام ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها، فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه"(١) أى تتعبه.

وأكثر العلماء على كراهة التحريق بالنار حتى للهوام والحشرات فالرسول ﷺ يقول: "لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنار إلا الله رب النار"(٢) فديننا الإسلامى دين الشفقة والرحمة، عمت رحمته العوالم كلها، ووسع إحسانه الخلائق أجمعين، ومن ذلك ما أمر به من الإحسان إلى كل ذى روح من آدمى أو دابة، فما أجل هذا الدين وما أحرانا أن نلتـــزم بمـــا وجهنا إليه ودعانا إلى الالتزام به. نسأله سبحانه أن يجعلنا من الرحماء الذين يرحمون الخلائق ويحسنون معاملاتهم فهو الموفق والهادى إلـــى سواء السبيل .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه، وأخرجه أبوداود فى سننه ٣/ ٢٣ .

(٢) أخرجه أبوداود فى سننه ٣/ ٥٥، كتاب الجهاد، باب فى كراهية حرق العدو بالنار . وأخرجه الدارمى ٢/ ٢٩٣ بلفظ "لا ينبغى لأحد أن يعذب بالنـــار إلا الله" عن أبىهريرة .

٤٩ـ الإسلام يحث على عيادة المريض

لقد حرص الإسلام على أن تقوم العلاقة بين أفراد مجتمعه علـى الالتزام بكثير من الآداب الاجتماعية، التى من شأنها أن تقوى الروابط وتقيم أواصر الود والمحبة بين أفراده، فالمتتبع لآداب الإسلام يرى أنها تربى المسلم على الاهتمام بالآخرين، وتهدف إلى سعادة النـاس، كـل الناس، وذلك بحرصها على إشاعة المحبة والتعاطف والتـرابط بـين أفراد المجتمع، فالاستئذان والسلام والمصافحة والدعوة إلى المأدبـة، ومعاونة الضعفاء، وعيادة المرضى وغير ذلك من الآداب الاجتماعية سلوك اجتماعى ثابت بثبوت قيم الإسلام ومثله . ولما كـان المـريض أحوج الناس إلى الرحمة والمواساة وتقوية الروح المعنوية لديه، وجدنا ديننا الحنيف يحثنا على عيادة المرضى ويأمرنا بها. فعن البـراء بـن عازب قال : "أمرنا النبى ﷺ بعيادة المريض، واتباع الجنازة، وتشميت العاطس، وإبرار القسم، ونصرة المظلوم، وإجابـة الـداعى وإفشـاء السلام"(١) وعن أبىهريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المـريض واتبـاع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس"(٢) وعن أبىموسى الأشعرى ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : "عودوا المريض، وأطعمـوا الجـائع، وفكوا العانى"(٣) ــ أى الأسير ــ وعن أبىهريرة رضى الله تعالى عنه قال . قال رسول الله ﷺ : "إن الله عزوجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى، قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لـو عدتـه لوجدتنى عنده؟ ياابن آدم : " استطعمتك فلم تطعمنى ، قال : يـارب ، كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! . قال : أما علمت أنه اسـتطعمك

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢/ ٩٠، كتاب الجنائز، باب الأمـر باتبـاع الجنائز .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢/ ٩٠، كتاب الجنائز، باب الأمـر باتبـاع الجنائز .

(٣) رواه البخارى .

عبدى فلان فلم تطعمه ،أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، يأبن آدم ٠ استقيتك فلم تسقنى ، قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟! قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي؟! [١] ٠

هذه الأحاديث وغيرها كثير تحث على عيادة المريض والسؤال عنه والاطمئنان عليه، فالمسلم أخو المسلم، والرسول ﷺ يقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[٢] ٠

ولهذا ذهب بعض الفقهاء إلى أن عيادة المريض واجبة وجوبا كفائيا أى بأنها فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط الإثم عن الآخرين وإلا أثم الناس جميعا، واستدلوا على ذلك بما رواه البخارى عن أبىهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "حق المسلم على المسلم خمس.." وبرواية مسلم : خمس تجب للمسلم على المسلم"، وذكر منها عيادة المريض. ولكن جمهور العلماء يرى أنها فى الأصل مندوبة وقد تصل إلى الوجوب فى حق بعض الناس دون بعض، كالأهل والأب والابن فعيادة المريض خلق إسلامى كريم حث عليه الدين الإسلامى وهى سنة عند جمهور العلماء ٠

ولقد اشتهرت كلمة عيادة المريض فى زيارة المريض حتى صارت كأنها مختصة به، وسميت بها لتوحى بأن يعود الإنسان للزيارة ويكررها ولا يكتفى بمرة واحدة، فالعيادة مأخوذة من الفعل عاد وعود إليه أى رجع، تقول عدت المريض أعوده عيادة أى زرته وسألت عليه فالعيادة هى الزيارة وكل من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد ،وهى تكون للمسلم وغيره من القريب والجار والصديق وغيرهم، لأنها من مكارم الأخلاق والفضائل التى دعا إليها الإسلام وأثاب عليها٠

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه ٤/ ١٩٩٠، كتاب البر والصلة ، باب فضل عيادة المريض ، ورواه البخارى فى الأدب المفرد(٥٢٦) وأحمد فى مسنده ٠سند صحيح٠

(٢) رواه البخارى ومسلم عن أنس ٠

فقد وردت أحاديث كثيرة فى فضل عيادة المرضى تشجيعا لهـذا الخلق الكريم وحثا عليه، وقد وعد الله تعالى من يقوم بهـذا الواجـب الإنسانى الأجر والمثوبة. فعن على رضـى الله تعـالى عنـه قـال : "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى، وإن عاده عشية إلا صـلى عليـه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف فى الجنة"(١) والخريف هو الثمر المخروف أى المجتنى. وروى مسلم عن ثوبان رضـى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يـزل فى خرفة الجنة حتى يرجع" قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة؟ قـال : "جناها" أى يؤول به ذلك إلى الجنة واجتناء ثمارها، وعن أبى سعيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :"خمس من عملهن فى يوم كتبـه الله مـن أهل الجنة: من عاد مريضا وشهد جنازة وصـام يومـا ، وراح إلـى الجمعة ، وأعتق رقبة"(٢) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : "من عاد مريضا لم يزل يخوض فى الرحمة حتى يجلس فإذا جلس عنده انغمس فيها"(٣).

ولعيادة المريض آداب يجب الالتزام بها، إذ الغرض من عيادتـه الاطمئنان عليه، وتشجيعه وبث روح التفاؤل والأمل فى نفسه، ولـذلك وجب على الزائر أن يختار الوقت المناسـب لزيارتـه، وألا يطيـل الجلوس والمكث عند المريض لاحتمال أن يكون بحاجة إلى الراحة أو النوم، إلا إذا طلب المريض إطالة الزيارة، ولاحـظ الزائـر سـرور

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٨١، وابن ماجة فـى سـننه ١/ ٤٦٣ ، كتاب الجنائز باب ما جاء فى ثواب من عاد مريضا، وأبـوداود فـى سـننه ١٨٥/٣ ، كتاب الجنائز باب فى فضل العيادة على الوضوء، والترمذى فـى سننه ٣/ ٢٩١، كتاب الجنائز باب ما جاء فى عيادة المريض، وقال: حسـن غريب .

(٢) حديث صحيح رواه ابن حبان فى صحيحه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٣٠٤، والبزار فـى مسـنده ١/ ٣٦٨ ، وابن حبان فى صحيحه (الإحسان) ٤/ ٢٦٧ ـ عن جابر ﷺ ـ .

المريض واستئناسه به، كذلك فمن السنة أن نسارع لعيادة المريض حين علمنا بمرضه، وأن نكرر الزيارة كل يومين أو ثلاثة لمؤانسته وإدخال السرور إلى قلبه ، فلقد سميت زيارة المريض عيادة من العود للزيارة وتكرارها، كما يستحب سؤال أهل المريض والمريض نفسه عن حالته الصحية ومدى تحسنه ليشعروا باهتمامنا بمريضهم، فتزداد رابطة المحبة والأخوة بين الناس، كما يستحب تشجيع ذوى المريض على الاعتناء به والإحسان إليه والصبر على ما قد يحدث منه، وأن نطلق عبارات التشجيع والتفاؤل أمام المريض، وأن نذكره بفضائل أعماله وأن نهاية مرضه إلى خير فلا يجزع، وأن صحته تتحسن لأن ذلك يرفع من روحه المعنوية، فعن أبىسعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل فإن ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه"(١) كما يجب مراعاة عدم إكراه المريض على شيء كالأكل ونحوه، لما ورد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : "لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله تعالى يطعمهم ويسقيهم"(٢) كما يستحب الدعاء للمريض بالشفاء بما يزيد فى أمله فى الشفاء، فقد ورد فى صحيح البخارى عن ابن عباس أن النبى ﷺ كان إذا دخل على من يعوده قال: "لا بأس. طهور إن شاء الله" وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: "اللهم رب الناس، أذهب الباس واشف أنت الشافى لاشفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما"(٣) وروى مسلم عن سعد بن أبىوقاص قال : "عادنى رسول الله فقال: اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا" .

---

(١) أخرجه الترمذى فى كتاب الطب ٤/ ٤١٢، وقال: هذا حديث غريب، وأخرجه ابن ماجة فى كتاب الجنائز ١/ ٤٦٣ واللفظ له .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجة والحاكم.

(٣) أخرجه أبوداود فى كتاب الطب ٢/ ٣٣٨ .

كما يستحب لعائد المريض أن يطلب منـــه الـــدعاء لأن ملائكـــة الرحمة تحضره، فالمريض الصابر يكون فى موضع من صفاء النفس والصلة بالله ما يجعل دعاءه مظنة القبول ، فعن عمر بن الخطـــاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا دخلت على مريض فمره فليدع لك، فإن دعاءه كدعاء الملائكة"(١).

نسأله سبحانه شفاء لا يغادر سقما، وأن يعافينا من كـــل داء إنـــه أكرم مسئول وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) كتاب الأذكار للنووى ص ١٢٨ ، وعمل اليوم والليلة لابن السنى ص ٥٥١

٥٠ـ من آداب وسنن الاحتضار والجنازة

مما لا شك فيه أن الموت نهاية كل حى، والإنسان مكرم فى حياته وبعد مماته ، فقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ فى محكم التنزيل : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (١) ولذلك فإن المؤمن هو الذى يتذكر الموت دائما ويستعد له بالعمل الصالح وذلك دليل التقوى، فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : "أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة فقام رجل من الأنصار فقال يا نبى الله .. من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال : أكثرهم ذكرا للموت وأكثرهم استعدادا للموت، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة"(٢) وعن أبى‌هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "أكثروا من ذكر هازم اللذات"(٣) ، أما إذا أصيب الإنسان فى عزيز لديه فعليه أن يصبر ويحتسب، وأن يقوم بما أمر به الشرع الحنيف نحوه من العمل على غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، وأن يراعى بعض الآداب الإسلامية التى وجهنا إليها الشرع الحنيف، ومن هذه الآداب: أنه يسن لمن حضر من يحتضر ويجود بنفسه أن يلقنه : "لا إله إلا الله" لما رواه مسلم وأبوداود والترمذى عن أبى‌سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "لقنوا موتاكم : لا إله إلا الله" وروى أبوداود وصححه الحاكم عن معاذ بن جبل ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" وإذا أتى بالشهادة مرة لا يعاود التلقين ما لم يتكلم بعدها بكلام آخر فيعاد التعريض له به ليكون آخر كلامه.

كما يبادر أهله وذووه بتجهيزه متى تحقق موته، فيسرع وليه بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه مخافة أن يتغير، ويجوز تأخير

---

(١) سورة الزمر: آية ٣٠ .

(٢) رواه ابن ماجة، وابن أبى‌الدنيا بإسناد جيد .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ٣/ ٣٧٨، ٣٧٩ كتاب الزهد، باب ما جاء فى ذكر الموت .

التجهيز انتظارا لأحد الأقارب ما لم يخف تغيره، فإن خيف تغيره عجل بتجهيزه، والإسراع بتجهيز الميت ودفنه من آداب الإسلام التى دعا إليها تخفيفا عن أهله ورحمة بهم، فعن أبىهريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه على رقابكم"(١) .

كما يستحسن الثناء على الميت بذكر مآثره ومحاسنه وعدم التعرض لإساءاته. فعن أنس ﷺ قال: مُرَّ بجنازة فأُثْنِىَ عليها خير، فقال النبى ﷺ : "وجبت، وجبت، وجبت" ومُرَّ بجنازة فأُثْنِىَ عليها شر، فقال النبى ﷺ :" وجبت، وجبت، وجبت" فقال عمر ﷺ فداك أبى وأمى يا رسول الله. مر بجنازة فأثنى عليها خير فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومر بجنازة فأثنى عليها شر فقلت: وجبت وجبت وجبت، فقال رسول الله ﷺ : "من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض"(٢) وعن عمر ﷺ قال: قال النبى ﷺ : "أيما مسلم شهد له أربعة نفر بخير أدخله الله الجنة، قال فقلنا: وثلاثة؟ قال: "وثلاثة" فقلنا "واثنان" قال : "واثنان" ثم لم نسأل عن الواحد"(٣).

والمقصود بالثناء على الميت أنه إذا تسامع الناس بوفاة إنسان ذكروه بما عرفوا عنه من صلاح، وأن إجماع الناس على صلاح متوفى، بشير بدخول الجنة. فعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضَوْا إلى ما قدَّموا"(٤).

---

(١) حديث متفق عليه .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣/ ٢٢٨ كتاب الجنائز باب : ثناء الناس على الميت ، وأخرجه مسلم فى صحيحه ٢/ ٦٥٥ كتاب الجنائز باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى .

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه ٣/ ٢٢٩ كتاب الجنائز باب: ثناء الناس على الميت.

(٤) رواه البخارى فى صحيحه .

ومما حث عليه ديننا الحنيف: الإسراع بقضاء دين المتوفى، لما رواه أحمد وابن ماجة والترمذى وحسنه عن أبىهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : "نفس المؤمن معلقة بديْنه حتى يُقْضَى عنه" أى إن أمرها موقوف لا يحكم لها بنجاة ولا بهلاك، أو أنها محبوسة عن الجنة حتى يُقْضَى دَيْنُها، وهذا فيمن مات وترك ما لا يُقْضَى منه دينه. أما من لا مال له ومات عازما على القضاء فقد ثبت أن الله تعالى يقضى عنه، وقد كان النبى ﷺ يمتنع عن الصلاة على المدين حتى يُقْضَى دينه، فلما فتح الله عليه البلاد وكثرت الأموال صلى على من مات مدينا وقضى عنه، فعن أبىهريرة، أن رسول الله ﷺ كان يُؤْتَى بالرجل المتوفَّى عليه الدين، فيقول: "هل ترك لدينه من قضاء؟" فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه ، وإلا قال للمسلمين: صلوا على صاحبكم" فلما فتح الله عليه الفتوح قام فقال : "أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فمن توفى من المؤمنين وترك دينا، فعلىَّ قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته"[1].

كما يستحب إعلام أهل الميت وقرابته وأصدقائه وأهل الصلاح بموته ليكون لهم أجر المشاركة فى تجهيزه وتشييعه، لما رواه الجماعة عن أبىهريرة ﷺ أن النبى ﷺ نعى للناس النجاشى فى اليوم الذى مات فيه وخرج بهم إلى المصلى، فصف أصحابه وكبر عليه أربعا ـ أى صلى عليه صلاة الغائب ـ .

وبعد تجهيز الميت والصلاة عليه يحمل الميت ليوارى التراب ومن السنة مرافقة الجنازة حتى إغلاق القبر عليها لحديث رسول الله ﷺ : "من اتبع جنازة مسلم إيمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين، كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط"[2] ،وعن ابن

---

(١) أخرجه الترمذى فى سننه ٢/ ٢٢٦ كتاب الجنائز، باب ما جاء فى المديون قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه البخارى .

عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : "إن أول ما يجازى العبد بعد موته أن يغفر لجميع من اتبع جنازته"(١).

ويفضل المسير أمام الجنازة بصمت وتفكر يتناسب وخشية الموت، فلقد صدق رسول الله حيث قال : "كفى بالموت واعظا"(٢) فعن الزهرى عن أبيه قال : "رأيت النبى ﷺ وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة"(٣) وعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ الراكب يسير خلف الجنازة، والماشى يمشى خلفها وأمامها وعن يمينها وعن يسارها قريبا منها"(٤) وقد كره جمهور العلماء الركوب عند تشييع الجنازة إلا لعذر، وأجازوه بعد الانصراف بلا كراهة، لحديث ثوبان أن النبى ﷺ أتى بدابة وهو مع الجنازة فأبى أن يركبها، فلما انصرف أتى بدابة فركب فقيل له فقال : "إن الملائكة كانت تمشى، فلم أكن لأركب وهم يمشون فلما ذهبوا ركبت"(٥).

ويكره رفع الصوت أثناء السير فى الجنازة بذكر أو قراءة أو نحو ذلك، قال ابن المنذر: روينا عن قيس بن عباد أنه قال : كان أصحاب رسول الله يكرهون رفع الصوت عند ثلاثة: عند الجنائز ، وعند الذكر، وعند القتال"، يقول الإمام النووى: "واعلم أن الصواب ما كان عليه السلف من السكوت حال السير مع الجنازة، فلا يرفع صوت بقراءة ولا ذكر ولا غيرهما، لأنه أسكن لخاطره وأجمع لفكره فيما يتعلق بالجنازة، وهو المطلوب فى هذا الحال، فهذا هو الحق ولا تغتر بكثرة ما يخالفه، وأما ما يفعله الجهلة من القراءة على الجنازة بالتمطيط وإخراج الكلام عن موضعه فهذا حرام بالإجماع" .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى مسنده "كشف الأستار" ١/ ٣٨٨ .
(٢) رواه الطبرانى، والبيهقى فى الشعب، عن عمار بن ياسر .
(٣) أخرجه أبوداود فى سننه ٣/ ٢٠٥ كتاب الجنائز ، باب المشى أمام الجنازة.
وأخرجه الترمذى فى سننه ٢/ ٢٣٧ كتاب الجنائز، باب ما جاء فى المشى أمام الجنازة .
(٤) رواه أصحاب السنن والحاكم وصححه .
(٥) أخرجه أبوداود فى سننه ٣/ ٢٠٤، كتاب الجنائز، باب الركوب فى الجنازة

ومن الآداب الإسلامية ألا يجلس المشيع للجنازة قبل أن توضـــع على الأرض، قال الإمام البخارى : "من تبع جنازة فـــلا يقعـــد حتـــى توضع عن مناكب الرجال، فإن قعد أمر بالقيام"، ثم رُوِىَ عن أبىسعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال : "إذا رأيتم الجنازة فقوموا، فمن تبعهـــا فلا يقعد حتى توضع" وهذا مذهب معظم أهل العلم وأكثـــر الصـــحابة والتابعين. ومن السنة أن يدعو المشيعون للميت بعد الفراغ من دفنـــه. فعن عثمان بن عفان ﷺ قال: كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفـــن الميـــت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم واســـألوا لـــه التثبيـــت فإنـــه الآن يسأل"(١).

نسأله سبحانه أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وأن يثبتنا عند السؤال برحمته وفضله ٠

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٣/ ٢١٥، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت ٠

٥١ ـ من مبادئ الإسلام الأساسية: الإيمان بالقضاء والقدر

من المقرر في الشريعة الإسلامية أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، ففي الحديث الطويل الذي رواه عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ عندما سئل عن الإيمان قال : "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره" ولذا نرى أنه من المهم لنا جميعا أن نتعرف على مفهوم القضاء والقدر وكيف يكون الإيمان بهما ؟

إن القضاء والقدر كلمتان مبهمتان عند كثير من الناس، على أننا إذا تأملناهما وبحثنا عن مدلولهما اطمأنت نفوسنا وارتاحت قلوبنا، فالقضاء هو علم الله تعالى وحكمه الأزلي بكل ما أراد إيجاده من العوالم والخلائق والأحداث والأشياء ، وتقدير ذلك الخلق وكتابته في اللوح المحفوظ، والقدر : إيجاد الله تعالى الشيء حين يقضي بوجوده في كميته وكيفيته وصفته وزمانه ومكانه وأسبابه، بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن موعده. وقد يطلق كل منهما على الآخر وذلك لسعة علم الله الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن، وقدرته التي لا يحدها شيء ولا يعجزها أمر، فما شاء الله كان وما شاء لم يكن . فالحكم بأن الله يعلم كل شيء وقدره قبل أن توجد الخليقة إلى ما لا نهاية، أمر بديهي لا جدال فيه ولا مراء . يقول تعالى: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) فالله يعلم كل ما يوجد في هذا الكون من آماد سحيقة لا بداية لعلمه ولا نهاية وإلا ما كان خالقا رازقا ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . إذا علمنا ذلك فإنه من المقرر أيضا أن الإنسان مخلوق ولكنه أكرم المخلوقات على الله تعالى، وهو الوحيد

---

(١) سورة سبأ آية ٣ .

الذى اختاره الله ليكون خليفته فى الأرض وكرمه بالعقل وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه، ومنحه الإرادة والقوة والقدرة والاختيار، فهو بالعقل يفكر وبالإرادة يرجح ويختار، ويسعى فى الأرض ليحصل مطالبه، ويأخذ بالأسباب فى كل ما يقدم عليه ، فإذا جاءت النتائج كما يحب ويهدف سعد بما أدى وحمد الله الذى أعان ووفق ، وقد كان قادرا على التعويق والمنع، وإذا تخلفت النتائج عما قدر المرء لأسباب خارجة عن إرادته بعد أن بذل الجهد وأخذ بالأسباب استسلم لمشيئة الله الذى لا يقع فى ملكه إلا ما يريده، وسلم المالك الملك له ما أراد سبحانه ولم يجزع لهزيمة أو حرمان، وهذا هو معنى القضاء والقدر خيره وشره، فالقضاء والقدر عقيدة تقر التوازن بين ما يجب لله وما يجب على الناس، لأن الإيمان بالله تعالى وقدرته يستلزم الإيمان بالقضاء والقدر، فالمسلم مطالب بأن يؤمن بقضاء الله وقدره ومشيئته وأنه لا يقع شيء فى الوجود ــ حتى أفعال العباد الاختيارية ــ إلا بعد علم الله وتقديره، وأنه عدل فى قضائه وقدره، حكيم فى تدبيره، وأن حكمته تابعة لمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا به تعالى.

وهذا الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافى الاجتهاد فى العمل واتخاذ الأسباب، ولا ينافى العمل والسعى والجد فى جلب ما نحب، واتقاء ما نكره، وليس لكسول أو متخاذل عن السعى والعمل أن يلقى على القدر أخطاءه وتجاوزاته، لأن القدر أمر مغيب مستور عنا، ونحن لا نعرف أن الشيء مقدر إلا بعد وقوعه، أما قبل الوقوع فنحن مأمورون بالسعى والعمل والأخذ بالأسباب، وأن يبذل كل منا جهده وأن يفرغ جهده وطاقته ما استطاع فإذا حدث وكان الأمر على غير ما نريد وننتظر، فهنا يكون المخرج الوحيد بالاعتذار بالقضاء والقدر والإقرار بأنه شاء شيئا وشاء الله شيئا آخر، وكانت كلمة الله هى العليا.

ولذلك كان للتسليم بقضاء الله وقدره والرضا به والإذعان لمشيئة الله تعالى آثار طيبة وثمرات عظيمة، فمن يرضى بقضاء الله يردد دائما : "لا حول ولا قوة إلا بالله" اعترافا منه بأن ما شاء الله كان فيمتلئ قلبه بالرضا والاطمئنان، فهذه الكلمة قال عنها رسول الله ﷺ

إنها كنز من كنوز الجنة، فعن عبدالله بن قيس قال : "قال لى رسول الله ﷺ : "يا عبدالله بن قيس ، ألا أعلمك كلمة هى كنز من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله"(١) وعن أبىهريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة" قال مكحول: فمن قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجا من الله إلا إليه كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناهن من الفقر"(٢).

كما أن الرضا بالقضاء والقدر يكسب المرء قوة العزيمة، إذ من اطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، خلت جميع أعماله من الحيرة والتردد، وانتفى من حياته القلق والاضطراب، لأنه بمجرد ما يترجح لديه الإقدام على أمر ما يقدم عليه فى غير ما خوف ولا هيبة ولا تردد، ومن هنا فإنه لا يحزن على ماض، ولا يغتم لحاضر، ولا يشغله هم المستقبل، فكل شىء بقضاء الله وقدره فيسعد نفسا ويطيب بالا. كما أن هذا الإيمان يجعله شجاعا عقلا وقلبا، وأكرم الناس قولا ونفسا، إذ من عرف أن أجله محدود، ورزقه معدود، فلا الجبن يزيد فى عمره، ولا الشح يزيد فى رزقه، ووجدناه يحرص على المكرمات وكل ما فيه الخير لنفسه ولمن حوله ، كما يمنحه ذلك قوة الإيمان عند اليأس، والصبر عن الصدمة والرضا بما قسم الله، فنجده فى كفاحه وسعيه يقول : " ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾(٣) ويقول عند المصيبة :"قدر الله ولا راد لقضائه" ، "ولا حول ولا قوة إلا بالله" فيطمئن قلبه ويجتاز المحن والمصاعب بعزيمة قوية ونفس مطمئنة ويقابل ذلك بالرضا والتسليم لمشيئة الله تعالى وهذا هو أعلى درجات الإيمان .

فاللهم إنا نسألك إيمانا كاملا ويقينا صادقا وقلبا خاشعا يا أكرم من سئل ويا عظيما يرجى لكل عظيم .

---

(١) حديث متفق عليه .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ٥/ ٥٨٠، كتاب الدعوات، باب فضل لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ١/ ٢١ وقال : هذا حديث صحيح ولا يحفظ له علة ولم يخرجاه ووافقه الذهبى .

(٣) سورة التوبة آية ٥١ .

٥٢ـ من حقوق المجالس وآدابها فى الإسلام

اجتماعات الناس ومجالسهم إحدى الظواهر الاجتماعية التى لايخلو منها مجتمع من المجتمعات، لأنها سبيل العلم والمعرفة وتدارس أمور الدين والدنيا وقضاء المصالح، وحل الخلافات والمشاكل، وتوطيد علاقات الناس ببعضهم .

فتجمعات الناس فى مجالس خاصة وعامة ظاهرة طبيعية فى كل المجتمعات، فقد أشرق نور الإسلام وللعرب مجالسهم وندواتهم يجتمعون فيها يتباحثون أمورهم ويحلون مشاكلهم، فلما جاء الإسلام نظم هذه المجالس وحدد أماكن الجلوس لها وما يدور فيها، فكان أول توجيه من النبى ﷺ لهذه المجالس عن مكان الجلوس حيث شاهد عليه الصلاة والسلام الناس يجلسون فى الطرقات يتحدثون فيها، فوضح لهم حكم الإسلام فى هذه المجالس، ففى حديث أبىسعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : "إياكم والجلوس فى الطرقات، فقالوا يا رسول الله ما لنا بُدّ من مجالسنا نتحدث فيها، فقال ﷺ : "فإذا أبيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه. قالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال : "غض البصر، وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر"(١) فهذا الحديث الشريف ينبه إلى عدم الجلوس فى الطرقات إلا إذا كانت هناك ضرورة، فإذا وُجدت ضرورة لذلك فلابد للجالسين من غض البصر، وكف أذاهم عن الناس، فلا يستهزئون بالمارة، أو يلاحقونهم بأبصارهم، أو ينالون أحدا بسوء، كذلك لا يصح أن تُعقد المجالس إلا لما فيه خير الناس وذلك لأمر بمعروف أو نهى عن منكر، وأن يحرص المجتمعون على توطيد علاقاتهم بالآخرين ممن يمرون عليهم، وذلك برد السلام عليهم لتشيع الطمأنينة والأمن بين

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النهى عن الجلوس فى الطرقات حديث رقم ١١٤، وأخرجه البخارى فى المظالم (باب أفنية الدور والجلوس على الصعدات) وفى أوائل كتاب الاستئذان ٥/ ٨١، ١١/ ٩ .

الناس جميعا، وعلى ذلك فكل مكان نظيف بعيد عن طريق الناس وفى مقدمة ذلك المسجد ودور العلم والبيوت، صالح لاجتماع الناس فيه من أجل تدارسهم لأمورهم وما يعود عليهم بالنفع والفائدة فى دينهم ودنياهم، وهذا هو الإطار العام لما يدور فى هذه المجالس، أما تلك المجالس التى تدور فيها الأحاديث التافهة والقضايا التى لا علاقة لها بالحياة النافعة للناس، أو التى يُضَيِّعَ فيها الإنسان وقته بلا هدف ولا غاية، فإنها تضييع للوقت وإهدار لأغلى شىء فى حياة الإنسان وهو الوقت الذى يمثل عمر الإنسان وحياته، ومما يملأ النفس مرارة وأسى ما نجده من بعض المجالس التى يجتمع فيها البعض يتجاذبون فيها أطراف الحديث عن أخبار الناس وتتبع عيوبهم والإساءة إلى الآخرين، فهذه آفة أصابت مجتمعنا بالعلل والأمراض وفيها من المخالفات الشرعية والوقوع فى الآثام ما لا يقبله إنسان عاقل على نفسه ، ولنا فى رسول الله ﷺ وصحابته الأكرمين الأسوة الحسنة فى ذلك، فقد كانت مجالسه ﷺ تحرص على تعليم الناس أمور دينهم، وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنه يعقد المجالس ولا يقصرها على العلوم الدينية، بل كان يروى فيها الشعر والأدب واللغة، ويجعل بعضها للحديث الشريف، أو التفسير أو الفقه ، وهذا يدل على أن المسلمين منذ البداية قد أدركوا أن العلوم كلها تتضافر من أجل نفع الإنسان، وما يفيده فى دينه ودنياه، ولا شك أن خير المجالس ما كانت عامرة بذكر الله ومدارسة كتاب الله والتكاليف الشرعية، من جهاد وصلاة وصيام وزكاة وأمر بمعروف ونهى عن منكر، وصيانة حياة الجماعة من الانحراف والفساد، وكل ما يؤدى بالإنسان المسلم إلى زيادة علمه بالدين والتفقه فى شرع الله الحنيف والنهوض بمجتمعه وعزته ورفاهيته، فإن ملائكة الرحمة تحف كل قوم اجتمعوا لذكر الله أو لتلاوة كتابه أو لتدريس العلم، وأن الله تعالى يباهى ملائكته بهم. فالرسول ﷺ يقول : "ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتابه ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة

وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"[١] ولما كانت اجتماعات الناس ومجالسهم متنوعة ومختلفة فهناك مجالس العلماء، ومجالس الشباب، ومجالس أصحاب المهن، ومجالس الطلاب، ومجالس النساء، وغير ذلك مما يمثل لقاء وتجمعا بين مجموعة من الناس، فقد وضع الإسلام لها آدابا ونظاما وحتى تؤتى هذه الاجتماعات ثمرتها انطلاقا من احترام الإنسان لأخيه الإنسان، وعدم التفريط بأى حق من حقوقه، وإفساح المجال لأكبر عدد من الجالسين فى الحوار والمناقشة ٠

أول هذه الآداب ألا يقيم القادم إلى المجلس أحدا من مكانه ليجلس فيه، ففى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : "لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن توسعوا وتفسحوا"[٢] ٠

وعن جابر رضى الله تعالى عنهما قال: "كنا إذا أتينا النبى ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهى"[٣] فالإسلام يدعو الإنسان المسلم أن يجلس حيث انتهى به المجلس ولا يتخطى الجالسين أو يقيم أحدا من مكانه لأنه لا فرق بين شخص وآخر إلا بالتقوى، فصاحب المكان أولى به لأنه أتى إلى المجلس مبكرا، وذلك دليل على حرصه على المجلس فهو إذن أحق به، ومع ذلك فإن هذا المبدأ الإسلامى الرفيع لا يتعارض مع تكريم صاحب البيت لزائريه بأن يرحب بهم وأن يقوم هو لاستقبالهم، كذلك إذا كان القادم آتيا من سفر فيسن القيام له وتكريمه بإفساح مكان له، أو كان معلما لنا، أو والدا أو ولى أمر أو عالما أو رجلا كبير السن، فلا بأس أن يقوم الإنسان من مكانه ويرحب به ويجلسه فى مكان مناسب له. فقد روى البيهقى عن أنس قال : قال

(١) أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ٤/ ٢٠٧٤، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر. عن أبى هريرة ﷺ ٠

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١١/ ٥٢، ٥٣ كتاب الاستئذان ، باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه. حديث رقم ٢١٧٧ ٠
[وبقية الحديث ــ وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه]٠

(٣) أخرجه أبوداود فى سننه، كتاب الأدب، باب فى التخلق ــ حديث رقم٤٨٢٥ وأخرجه الترمذى فى سننه، كتاب الاستئذان، باب اجلس حيث انتهى بك المجلس، حديث رقم ٢٧٢٦ ٠

عبد الرزاق عن ابن طاووس عن أبيه : من السنة أن توقر العالم وذا الشيبة والسلطان والوالد، ومن الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه" وروى أحمد ومالك: "ليس منا من لم يُجِلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه"(١) وعن سلمان مرفوعا: "ما من مسلم يدخل على أخيه فيُلقِي له وسادته إكراما إلا غفر الله له" وذلك لأن هذا الإكرام يؤدى إلى تحاب وترابط أفراد المجتمع المسلم. كذلك فقد نظم الإسلام كيفية الكلام فى هذه المجالس، فطلب أن يكون للمجلس موجه أو رئيس وهو صاحب البيت إن كان المجلس فى بيته، أو إمام المسجد أو المتحدث إلى الناس فى المسجد أو غيره بحيث ينظم الحوار والكلام فى المجلس ، ويعطى الفرصة لمن يطلب الكلمة، ويوزع الحديث على الجلوس حتى يعم النفع ويخرج الجميع بالفائدة المرجوة، كذلك فإنه ليس كل شيء يقال فى المجلس . إذ يجب أن يكون كل ما يقال فيه يفيد الحاضرين فى الموضوع المطروح للدراسة أو المناقشة، وأن يُلقِى بكثير من الأضواء عليه ويصل بالمجتمعين إلى الغاية التى عقد من أجلها ، فلا لغو ولا خوض فى أحاديث تافهة ولا مناقشات لا طائل تحتها، كذلك فقد أوجب الإسلام على المجتمعين أن يكونوا موضوعيين فى أحاديثهم ملتزمين بالأخلاق الاسلامية فلا كذب ولا مشاحنات ولا اعتداء ولا سب ولا تنابز بالألقاب [illegible] واحترام مشاعر الآخرين، وأن يختم المجتمعون اجتماعهم بذكر الله كما بدأ بذكر الله وذلك بقراءة سورة العصر أو بالدعاء المأثور: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فعن أبى برزة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس: "سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا انت، استغفرك وأتوب إليك" فقال رجل: يا رسول الله: إنك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى. قال : "ذلك كفارة لما يكون فى المجلس"(٢) .

---

(١) رواه أحمد والحاكم ــ عن عبادة بن الصامت .

(٢) أخرجه أبوداود فى سننه ، [illegible]
المجلس والحاكم ١/ ٥٣٧ .

٢٣ - الإسلام يدعو المسلم إلى الحرص على عزة نفسه والحفاظ على كرامته

يقول الله تعالى فى محكم التنزيـل: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ... ﴾(١)

وهذا التكريم من الله تعالى للإنسان يستدعى منه أن يحافظ على هـذا الفضل وأن يحرص على العزة والكرامة فى كل أقواله وأفعاله .

فلقد أولى الإسلام الإنسان عنايته واهتمامه، لما له من قيمة كبرى فى نظر الشرع الحنيف فكرمه فى ذاته وكرمه فى حياته وبعد مماتـه. لقد خلقه الله تعالى فى أحسن صورة، وجعله لـم يسـجد إلا لله الـذى خلقه، وأسجد له الملائكة تكريما لطبيعة خلقه، ومنحه العقل وهو أساس التمييز، ليكون مصباحه فى معرفة حقائق الوجود حوله، وهاديا يهديـه إلى نور الحق واليقين، وأنعم عليه بهداية الدين ليصون عقله أن يـزل أو يضل، وليسدد خطاه على طريق الحق والخير ، كما زوده بمواهـب وقوى أخرى، وسخر له كل ما حوله من أجل نفعه، وآثره على غيـره بالخلافة فى الأرض، ليعمرها ويستثمرها ويستمتع بما أودع الله فيهـا من مختلف الثمرات والطيبات والخيرات، كل ذلك يوضح أن الله تعالى ما خص الإنسان بهذه النعم والفضائل إلا لأنه أكرم خلـق الله تعـالى على ظهر هذه الأرض، ولهذا كانت الكرامة الإنسانية حقا إلهيا مقدسا يجب أن يحرص عليه كل إنسان وألا يتهاون فيه أو يفرط فـى شـىء منه، ولا شك أن أكبر ضمان للكرامة الإنسانية هو الإيمان بأنه لا إلـه إلا الله، لأن معنى هذا التوحيد ألا يتخذ الناس بعضهم بعضا أربابا من دون الله، وألا يهدروا كرامتهم بالخضوع لوثن من بشـر أو حجـر أو مخلوق من مخلوقات الله، فإذا اسـتقر هـذا المعنـى فـى الضـمائر والمشاعر شعر كل إنسان بكرامته وقيمته، فحـرص عليهمـا وكـافح دونهما وأبى لعزته أن تذل،ولكرامته أن تهون، وتكون الحرية أكرم ما تكون،والعزة أعظم مما تكون،وهذا بعض ما يفهم من قول الله تعـالى:

---

(١) سورة الإسراء آية : ٧٠ .

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

فالمؤمنون يستمدون عزتهم من إيمانهم بالله وبرسالته، وينتزعون قوتهم ومنعتهم من التغلب على أهوائهم وشهواتهم، فتغلب النفس على أهوائها عزة ، وترفع النفس عن دناياها قوة، وسيطرة النفس علـــى حاجاتهـــا غنى وثروة، وليس الغنى كثرة عروض الدنيا من مال وجـــاه وولـــد، وإنما الغنى غنى النفس ، يروى أبوهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : "ليس الغنى عن كثرة العَرض ــ أى ناشئا عن كثرة عروض الدنيا ومتاعها ــ ولكن الغنى غنى النفس"(٢) وبهذا الوضـع يصبح المؤمن عزيزا لأنه قد تمكن فعلا من أن يكون سيد نفسه، ولم تستطع شهواتها العادية ولـــم يستطع هواه الجامح أن يتحكم فيه فيذله ويســتعبده،والمؤمن العزيـــز يكون محافظا على كرامته لأنه لا يتبذل ولا يُسْـتَذَل، فهـــو صـــاحب كرامة لأنه مترفع عن الدنايا،لا يُؤْثِر الدنيا وشهوات النفس على الأعمـــال الصالحة الباقية .

وبناء الشخصية على الأخـــلاق الكريمـــة لا يـــتم إلا إذا أعمـــل الإنسان فكره فى جميع ما حوله، حتى يكون اعتقاده مبنيا على حجـــة وبرهان ويقين واضح، مما يدفع به إلى الاستقلال فى الرأى والـــرفض لكل تبعية أو انقياد ، وهكذا يجب أن يكون الإنسان المسلم فى كل مـــا يعرض له من أمور، فلا يعتنق مبدأ من المبادئ أو ينحاز إلى رأى من الآراء، إلا إذا قام لديه من الأدلة ما يقنعه القناعة الكاملة بأن هذا هـــو الصواب والرأى السليم، فإذا تكلم كان واثقا من قوله، وإذا اشتغل كان راسخا فى عمله، وإذا اتجه كان واضحا فى هدفه، وما دام مطمئنا إلى الفكرة التى تملأ عقله، وإلى العاطفة التى تغمر قلبه، قلما يعرف التردد سبيلا إلى نفسه، وقلما تزحزحه العواصف العاتية عن موقفـــه. هـــذه الروح المستقلة فى الرأى والعمل، وتلك الثقة فيما يرى أنه الحق، كـــل

---

(١) سورة المنافقون: آية ٨ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١١/ ٢٧١ ، كتاب الرقائق، باب الغنى غنـــى النفس، ومسلم فى صحيحه ٢/ ٧٢٦، كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض.

ذلك يجعله فى الحياة رجل مبدأ متميز، فهو يعاشر الناس على بصيرة من أمره. يعرف للرّجْل قبل الخطو موقعها، إن رآهم على الصواب تعاون معهم، وإن وجدهم مخطئين نأى بنفسه عنهم واستوحى ضميره وحده، روى الترمذى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "لا يكن أحدكم إمعة، يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم" ــ والإمعة: هو الشخص يتابع الآخرين على رأيهم ولا رأى ولا شخصية له ــ فهذا الحديث الشريف يتوجه إلى الفرد المسلم ويريد المسلمين أجمعين ألا يكونوا تابعين فى الرأى لأحد، ويستعمل لفظ "إمعة" الذى يوحى بتركيب حروفه وضبط حركاته معا بالاهتزاز وعدم الاستقرار، وكأنه يشير بهذا اللفظ القليل الاستعمال فى الأساليب العربية إلى غرابة هذه الصفة بين المسلمين، ويوجهنا إلى أن هذا الخلق يرفضه الإسلام ويأباه، وأن المؤمن هو الذى يعتز بكرامته ويحرص على عزة نفسه، لا يكترث بما يقوله الناس ما دام هذا القول بعيدا عن الحق والدين، فالمعيار فى الرأى هو ما يتفق مع الحق والعدل، رضى الناس أو لم يرضوا، وعليه أن يواجه الناس بقلب مفتوح ومبادئ واضحة، لا يصانع على حساب الحق بما يغض من كرامته وكرامة إخوانه، بل يجعل قوته من قوة المبادئ الواضحة التى تحفظ له الكرامة والعزة، وألا يحيد عن الصراحة أبدا فى تقرير الحقيقة، لا تعنيه قسوة النقد أو اعتراض المعترضين. إن الإسلام يكره للمؤمن أن يكون مترددا فى أموره، ويكره أولئك الذين يعيشون فى الدنيا أذنابا تغلب عليهم طبائع الزلفى والتهافت على خيرات الآخرين، أو الحرص على إرضائهم حتى لو كان فى ذلك ضياع هيبتهم ومحو شخصيتهم، فهؤلاء وأمثالهم قد حرموا أنفسهم من أعظم مقومات حياتهم، وأساس احترامها فى هذا الوجود وهو الاستقلال بالرأى، وحكموا على أنفسهم بالتجرد من العقل والبعد عن التفكير السليم، وارتضوا لأنفسهم التبعية المقيتة فانحدروا إلى مستوى البهيمة التى لا تعى من أمرها شيئا، والله لا يرضى للمسلم إلا أن يكون عزيزا قويا، كامل الإرادة أبى النفس كريما. إن واجب الإنسان المسلم نحو نفسه ونحو دينه أن يكون واضحا فى سلوكه

ومعاملاته مع نفسه ومع الآخرين، فالإنسان فى طبيعته ونشأته مكرم، له العزة والكرامة ، فإذا استذل أو أهين كان ذلك من فعله، وكان فعله عندئذ اعوجاجا لا قوام فيه. لا يُهان ولا يُستذلّ إلا من ضل السعى فى الحياة، ومن ضل سعيه فى الحياة يكون قد آثر الدنيا وشهوات النفس على الأعمال الصالحة الباقية، والله لا يرضى للمسلم هذا المسلك ويأباه له ففي الحديث : "من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا"[١] إن اعتزاز المسلم بنفسه وكرامته ودينه من أبرز الخلال التى نادى بها الإسلام وغرسها فى نفوس أتباعه، وتعهد نماءها بما شرع من عقائد وسن من تعاليم. نسأله سبحانه أن يعزنا بعزته، وأن يملأ قلوبنا بنور اليقين ٠

---

(١) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٤٨، والترغيب والترهيب ٢/ ٣٤٢، ٤/ ٨٦ ٠

٥٤- من القيم الإسلامية الكريمة: الدعوة إلى الوليمة وإجابتها

لقد حرص ديننا الإسلامى على تقوية روابط الأخوة وتوثيق عرى المحبة والتقارب والتآلف بين المسلمين جميعا، ولذلك سن لهم بعض الأعمال التى تسهم بشكل إيجابى فى ترابطهم وتآلفهم، إلى جانب تعويدهم على الكرم والبذل وهى صفة كريمة حث عليها الإسلام، إلى جانب شكر الله تعالى على نعمه وأفضاله، فبالشكر تدوم النعم، وفى مقدمة ذلك إقامة الولائم فى بعض المناسبات السارة وكذلك فى غير مناسبة، وأهم هذه الولائم وليمة النكاح ، فيستحب لمن أنعم الله عليه بنعمة الزواج أن يقيم وليمة للفقراء والمساكين والأهل والأصدقاء، سرورا بهذا الحدث العظيم وشكرا لله تعالى على ما وفقه الله تعالى إليه من نعمة الإعفاف والبناء بزوجة صالحة، ومنها وليمة العقيقة: وهى الذبيحة تذبح عن المولود ولو كان الأب معسرا. فقد فعلها رسول الله ﷺ ، وفعلها أصحابه، روى أصحاب السنن أن النبى ﷺ عق عن الحسن والحسين كبشا كبشا"[١] كما رووا عن سمرة عن النبى ﷺ أنه قال : "كل غلام رهينة بعقيقته تُذبح عنه يوم سابعه، ويُحلق ويُسَمّى"[٢] وعن سلمان بن عامر الضبى أن النبى ﷺ قال : "مع الغلام عقيقته فأهريقوا عليه دما، وأميطوا عنه الأذى"[٣] ومن الأفضل أن يُذْبَح عن الغلام شاتان متقاربتان شبها وسنا، وعن البنت شاة. فعن أم كرز

---

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ــ كتاب الأضاحى ــ باب فى العقيقة ٢٨٤١، والبيهقى، والطبرانى فى الكبير والطحاوى فى مشكل الآثار ١/ ٤٥٧ من طريق ابن عباس .

(٢) رواه أبوداود، والترمذى، والنسائى وأحمد وابن ماجة ، ومعنى رهينة بعقيقته : أن العقيقة لازمة لابد له منها فشبه فى لزومه لها وعدم انفكاكه منها بالرهن فى يد المرتهن . قال ابن حجر فى "الفتح" وهذا يقوى قول من قال بالوجوب.

(٣) رواه البخارى فى صحيحه ٧/ ١٠٩ ، كتاب العقيقة، باب إماطة الأذى عن الصبى فى العقيقة ، وأحمد فى مسنده ٤/ ١٧، ١٨، وأبوداود (كتاب الأضحى) باب فى العقيقة ٢٨٣٩ ، والترمذى، وابن ماجة، وعبدالرزاق فى مصنفه، والحميدى فى مسنده ٢/ ٨٢٣ .

الكعبية قالت: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: عن الغلام شاتان متكافئتان وعن الجارية،شاة"(١) ويجوز ذبح شاة واحدة عن الغلام لفعل الرسول ﷺ ذلك مع الحسن والحسين رضى الله عنهما . ومن الولائم أيضا: وليمة ختان الصبى. ومن ذلك أيضا: وليمة النقيعة وهى بمناسبة قدوم المسافر من سفره مأخوذة من النقع وهو الغبار، ووليمة الوكيرة وذلك بمناسبة المسكن الجديد أو المتجدد، مأخوذة من الوكر وهو المأوى، وكذلك المأدبة وهى ما يقيمه بعض الناس بلا سبب شكرا لله تعالى على نعمة أو تجديدا للعلاقات بينه وبين أهله وأصدقائه ومحبيه .

أما عن إقامة هذه الولائم والمطلوب فيها فيرى بعض العلماء أن وليمة العرس واجبة وذلك لقوله ﷺ لعبدالرحمن بن عوف "أَوْلِمْ ولو بشاة"(٢) ولكن جمهور العلماء يرون أن وليمة طعام العرس سنة مؤكدة، فعن أنس رضى الله تعالى عنه قال: "ما أولم رسول الله ﷺ على امرأة من نسائه ما أولم على زينب، وجعل يبعثنى فأدعو له الناس فأطعمهم خبزا ولحما حتى شبعوا"(٣) وهذا لا يدل على أنه ﷺ ، كان يفضل بعض نسائه على بعض وإنما كان يولم بحسب استطاعته، فإن وجد الشاة أولم بها وإن لم يجد شاة،أولم بما يستطيع على قدر سعته. والمطلوب فى وليمة العرس أن يولم بشاة أو بما يستطيع، ووقتها عند العقد أو عقبه أو عند الدخول أو عقبه، وهذا أمر يُتَوسَّع فيه حسب العرف والعادة ، أما وليمة العقيقة فهى كما ذكرنا شاة تذبح عن المولود يوم سابعه فإن لم يتيسر ذلك ففى اليوم الرابع عشر، وإلا ففى الواحد والعشرين من يوم ولادته، فإن لم يتيسير ففى أى يوم من الأيام وحكمها حكم الأضحية، وهى أن يأكل منها ويهادى أصحابه وأهله ويعطى الفقراء والمحتاجين أو يصنع بها أو بجزء منها طعاما ويدعو

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ٦/ ٣٨١، ٤٢٢، والترمذى: وقال : هذا حديث صحيح . وأبوداود والنسائى ٧/ ١٦٥، والبيهقى ٩/ ٣٠١، وابن ماجة والحاكم فى المستدرك ٤/ ٢٣٧، وللدارمى ٢/ ٨١، والطحاوى فى المشكل ٤٥٧/١ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

إليه أهله وأصدقاءه والفقراء والمحتاجين، وهى سنة مؤكدة، أما الولائم الأخرى فهى أن يذبح شاة أو يقدم طعاما على قدر ما يتيسر له وهـــى سنة فى حق القادرين ٠

والشروط والآداب العامة التى يجب مراعاتها فى الوليمة هى:

أولا : أن يكون الداعى إلى الوليمة مكلفا حرا رشيدا، وألا يخص الأغنياء دون الفقراء، وألا يظهر منه قصد التودد لشخص لرغبة فيـــه أو رهبة منه، وألا يكون هناك ما يتأذى به من منكر أو غيره ، فعـــن أبى‌هريرة ﷺ قال: "شر الطعام طعام الوليمة يُدْعَى لها الأغنياء ويُتْرَك الفقراء"(١) ومن أدب الوليمة أن يأكل المدعو فقط لا أن يأخـــذ طعامـــا معه له أو لغيره، وأن يخرج بعد الانتهاء من تناول الطعـــام، فالمكـــث بعده غير مرغوب فيه حتى يفرغ أهل البيت لبعض شئونهم. يقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ ﴾(٢) اللهم إلا إذا كان الجلوس بإذن صاحب الدار ورغبته، أو كان جلوسا يسيرا تعارف عليه الناس ، وأن يدعو لصاحب الطعام ويشكره على دعوته ٠

وعن حكم إجابة الدعوة إلى هذه الولائم؟ فيرى بعض العلماء أن إجابة الدعوة إلى وليمة العرس خاصة واجبة، ولا تجب فى غير وليمة العرس، وحجتهم فى ذلك أن الوليمة إذا أطلقت حملـــت علـــى طعـــام العرس بخلاف سائر الولائم فإنها تُقَيَّد ، ولكن معظم العلماء يـــرون أن إجابة الدعوة واجبة فى جميع الولائم، وذلك لأن الأحاديث الواردة فى ذلك تؤيد ضرورة الإجابة لكل دعوة، فعن ابن عمر رضى الله تعـــالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : "إذا دُعِيَ أحدكم إلى وليمة فليأتها"(٣) وعن أبى‌هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "لو دُعيت إلى كـــراع لأجبـــت، ولو أُهْدِيَ إليَّ ذراع لقبلت"(٤) ويرى بعضهم أن إجابة الـــدعوة لهـــذه الولائم جميعها مستحبة، فإن كان له عذر فلا بـــأس أن يتخلـــف عـــن

---

(١) رواه البخارى ٠
(٢) سورة الأحزاب : آية ٥٣ ٠
(٣) رواه مسلم ، وابن ماجة ٠
(٤) رواه البخارى ٠

إجابة الدعوة، ففى إجابة هذه الدعوات إظهار الاهتمام بالداعى وإدخال السرور على نفسه، وتطييب لخاطره، وتقوية للروابط الاجتماعية. فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : "أجيبوا هذه الدعوة إذا دُعِيتم لها"(١) وكان ابن عمر يأتى الدعوة فى العرس وغير العرس ويأتيها وهو صائم ، وفى رواية: "إذا دعى أحدكم إلى الوليمة فليأتها" رواه أبوداود، وزاد : "فإن كان مفطرا فليطعم، وإن كان صائما فليدع" وليس من اللازم أن يأكل المدعو، فالمطلوب إجابة الدعوة فإن كان صائما اعتذر عن الأكل بقوله : إنى صائم أو يعتذر عن الحضور بسبب صيامه، ويقول للداعى: أنا صائم، أو يحضر الوليمة ولا يأكل. فعن أبى‌هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا دُعِىَ أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل إنى صائم"(٢). نسأله سبحانه أن يجعلنا ممن يألفون ويؤلفون وأن يوجهنا إلى شكر نعمه بفعل الطاعات والحرص عليها .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه مسلم، وأبو داود والترمذى، وابن ماجة .

٥٥ـ الإسلام يدعو إلى الحرص على إفشاء السلام بين الناس

الإسلام دين المحبة وائتلاف القلوب وتوثيق الروابط بين النـــاس، ولذلك فقد دعا إلى كل ما من شأنه أن يقوى الرابطة الإســلامية بــين المسلمين، ومن ذلك دعوته إلى إفشاء السلام بين النـــاس، فقـد روى مسلم وغيره عن أبىهريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "والذى نفسـى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحـابوا، ألا أدلكـم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ : "أفشوا السلام بينكم"[(١)] فهذا الحـديث يشير إلى أن السلام إذا انتشر بين المؤمنين كان سببا فى انتشار المحبة بينهم وكان سببا فى دخول الجنة، ولما قدم رسول الله صلى الله عليــه وسلم المدينة استشرفه الناس فخطب فيهم قائلا : " أيها الناس أفشــوا السلام ،وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيــام ، تدخلوا الجنة بسلام[(٢)].

فالسلام هو التحية التى وضعها الإسلام ليتبادلها المسلمون فيمـا بينهم ، لأنها تنشر المحبة، وتكون سببا فى اطمئنان الناس بعضهم إلى بعض ، وقد اختار الإسلام هذه التحية التى تحمل فى ثناياهـا الخيـر والأمن للإنسانية كلها. يقول الله تعالى فى الآية السادسة والثمانين مــن سورة النساء : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ ويقول جل شأنه فى الآية الواحـدة والستين من سورة النور : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَـٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[(٣)] فدلت الآيتان الكريمتان على أن السلام شعار المسلمين، وهو التحية المباركة التى أشارت إليها الآيــة

---

(١) رواه أبوداود ومسلم والترمذى .
(٢) رواه الدارمى والترمذى وابن ماجة وغيرهم بإسناد صحيح .
(٣) سورة النور آية ٦١ .

الكريمة الثانية، وأول من نطق بها آدم عليه السلام فقد علمـه ربـه طريقه: السلام على الآخرين كما ورد فى صحيحى البخارى ومسـلم من حديث أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "لمـا خلـق الله تعالى آدم ــ عليه السلام ــ قال : اذهب فسلم على أولئك النفر ــ وهم نفر من الملائكة جلوس ــ فاستمع ما يحيونك فإنهـا تحيتـك وتحيـة ذريتك، قال: فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك ورحمـة الله ، قال : فزادوه ورحمة الله"، وقد جعل الإسلام شعار المسلمين حين يفرغ من صلاته عن يمينه ويساره: السلام عليكم ورحمة الله، ويسـن للإنسان إذا دخل بيته أن يسلم على أهله ومن فيه، فذلك أدعى أن يسود الحب جو الأسرة. يقـول تعـالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾[1] وعن أنس ﷺ قال . قال لى رسول الله ﷺ : يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلم يكـن بركـة عليك وعلى أهل بيتك"[2] فكلمة السلام : اسم من أسماء الله تعالى، فعن "عبدالله بن مسعود" ﷺ عن النبى ﷺ قال : "السلام اسم من أسـماء الله تعالى وضعه فى الأرض فأفشوه بينكم، فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم"[3] وروى حُمَيْد عن أنس قال : خدمت رسول الله ــ ﷺ ــ عشر سنين فما قال لى فى شيء فعلته لم فعلته ولا قال فى شيء تركته لم تركته وكنت واقفا على رأس النبى ــ ﷺ ــ أصب الماء على يديه فرفع رأسه إلى وقال: ألا أعلمك ثـلاث خصال تنتفع بهن؟ قلت بأبى وأمى أنت يا رسول الله بلى، فقال: مـن لقيت من أمتى فسلم عليهم يطل عمرك، وإذا دخلت بيتك فسلم علـيهم يكثر خير بيتك، وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابـين" ومعنـى

(١) سورة النور آية ٦١ .

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ٥/ ٥٩، كتاب الاستئذان، باب ما جاء فى التسليم إذا دخل بيته .

(٣) رواه الطبرانى والبزار بإسناد جيد . انظر الترغيب والترهيـب ٣/ ٦٧٦ ، ورواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

السلام : أنت فى حفظ الله أو أن السلامة ملازمة لك. وهو تحية أهل الجنة: ﴿ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ ﴾ (١) .

ولقد أجمع العلماء على أن الابتداء بالسلام سنة مُرغَّب فيها ، وأنك تلقيه على من تعرف ومن لم تعرف قبل الكلام، أما الرد عليه فواجب، يأثم الممتنع عن رده لقوله تعالى : ﴿ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ ﴾ فإن كان المسلَّم عليه واحدا ، تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة فهو واجب كفاية فى حقهم فإن رد واحد منهم سقط الحرج والإثم عن الباقين. فعن على رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم"(٢)، ومن السنة تسليم الراكب على الماشى، والقائم على القاعد، والقليل على الكثير . فقد جاء فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : "يسلم الراكب على الماشى، والماشى على القاعد، والقليل على الكثير" وفى رواية البخارى: "والصغير على الكبير" ٠

وتحية الإسلام هى: السلام عليكم، وتمامها: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" ولا يزاد على ذلك ، لأن هذا هو السلام المشروع الذى أخبرنا به رسول الله ﷺ . فعن سلمان الفارسى رضى الله تعالى قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله، فقال : "وعليك السلام ورحمة الله" ثم جاء آخر فقال: "السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله"، فقال له رسول الله ﷺ : "وعليك السلام ورحمة الله وبركاته" ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فقال له الرسول ﷺ : "وعليك" فقال له الرجل: يا نبى الله. بأبى أنت وأمى. أتاك فلان وفلان فسلما عليك، فرددت عليهما أكثر

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٤٤ ٠

(٢) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٣٥٤ كتاب الأدب باب ما جاء فى رد الواحد عن الجماعة ٠

مما رددت عليَّ . فقال له :"إنك لم تدع لنا شيئا" قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ فرددناها عليك[١]" ففى هذا الحديث بيان أنه لا زيادة فى السلام على هذه الصيغة: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته" وكذلك فى الرد على المُسَلِّم" ، إذ لو شُرع أكثر من ذلك لزاده رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه، كما يدل على أن الفضل أن نزيد على الصيغة التى حيينا بها إذا لم تكن كاملة كما فعل رسول الله ﷺ ، فإذا قال أحد: السلام عليكم، كان الأفضل أن نزيد فى الرد عليه فنقول "وعليكم السلام ورحمة الله" فإن قال: السلام عليكم ورحمة الله ، كان الأفضل أن نقول له: "وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته" كما يجب مراعاة أن يكون السلام كله بلفظ الجماعة وإن كان المسلم عليه واحدا، فقد روى الأعمش عن إبراهيم النخعى قال: إذا سلمت على الواحد فقل: السلام عليكم، فإن معه الملائكة، وكذلك يكون الجواب بلفظ الجمع[٢] فمن آداب السلام والمستحب أن يقول المبتدئ بالسلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فيأتى بضمير الجمع ، وإن كان المسلم عليه واحدا ، ويقول المجيب : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيأتى بواو العطف فى قوله : " وعليكم"[٣] ولعل الحكمة فى السلام بلفظ الجمع : المبالغة فى التعظيم والتكريم والإيناس ، وإدخال السرور على المسلَّم عليه ، ولأن الله تعالى يقول : " ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾[٤] .

ومن آداب السلام أيضا : ألا يقول : " عليك السلام" ، لما رواه الترمذى على أبى جرى الهجيمى رضى الله عنه قال : أتيت النبى

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٣٢٤ ط دار الشعب : شرح الزرقانى ٤/ ٤٦٣ .
(٢) تفسير القرطبى ٢/ ١٩٦٢ ط دار الغد العربى .
(٣) دليل الفالحين ٣٣٥/٣ .
(٤) سورة النساء آية ٨٦ .

صلى الله عليه وسلم فقلت : عليك السلام يارسول الله ، قال : " لا تقل عليك السلام ، فإن عليك السلام تحية الموتى"[١] .

ولإلقاء هذه التحية والرد عليها الثواب العظيم من الله تعالى ٠فقد روى على ﷺ قال: دخلت المسجد فإذا أنا بالنبى ﷺ فى عصبة من أصحابه فقلت: السلام عليكم، فقال: "وعليك السلام ورحمة الله" عشرون لى وعشرة لك" قال : ودخلت الثانية. فقلت: السلام عليكم ورحمة الله. فقال، "وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثلاثون لى وعشرون لك" ، فدخلت الثالثة فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثلاثون لى وثلاثون لك أنا وأنت فى السلام سواء"[٢].

فالسلام أدب اجتماعى وهو خير خصال الإسلام ، به يبدأ المرء قومه حين يلقاهم تعبيرا عن محبته وتمنياته الطيبة لهم بحياة عزيزة كريمة، والتحاب دليل الإيمان، وجزاء الإيمان الجنة كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق. ندعوه سبحانه أن يوفقنا إلى طاعته والعمل بما أمرنا به فهو سبحانه الموفق والمعين ٠

---

(١) رواه الترمذى وأبو داود ٠

(٢) مجمع الزوائد ٨/ ٣٠ ، مسند البزار ٣/ ٥٣ ٠

٥٧ـ الإسلام يدعو إلى التراحم وإطعام الطعام

لقد جاء الإسلام وقلوب النـــاس فارغـــة مـــن معـــانى الرحمـــة والتعاون، يستذل قويهم ضعيفهم، ويستغل غنيهم فقيـــرهم، ولا فضـــل للغنى سوى أنه صاحب مال، ولا ذنب للفقير سوى أن ظروف حياتـــه لم تهيئ له الغنى وسبل الكسب. جاء الإسلام والناس على هذا الوضع السيئ ، فأفرغ جهده فى القضاء على منابع الشـــر، وأخـــذ بمبادئـــه الحكيمة يزيل الحواجز التى قطعت ما بين الناس من صلات التـــراحم والتعاون والبر والإحسان، وأخذ يبنى المجتمع بناء واحـــدا متماســـك البنيان، متضام الوحدات، وكان أول ما اتخذه من ذلك، الحـــث علـــى التعاون والتراحم، وأن يأخذ القادر بيد الضعيف المحتاج، وحرم الشح والبخل والضن بحق الفقير والمسكين، ووضع أمام الأنظـــار صـــورة مضيئة للتراحم والتعاون والبذل والعطاء، وأوضح للأغنياء الذين آتاهم الله من ماله أن هذا المال إن كان معقودا فى ملكيتهم بأسمائهم ، إلا أن حق الانتفاع به مشترك بينهم وبين إخوانهم الفقراء، الـــذين يكوّنـــون المجتمع معهم، ويكون راحته من راحتهم، واضطرابه من اضطرابهم، ولهذا أوجب مد يد المعونة إلى الفقراء والمساكين وأرباب الحاجـــات، والتفريج عن المـــأزومين، وتقـــديم الطعـــام للجـــائعين المحـــرومين وإشباعهم، وإغاثة الملهوف ، والمساهمة العملية فى إقامـــة المصـــالح العامة للدولة، ودعا القرآن الكريم إلى هذا التعاون المادى وحث عليـــه واستنهض الهمم وأطلق عليه جملة من العناوين المحببة فيه، الداعيـــة إليه،أطلق عليه عناوين: الإحسان، والزكاة، والصدقة، والإنفـــاق فـــى سبيل الله، وعلى هذه الأسس التى تقتضيها الأخوة والتراحم والتعـــاون بين الناس والاشتراك فى الإحساس وتبادل الشعور بين الأفراد بعضهم مع بعض، امتلأ القرآن الكريم مكيّه ومدنيّه بآيات الحث على الإنفـــاق للفقراء والمساكين وفى سبيل الله، كما جاءت الســـنة النبويـــة لتحـــث المسلمين على ذلك، توضح لهم جزاء هذه الأعمال، وقد وجهت العناية الكبرى فى ذلك إلى قضاء الحاجات الشخصية التى تطرأ على الأفراد فتوهن من قوتهم وتضعف من روحهم. هذا هو الوضع الـــذى ركـــز

الإسلام عليه ودعا إليه وحذر من مخالفته أو التهاون فيه، واعتبر التهاون فيه إلقاء بالأنفس إلى التهلكة، وهذا هو الوضع الذى انتهجه الإسلام فى بناء المجتمع، وربط به بين أفراده بما يجعلهم كالبنيان يشد بعضه بعضا، وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، وكاليدين تغسل إحداهما الأخرى. بهذا كان من غير المعقول أن يبيح الإسلام للغنى فيه، القادر من أبنائه، أن يستقل بمتعة ماله، وأن ينفرد بحق الانتفاع به دون أن يمد يده لسد حاجة المحتاج من إخوانه أو دولته. يقول الله تعالى : ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) ويقول سبحانه : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٢) ويقول ابن مسعود ﷺ : "إذا استطعت أن تجعل كنزك حيث لا يأكله السوس ولا تناله اللصوص فافعل بالصدقة" ويقول المصطفى ﷺ : "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له"(٣) أى من كان عنده دابة زائدة عن حاجته فليعطها لمن هو فى حاجة إليها، وعن عقيل بن خالد الزهرى أن سالم بن عبدالله بن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، من تركه يجوع ويعرى وهو قادر على إطعامه وكسوته فقد أسلمه".(٤)

فهذا الحديث يحث على إطعام الجائعين وتقديم الطعام للمحتاجين ويوضح أن أفضل الصدقة إطعام الطعام. ولهذا يقول الإمام على ﷺ

---

(١) سورة الروم : آية ٣٨ .
(٢) سورة آل عمران : آية ٩٢ .
(٣) رواه مسلم فى صحيحه ٣/ ١٣٥٤، وابن حبان ١٢/ ٢٣٨ .
(٤) المحلى لابن حزم ١٥٧/٦ .

لأصحابه : "لأن أجمع نفرا من إخوانى على صاع أو صاعين من طعام أحب إلىَّ من أن أخرج إلى سوقكم فأشترى رقبة فأعتقها[١]" .

ويروى الطبرانى والحاكم عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : "من أطعم أخاه حتى يُشْبِعَه وسقاه من الماء حتى يَرْوَيَه، أبعده الله عن النار بسبع خنادق، ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام" وعن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ سئل أى الإسلام خير؟ قال: "أن تطعم الطعام، وتقرئ السلام على من عرفت ومن لم تعرف"[٢] وروى ابن ماجة من حديث أنس رضى الله عنه ومن حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : الرزق إلى أهل بيت فيه الشماء أسرع من الشفرة إلى سنام البعير" [٣] ويمدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين الأبرار بهذا الخلق الكريم وهو إطعام الطعام فيقول جل شأنه : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [٤] أى يطعمون الطعام على قلته وحبهم له ورغبتهم فيه، وهذا من أفضل الأعمال، فقد قال رسول الله ﷺ : "أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر"[٥] أى فى حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ، ويمدح الله تعالى الأنصار الذين يحبون المهاجرين إلى مدينتهم فيقول: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [٦] فهم يقدمون إلى إخوانهم المهاجرين ما يستطيعون تقديمه ويفضلونهم على أنفسهم فى حال احتياجهم وحاجتهم إلى ما

---

(١) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب ٦٨/٢ ط بيروت .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ١/ ٥٥ ، كتاب الإيمان ، باب إطعام الطعام من الإسلام، وأخرجه مسلم فى صحيحه ١/ ٦٥ ، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأى صورة أفضل.

(٣) انظر كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ٣٨٤/٣ ط . بيروت .

(٤) سورة الإنسان : آية ٨ .

(٥) رواه البخارى ومسلم ـــ عن أبىهريرة .

(٦) سورة الحشر : آية ٩ .

يقدمون ، وهذا من أفضل الأعمال، فقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: "أفضل الصدقة جهد المقل"(١) ،وعن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : "خلقان يحبهما الله عزوجل، وخلقان يبغضهما الله عزوجل ، فأما اللذان يحبهما الله تعالى، فحسن الخلق والسخاء، وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل، وإذا أراد الله بعبد خيرا استعمله فى قضاء حوائج الناس"(٢)، ويقول عليه الصلاة والسلام : "اتقوا النار ولو بشِقِّ تمرة"(٣) وعن أبىسعيد الخدرى مرفوعا أن رسول الله ﷺ قال : "أيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة، وأيما مؤمن سقى مؤمنا على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمنا على عُرْى كساه الله يوم القيامة من خُضْر الجنة" (٤).

ويقولُ عليه الصلاة والسلام : "من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يقبل الله إلا طيبا — فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يُرَبِّى أحدكم فُلُوَّه حتى تكون مثل الجبل"(٥) — والفلو: المهر الصغير — .

فمن البر فى الإسلام إطعام الطعام وهو من أفضل القربات إلى الله تعالى، وإطعام الطعام يشمل بذله للمحتاج وتقديمه للضيف وإقامة الولائم، بل يشمل معونة المسلم بالمال أيا كان نوع المعونة، وأيا كان المال: طعاما أو شرابا أو مسكنا أو لباسا أو نقدا .

فالصدقة — على عمومها — كما قيل: تدفع سبعين بابا من الشر، والله تعالى يقول : ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾

(١) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥/ ٢٦٥ — عن أبىهريرة — ﷺ — .
(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .
(٣) تمام الحديث:فإن لم يكن فبكلمة طيبة:رواه البخارى ومسلم عن عدى بن حاتم.
(٤) رواه أبو داود وضعفه الألبانى ولكن الشيخ حمزة الزين حسنه فى تخريج المسند للإمام أحمد (١١٠٤٣) ١٠/٤٧ ورواه الترمذى (٢٤٤٩) .
(٥) حديث متفق عليه .

فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ

مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ (١) ولذلك يقول أحد العارفين: "عليكم بالصدقة بما قل أو كثر فإن في الصدقة عشر خصال محمودة، خمس في الدنيا، وخمس في الآخرة، فأما الخمس التي في الدنيا فأولها تطهير المال كما قال ﷺ، والثاني: أن فيها تطهير البدن من الذنوب كما قال عزوجل: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا.. ﴾ (٢) والثالث: فيها دفع البلاء والأمراض كما قال ﷺ : "داووا مرضاكم بالصدقة" والرابع فيها إدخال السرور على المساكين، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين، والخامس: أن فيها بركة في المال وسعة في الرزق قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾(٣) وأما الخمس التي في الآخرة: فأولها: أن تكون الصدقة ظلا لصاحبها من شدة الحر، والثاني : فيها خفة الحساب، والثالث : أنها تثقل الميزان، والرابعة: سرعة الجواز على الصراط، والخامس: زيادة الدرجات في الجنة، ولو لم يكن في الصدقة فضل سوى دعاء المساكين لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيها ويحرص عليها."

ويقول عليه الصلاة والسلام : "إن في الجنة غرفا يُرَى ظاهرُها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، هي لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وصلى والناس نيام"(٤). نسأله سبحانه أن يجعلنا ممن يطعمون الطعام ابتغاء مرضاته واعترافا بفضله ونعمائه.

---

(١) سورة البلد آية ١١ ــ ١٨ .

(٢) سورة التوبة آية ١٠٣ .

(٣) سورة سبأ آية ٣٩ .

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان) ٣٦٢/١ ، عن أبي مالك الأشعري ــ ﷺ ــ .

٥٨ - الإسلام يدعو إلى الالتزام بآداب الطعام وتناوله

ديننا الإسلامي دين الأخلاق الكريمة والفضائل العالية، يربي أبناءه على كل الخصال الشريفة والقيم العالية، لما لهذه الآداب من صلة وثيقة بأفكار الأمة وعقيدتها، وهي تجسيد عملي لقيمها ومُثلها. ولذا كانت آدابه مستغرقة لحياة الإنسان المسلم في العادات، والعبادات، والمعاملات حتى يكون سلوكه كله متوافقا مع عقيدته ويعكس سُمُوَّ هذه المبادئ وسيادتها، ومن هذه الآداب: أدب الطعام وتناوله .

فمما لا شك فيه أن فترة تناول الطعام هي فترة استمتاع بما أنعم الله به علينا من أصناف الأطعمة، لذا كان من الواجب على الإنسان المسلم أن يلتزم بآداب الطعام التي سنها لنا رسول الله ﷺ باعتباره المرجع التطبيقي لخلق القرآن الكريم، فقد كان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن، ومن هذه الآداب: أن نغسل اليدين قبل تناول الطعام وبعده، فالإسلام دين النظافة، وغسل اليدين يحفظ على الإنسان صحته، روى أبوداود والترمذي عن سلمان الفارسي أن رسول الله ﷺ قال : "بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده" وحمل العلماء معنى الوضوء في هذا الحديث على المعنى اللغوي وهو النظافة وغسل اليدين أي غسل اليدين على الأقل، ثم إذا قُدِّمَ الطعام نجلس إليه جلسة صحية متواضعة سواء كان الجلوس على الكراسي ام على الارض، فقد كره رسول الله ﷺ الجلوس إلى الطعام متكئا، فعن أبي جُحَيْفة بن وهب بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ : "أمَّا أنا لا آكل متكئا"[1] ثم نبدأ طعامنا بذكر الله تعالى فندعوه بقولنا : "اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار" فإن نَسِيَ أحد ذلك ثم ذكره أثناء الطعام فليقل : "بسم الله أوله وآخره" ففي الحديث الشريف : "إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى فإن نسي أن يذكر اسم الله في أوله، فليقل بسم الله أوله وآخره"[2] بل إن له بذلك أجرا. فعن معاذ بن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : "من

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه أبوداود والترمذي، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

أكل طعاما فقال : "الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه"(١) وفى رواية عن أبىسعيد الخدرى أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: "الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين"(٢) وإن كان صائما بدأ بالأدعية المأثورة : "اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت، ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله" ثم يسم الله ويفطر، فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان النبى ﷺ إذا أفطر قال: "اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا إنك أنت السميع العليم"(٣).

وقال ابن عمر : كان رسول الله ﷺ إذا أفطر قال: "ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى"(٤).

فإن كان مدعوا إلى وليمة فليدع لصاحبها: "أكل طعامكم الأبرار، وأفطر عندكم الصائمون، وصلّتْ عليكم الملائكة"(٥) وفى رواية أخرى: "اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم"(٦).

ومن هذه الآداب العالية أن يأكل الإنسان مما يليه فى الإناء، أو يغرف له فى إناء خاص ما يكفيه، ولا يأكل من وسط الإناء، وأن يأكل بيده اليمنى مستعملا الملعقة أو غيرها، فالإسلام لا يتعارض مع ما تقدمه المدنية من أمور تساعد وتنظم حياة الإنسان. فعن عمر بن أبىسلمة رضى الله عنهما قال : كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدى تطيش فى الصحفة ــ أى تتحرك وتمتد إلى نواحيها ــ فقال

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٤٢، كتاب اللباس، رقم الحديث "٤٠٢٣" وأخرجه الحاكم فى المستدرك ١/ ٥٠٧ ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبى ، وأخرجه ابن ماجة فى سننه ٢/ ١٠٩٣، كتاب الأطعمة، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ٣/ ٣٦٦، كتاب الأطعمة ، باب ما يقول الرجل إذا طعم .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير .

(٤) أخرجه أبو داود والحاكم .

(٥) رواه أبو داود .

(٦) أخرجه مسلم .

لى رسول الله ﷺ : "يا غلام: سَمِّ الله وكل بيمينك وكُلْ مما يليك"[١] وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: "البركة تنزل وسط الطعام فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه"[٢] وعن سلمة بن الأكوع ﷺ ، أن رجلا أكل عند رسول الله ﷺ فقال له : "كل بيمينك" فقال : لا أستطيع فقال : "لا استطعت ما منعه إلا الكبْر"، فما رفعها إلى فيه"[٣].

ومن هذه الآداب: أن نُصغِّر اللقمة وأن نجيد المضغ مراعاة للقواعد الصحية، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وقد استدل بعض العلماء على تصغير اللقمة من أكل الرسول ﷺ بثلاث أصابع. فعن كعب قال: "رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع.." [٤] .

ومن آداب الطعام التى سنها الإسلام أيضا: الاعتدال فى تناول الطعام بحيث لا تأكل بنهم ولا ننهض جائعين. فعن المقدام بن معديكرب قال: سمعتَ رسول الله ﷺ يقول: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، بِحَسْب ابن آدم لُقَيْمات يُقِمْن صُلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفَسه"[٥] فهذا الحديث الشريف أصل جامع لأصول الطب كلها، وقد رُوِىَ أن ابن أبى ماسوَيْه الطبيب، لما قرأ هذا الحديث فى كتاب أبىخيثمة قال:لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت دكاكين الصيادلة. ولذلك يقول الحسن رضى الله تعالى عنه : "يا ابن آدم، كل فى ثلث بطنك واشرب فى ثلثه، ودع ثلث بطنك يتنفس ويتفكر" ـ فالإسراف فى تناول الطعام والإسراع فى التهامه ـ وكأن الشخص يسابق الآخرين ـ مما يذمه الدين الإسلامى ويرفضه، يقول الله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث صحيح .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه النسائى وابن ماجة والترمذى .

تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (١) وإنما كان ملء البطن شرا لما فيه من المفاسد الدينية والدنيوية، فالشبع يورث البلادة ويعوق الذهن عن التفكير الصحيح، وهو مدعاة للكسل والنوم الكثير، ومن نام كثيرا قتل وقته الذى هو رأس ماله فى الحياة، فيخسر كثيرا من مصالحه الدينية والدنيوية، وكم من أكلة، جلبت على صاحبها الأضرار والأمراض . ولهذا نجد لقمان الحكيم يوصى ابنه ويوصينا بهذه الوصية العظيمة:"يا بنى إذا امتلأت المعدة، نامت الفكرة وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة"(٢) أما إذا اقتصد الإنسان فى طعامه وشرابه فإن الأمر يختلف تماما، فالقلب مُصَان، والقريحة متقدة، والبصيرة نافذة، والشهوة مغلوبة، والنفس مقهورة، ولذلك يقول الإمام الشافعى عن نفسه: "ما شبعتُ منذ ست عشرة سنة إلا شبعة أطرحها، لأن الشبع يُثقل البدن، ويُزيل الفطنة، ويجلب النوم ويُضعف صاحبه عن العبادة" ولهذا يقال: "من ملك بطنه ملك الأعمال الصالحة كلها" فما أعظم تعاليم الإسلام وآدابه، وما أسعدنا إن ربينا أنفسنا وأولادنا على الالتزام بها والعمل على هَدْيٍ منها .

---

(١) آية ٣١ من سورة الأعراف .

(٢) إحياء علوم الدين ٣/ ٨٠ ط عيسى الحلبى .

٥٨ـ من الأدب الإسلامي : الاعتدال في تناول الطعام والشراب

ديننا الإسلامي دين الاعتدال والقصد في كل شيء، في العبادات والمعاملات والعلاقات الإنسانية وكل ما ينتظم هذه الحياة، ومن هنا فإن كل ما من شأنه أن ينحرف بالإنسان عن هذا المبدأ الجليل غير مقبول في شرع الله تعالى، فمن حرم على نفسه الطيبات وفرض عليها شظف العيش فهو مخالف لما جاء به الدين الإسلامي، وفي المقابل فإن من أرخى لنفسه العنان وأخذ يعب من متع الدنيا وانطلق في متعه وشهواته فقد حاد عن جادة الطريق، والتوى به القصد والهدف، فالدين الإسلامي دين الوسطية وخير الأمور أوسطها في كل شيء، وعلى هذا الأساس كان حرص الدين الإسلامي على صحة الأبدان لأنها سبيل القوة والمنعة وبناء الأوطان، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وأن يستطيع الإنسان الحفاظ على صحته إلا إذا التزم بمبدأ الاعتدال والقصد في طعامه وشرابه وابتعد عن البطنة والتخمة؛ وكذلك لا يحرم نفسه من متطلباتها الأساسية التي تحافظ على صحة البدن ولا يمنعها من غذائها الأساسي، أو أن يقسو في إيلامها بالجوع أو الصيام فتضعف ويصيبها الهزال، كما أنه لا يتخمها بملاذ الطعام والشراب فيتمالك منها الداء وتحتويها العلل والأسقام، فأعظم المبلكات لابن آدم شهوة البطن ، فالبطن ينبوع الشهوات، ومنبت الأدواء والآفات ، ومن هنا وجدنا حرص الإسلام على دعوة الإنسان إلى الاعتدال في طعامه وشرابه، كما ينهاه عن السرف والتبذير، وكل ما من شأنه أن يخرج عن حد الاعتدال. يقول سبحانه وتعالى في كتابه المبين : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١)

يقول بعض الفقهاء تعليقا على هذا القول الحكيم : "إن الله قد جمع الطب كله في نصف آية من القرآن الكريم، فما أصدقه من قول، وما أدقه من حكمة بليغة لكل ذي عقل وبصيرة" ويروي المقدام بن معديكرب، أن رسول الله ﷺ قال : "ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنه،

(١) سورة الأعراف آية ٣١ .

بِحَسْب ابن آدم لُقيْمات يُقمْن صُلبَه، فإن كان لا محالــة فــاعلا فثُلُــث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه"(١) فالحديث الشــريف يــذم الشــبع والإسراف فى تناول الطعام والشراب، وهو أصل جامع لأصول الطب كلها، ولهذا روى أن ابن أبى ماسويه الطبيب لما قــرأ هــذا الحــديث الشريف فى كتاب أبى خثيمة قال: "لو استعمل الناس هــذه الكلمــات لسلموا من الأمراض والأسقام،ولتعطلت دكاكين الصيادلة" فهذه نصيحة الأطباء المختصين بعد نصيحة معلم البشرية وطبيبهــا الأول، ولهــذا يقول الطبيب العربى القديم ابن كلوة : "الحمية رأس الدواء، والبدنــة رأس الداء" ومعنى الحمية: بُعد الإنسان عما يضره، فــامتلاء الــبطن بالطعام والشراب وإدخال الطعام إلى الطعام، من أكثر الأسباب التــى تصيب الجسم بالأمراض والأدواء، فكم من أكلة جلبت لصاحبها مــن الأمراض والآلام ما يعجز الوصف عنه، ولهذا لما سأل هارون الرشيد أحد الأطباء عن الدواء الذى لا داء فيه قال له : "لا تأكل الطعام حتــى تشتهيَه، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه" ومن قبل هــذا وذاك كــان تشخيص رسول الله ﷺ لأضرار الشبع وعواقبه الوخيمة . وتوجيهــه الكريم لبنى البشر جميعهم إلى الطريقة المثلى التى تحفظ عليهم صحتهم وتصونهم من الأمراض والأسقام، حتى يتمكن الإنســان مــن القيــام بأعماله ويكون عضوا نافعا فى مجتمعه، فإن كــان مكثــرا فعليــه أن يجعل للطعام والشراب ثلثى المعدة، ويترك الثلث الباقى خاليــا حتــى يتمكن من التنفس بسهولة ويسر . ولذلك كان لقمان الحكيم يقول لابنــه : "يا بنى لا تأكل على شبع فإنك إن تركته للكلب خيــر لــك مــن أن تأكله"(٢).

لقد قرر الرسول ﷺ أن الجوع هو سبيل الصحة فقال: "جوعــوا تصحوا" وأنه لا صحة ترتجى إلا إذا جاع الإنسان، والطب البشــرى يقرر أن الإنسان يقتل نفسه بكثرة الأكل، وأن زيادة كميــات الطعــام يتسبب عنها سرعة استهلاك كافة الأعضاء وتتأثر به، وفــى مقــدمتها الأعضاء الهامة: مثل القلب والكبــد والشــرايين والطحــال والكلــى

---

(١) رواه ابن ماجة ، والترمذى، والنسائى .

(٢) تفسير القرطبى ٣/ ٢٧١٢ ط دار الغد العربى .

والأمعاء، فالعلاج الناجع لكثير من الأمراض هو الجوع ولـذلك كـان فرض صيام شهر فى العام علاجا للأجسام، وتجديدا لصحة الإنسـان وإمساكا عن تُخَمة تُحيل الجسد إلى مزرعة أمراض، وتنظيفا للبدن من سموم تسكنه، كما أنه كفاح لهوى الإنسان وشهواته، فهو يكافح رغبات الجسم ومطالب البدن، يكافح بالصـيام الاستسـلام لهـذه الرغبـات والمطالب كى ينجح فى أن يكون هو صاحب الأمر على نفسه بدلا من أن يكون مستسلما ذليلا لها.

فالصوم كفاح موجه من الذات ضد الذات، كفاح موجه من نفـس الإنسان ضد رغبات جسمه وبدنه، وسبيل لسيطرته على نفسه، وإيقاظ للضمير فى الإنسان ليراقب ربه. فالصوم عبـادة وإصـلاح للـروح والجسد معا، وعبادة تعد الإنسان لحياة الخير، لخير الإنسـان نفسـه وخير جماعته، وإذا كان الصوم بهذه المثابة العظيمة فإن الواجب على الإنسان أن يلزم نفسه بما وجه إليه الدين الحنيف من عدم الإسراف فى المأكل والمشرب خلال شهر رمضان وعدم التوسع فى الإنفاق فيما لا يحتاج إليه. فإن ذلك مع كونه إضاعة للمال فهـو إضـرار بـالنفس وتبذير، والله تعالى لا يحب المبـذرين، يقـول تعـالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [1] فالإسراف والترف من أكبر العوامل التى تضر بـالفرد والمجتمع وواجب الإنسان أن يحافظ على نفسه وعلى ماله فلا ينفقه إلا فيما هو مطلوب، وما نراه من امتلاء الموائد فـى رمضـان بـألوان الطعام والشراب، والمشهيات مما يملأ به الصائم بطنه بـلا رأفـة أو شفقة على نفسه بحجة أنه صائم، ثم ما يبقى من هذه الموائـد يكـون مصيره التلف والضياع، فهذا لا يتفق مع أهداف الصوم ولا يرضـى الله ورسوله، فهو أولا : إضرار بالنفس، فالمعدة إذا امتلأت بالطعـام ضغطت على الحجاب الحاجز كما يقول الأطباء، فيضغط بدوره على

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٦، ٢٧ .

الرئتين فتضيق مجارى التنفس، والتنفس إذا اضطرب اختلت الأعضاء وأصيب الجسم بالأمراض، وثانيا: فإنه تضييع للمال بلا منفعة، ولذلك أوضح لنا الإسلام حدود الإنفاق فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (١)

وحسبنا ما ورد فى القرآن الكريم من أن الله لا يحب المسرفين، وأنـــه لا يحب المترفين، ومن لا يحبه الله يكون مع الذين غضب الله علـــيهم. من عرف، هذا ثم أسرف فى ماله وأتلف، كان إنسانا تنكـــب الطريـــق السوىّ فى الدنيا والآخرة. فاللهم اهدنا بهداك ووفقنا إلى العمـــل بمـــا وجهنا إليه ديننا الحنيف.

(١) سورة الإسراء : آية ٢٩ .

٥٩ ـ الإسلام يدعو إلى مراعاة آداب الشرب التى حث عليها

لقد حرص الإسلام على أن يضع للإنسان المسلم الآداب التى تنظم حياته وسلوكه مع نفسه ومع غيره فتسمو بها نفسه وتسعد ، ويكون من أصحاب الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة ومن ذلك ما وضعه الشرع الحنيف من آداب الشراب، ومن أهم هذه الآداب: أن يبدأ المرء عند شرب الماء باسم الله، وينهيه بحمد الله، فعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ كان يشرب فى ثلاثة أنفاس: إذا أدنى الإناء إلى فيه يسمى الله، وإذا أخره حمد الله، يفعل ذلك ثلاثا"(١) وفى رواية أنه كان يسمى الله فى أول الشرب، ويحمد الله فى نهايته . ومن آداب الشرب أن يمسك المرء كوب الماء باليد اليمنى وأن يبدأ الساقى السقاية من اليمين ، وأن يقدم الكأس لضيوفه باليد اليمنى، وذلك لما روته السيدة حفصة رضى الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه، ويجعل يساره لما سوى ذلك"(٢) وفى نهاية الشرب يحمد الله على ذلك، ومن الأدعية المأثورة فى نهاية الشرب : "الحمد لله الذى جعله عذبا فراتا برحمته، ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا"(٣)، كذلك فمن آداب الشرب: أن يشرب الإنسان على دفعات ثلاث، يتنفس بعيدا عن الإناء فى كل مرة، ثم يعود للشرب ، وهكذا ثلاث مرات. فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ : "لا تشربوا نفسا واحدا، كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث، وسموا إذا أنتم شربتم، واحمدوا الله إذا أنتم رفعتم"(٤) كما يكره التنفس داخل الإناء أو النفخ فيه، فإن وجد فى الماء جسما غريبا، فليصُب من الماء حتى يزول الكدر، ولا يصح أن يزيله بالنفخ، فعن أبى قتادة قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس فى الإناء"(٥) وعن أبى سعيد

---

(١) رواه الطبرانى بإسناد حسن .
(٢) رواه أبو داود وغيره .
(٣) أخرجه الطبرانى .
(٤) رواه الترمذى .
(٥) متفق عليه .

الخدرى أن النبى ﷺ نهى عن النفخ فى الشراب، فقال رجل: القذارة أراها فى الإناء، فقال له عليه الصلاة والسلام: "أهرقها"- أى صب الماء ولا تشربه"(١) ومن هذه الآداب الكريمة الاهتمام بنظافة الماء وعدم تركه مكشوفا ومعرضا للأتربة والغبار، ففى الحديث الشريف : "غطوا الإناء - أى الطعام - وأوكوا السقاء - أى اربطوها - وأغلقوا الأبواب ، وأطفئوا السراج قبل النوم، فإن الشيطان لا يحل سقاء، ولا يفتح بابا، ولا يكشف إناء، فإن لم يجد أحدكم إلا أن يُعَرِّض على إنائه عودا ويذكر اسم الله فليفعل، فإن الفُوَيْسقة - أى الفأرة - تضرم على أهل البيت بيتهم"(٢) كذلك فإن الاهتمام باعتدال برودة ماء الشرب وحرارته من الآداب التى وجهنا إليها رسول الله ﷺ ، وذلك بأن لا يكون الماء شديد البرودة أو الحرارة حفاظا على الصحة العامة. فعن على ﷺ قال : "نهى رسول الله ﷺ أن يؤكل الطعام حارا"(٣) أى ساخنا سخونة شديدة ويقاس عليه ماء الشرب فخير الأمور أوسطها، وكل شىء زاد عن حده انقلب إلى ضده، فإذا كان الماء باردا برودة شديدة أضر بمن يشربه كما قرر الطب الحديث ذلك، ولا يتم به ارتواء العطشان مثل الماء المعتدل البرودة . كذلك فمن آداب شرب الماء التى حث عليها ديننا الحنيف أن يكون الشرب بيسر دون تعجل أو إخراج صوت، فقد روى أنس بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قوله : "مصوا الماء مصا، ولا تعبوا عبا، فإنما الكباد - أى وجع الكبد - من العب"(٤) ولأبى داود فى المراسيل من رواية عطاء : "إذا شربتم فاشربوا مصا" وعن بهز بن حكيم ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ : "يستاك عرضا، ويشرب مصا، ويتنفس ثلاثا - أى خارج الإناء عند شرب الماء - ويقول: هو أهنأ وأمرأ وأبرأ" (٥) إنها فضائل كريمة، وسلوكيات رفيعة وأدب نبوى جليل. فهذا هو الأسلوب الأمثل فى

---

(١) رواه أحمد والترمذى •

(٢) رواه مسلم •

(٣) رواه البيهقى •

(٤) رواه الديلمى فى مسند الفردوس والبيهقى فى شعب الإيمان •

(٥) رواه ابن السنى وأبونعيم فى الطب •

شرب الماء وهو الذى يحفظ على الإنسان صحته فشرب الماء على دفعات، والتنفس بعيدا عن الإناء ومص الماء مصا بدون صوت، أهنأ للنفس وكان الماء هنيئا مريئا. كذلك فمن آداب الشرب ألا يشرب الإنسان من الإناء المكسور، وذلك لعدم إمكانية تنظيفه من الجراثيم العالقة مكان الكسر، ولذلك فمن الأفضل أن نصب الماء فى كوب من الإناء المكسور لكى نتأكد من صفاء الماء وخلوه من الشوائب، وحفاظا على نظافة الوعاء الذى نشرب منه.

هذا هو هدى المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه. فعن أبىسعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ نهى عن الشرب من ثُلْمة القدَح — أى من مكان كسر الإناء — وأن يُنفخ فى الشراب"[1]، وعن أبىهريرة ﷺ قال : "نهى رسول الله ﷺ أن يُشرب من فى السقاء أو القربة"[2] ونختم هذه الآداب الجليلة بهذا التوجيه العظيم وهو أن يشرب الإنسان الكوب حتى الثمالة — أى لا يترك فيه شيئا يستفاد منه، حفاظا على الماء، ولذلك كان الواجب على المرء أن يصب فى الكوب الماء الذى يحتاج إليه فقط، أو أن يطلب من ساقيه الكمية التى يريدها من الماء ولا يزيد عليها قبل أن يصب الساقى الماء فى الكوب . إنه أدب الإسلام الرفيع وتعاليمه السامية، وتوجيهاته السديدة التى تحرص على سلامة الإنسان المسلم وبناء شخصيته على أساس من السلوكيات الفاضلة والشمائل العالية. نسأله سبحانه أن يؤدبنا بآداب الإسلام، وأن يجعلنا هداة مهتدين .

---

(١) رواه أحمد وأبوداود، والحاكم .
(٢) متفق عليه .

٦٠.من القيم الإسلامية الكريمة: أدب العطاس

لقد حرص الإسلام فى آدابه عامة على ربط المسلم بالله تعالى فى كل أحواله، وينتهز لذلك الفرص الطبيعية والمناسبات العادية التى من شأنها أن تحدث وتتكرر كل يوم مرة أو مرات، ليُذكّر المسلم بربه ويصله بحبله المتين، فيذكره مسبحا أو مهللا أو حامدا أو داعيا، وهذا سر الأذكار والأدعية الواردة عند النوم وعند اليقظة، وعند السفر والعودة منه، وعند الخروج من المنزل، وعند الأكل والشرب والفراغ منهما، وكذلك عند العطاس وهو حالة فسيولوجية انعكاسية يدافع بها الجسم عن نفسه للتخلص مما يعوق التنفس، فقد شُرع للإنسان إذا عطس أن يحمد الله تعالى بعد انتهائه منه، شكرا لله على أنه نجاه من هذه الهزة العنيفة التى تهز الجسم بأكمله، قد ينتج عنها ضرر فى جسمه أو فى أحد أعضائه، ولما كان الإسلام حريصا على ربط المسلم بإخوانه المسلمين، وتوطيد العلاقة بينهم وإشاعة معانى التواد والتراحم والتعاطف فيما بينهم ، وتثبيت معانى التواصل والمودة بينهم ، فإنه طلب ممن يحضر العاطس أن يقول له: "يرحمك الله" وأن يرد عليه العاطس :"يهديكم الله" وبهذا تشيع المعانى الربانية فى جو المجتمع المسلم، وهذا لون من ألوان الحب والمودة والمجاملة الاجتماعية الطيبة التى تنافى الجفوة والتقاطع والهجران، وقد عُرف رد الشخص على العاطس بقوله: "يرحمك الله" فى المفهوم الإسلامى "بالتشميت" لأنه يحمد الله له أنه لم يحدث له شىء من جراء عطسه يُشَمّت به عدوه فيه، يقول ابن دقيق العيد: ومن التشميت: تحصيل المودة والتآلف بين المسلمين، وتأديب العاطس بكسر النفس عن الكبْر، والحمل على التواضع، وكلها معان إنسانية جميلة" وهذا الأدب الرفيع يوجهنا إليه المصطفى ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى عن أبىهريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم" .

فهذا الحديث الشريف يدل أن هناك صيغة معينة يقولها العاطس وصيغة أخرى يقولها من يحضره؟

ولقد وردت الأحاديث النبوية الصحيحة أنه يُشْـرع للعـاطس أن يحمد الله تعالى فيقول "الحمد لله" أو الحمد لله على كل حال، أو الحمـد لله رب العالمين، وهذا هو ما اتّفق على استحبابه كمـا يـذكر الإمـام النووى، كما يجب على من سمعه يحمد الله تعالى، أن يشمته، أى يدعو له بقوله : "يرحمك الله" كما جاء فى حديث السيدة عائشـة رضـى الله عنها أن النبى ﷺ قال : "إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله، وليقل مـن عنده يرحمك الله"، وهذا من حق المسلم على المسلم. كما يجب عليه أن يقول لمن شمته: "يهديكم الله ويصلح بالكم" أو يدعو له ولنفسه بالمغفرة كما جاء فى حديث ابن مسعود : "يغفر الله لنا ولكـم" وأجـاز بعـض العلماء الجمع بين الصيغتين ، فقد أخرج الموطأ عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا عطس فقيل له يرحمك الله. قال: يرحمنا الله وإياكم ويغفـر الله لنا ولكم" كما يجوز له أن يدعو بغير هذا الدعاء مثل : الدعاء لـه بالعافية والشفاء وما هو من هذا القبيل وإن كـان الأفضـل أن يـدعو بالصيغ الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم ٠

هذا بالإضافة إلى أن هناك آدابا أخـرى للعطـاس واردة عـن الرسول ﷺ : ومن ذلك أن يخفض العاطس صوته بالعطس لئلا يزعج جلساءه، وأن يرفعه بالحمد ليسمع من حوله، وأن يضع منديلا أو نحوه على فمه أثناء العطس حتى لا يتطاير الرذاذ على من يواجهه فيؤذيـه به، فعن أبىهريرة ﷺ قال : "كان النبى ﷺ إذا عطس غطـى وجهـه بيده أو بثوبه وغض بها صوته"(١).

أما عن حكم هذا الأدب الرفيع فى الإسلام؟ هل هـو واجـب أو جائز؟ فقد جاء فى صحيح مسلم عن أبىموسى الأشعرى قال: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا عطس أحدكم فحمد الله تعالى فشمتوه، فإن لم يحمد الله فلا تشمتوه" وبناء على هذا التوجيـه النبـوى الكـريم قـال العلماء: إن الإنسان إذا عطس يُشْرع له أن يحمد الله تعالى، أى يحسن له ذلك شكرا لله على أن عافاه، فإذا حمد الله وجب على من سـمعه أو حضره أن يشمته ٠

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٣٠٧ كتاب الأدب، باب فى العطاس، وأخرجه الترمذى فى سننه ٤/ ١٨٠ باب ما جاء فى خفض الصوت وتخمير الوجـه عند العطاس، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح ٠

وقال بعض العلماء إن ذلك فرض عين، أى إنه يجب على كل من سمعه أن يشمته، وذهب جماعة إلى أنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وذهب جماعة من المالكية إلى أنه مستحب ويجزئ الواحد عن الجماعة وهو قول الشافعية، والأرجح أنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، أما رد العاطس على من شمته فهو واجب أيضا لأننا مأمورون بأن نرد التحية بمثلها أو بأحسن منها، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ (١) .

ويستثنى من وجوب تشميت العاطس من لم يحمد الله بعد عطاسه، فشرط التشميت حمد الله، ويسن أن نذكره بحمد الله ثم نشمته بعد ذلك. فقد روى البخارى عن أنس قال : عطس رجلان عند النبى ﷺ فشمت أحدهما، ولم يشمت الآخر، فقيل له. فقال: هذا حمد الله، وهذا لم يحمد الله" وهذا أمر مجمع عليه، وكذلك لا نشمت المزكوم إلا مرة، فعن إياس بن سلمة عن أبيه قال: عطس رجل عند رسول الله ﷺ وأنا شاهد فقال رسول الله ﷺ : "يرحمك الله" ثم عطس الثانية فقال رسول الله ﷺ : "هذا رجل مزكوم"(٢) ويجوز أن نكرر ذلك ثلاث مرات، فقد أورد أبو داود والترمذى حديثا بالرد لثلاث مرات فعن أبى هريرة قال: "شمّت أخاك ثلاثا، فما زاد فهو زكام"(٣)٠

وإذا لم ندع له بالدعاء المشروع فلا بأس أن ندعو له بدعاء يلائمه، مثل الدعاء له بالعافية والشفاء ونحو ذلك٠

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده المؤمنين المتقين الذين يعملون بشرعه ويلتزمون بهدى سيد المرسلين٠

---

(١) سورة النساء : آية ٨٦ ٠

(٢) سنن الترمذى ٤/ ١٧٩ باب ما جاءكم يشمت العاطس، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح ٠

(٣) قال أبوداود : رواه نعيم عن موسى بن قيس عن محمد بن عجلان عن سعيد عن أبىهريرة عن النبى ﷺ (سنن أبىداود ٤/ ٣٠٨ كتاب الأدب، باب : كم مرة يشمت العاطس) ٠

٦١. من الفضائل الإسلامية: العفو عمن ظلمنا

حسن الخلق . كلمة جامعة لخصال الخير. فقد سأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ثم قال ﷺ : "هو أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك"(١) ويقول الإمام القرطبى فى تفسيره: "هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة فى المأمورات والمنهيات، فقوله : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾ دخل فيه صلة القاطعين والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين وغير ذلك من أخلاق المطيعين، ودخل فى قوله : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ ﴾ صلة الأرحام وتقوى الله فى الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار، وفى قوله : ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة" ففضيلة العفو عمن ظلمنا من الفضائل الكريمة التى تتطلب منا مقاومة لنوازع النفس الأمارة بالسوء، وتحتاج إلى صبر ومعاناة فى التعامل مع الآخرين، فهى من الأخلاق التى تُكتسب وتُنال بنوع من الرياضة والمجاهدة، يروى البخارى عن عبدالله بن عباس قال : "قدم عُيَيْنة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضى الله تعالى عنه ويقرّبهم من مجلسه، وكان من القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخى هل لك وجه عند هذا الأمير؟ فتستأذن لى عليه؟ قال: سأستأذن لك عليه، فاستأذن لعيينة، فلما دخل عليه قال : يا ابن

---

(١) رواه ابن مردويه . بسند حسن والآية رقم ١٩٩ من سورة الأعراف .

الخطاب! والله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، قال : فغضب عمر حتى هم بأن يقع به . فقال الحر: يا أمير المؤمنين: إن الله قال لنبيه عليه السلام:﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ وإن هذا من الجاهلين[١]، فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله عزوجل، أى لا يتجاوز حكمه، فالصفح عن المسيئين والتجاوز عن المخطئين بضاعة الصديقين،وشعار الصالحين.

ورسول الله ﷺ خير أسوة وقدوة لنا فى هذا المجال فحياته كلها صفح وغفران ، وتجاوز عن المعتدين والمتطاولين، تروى السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها فتقول: "ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرا من مظلمة ظلمها قط، ما لم يُنْتهك من محارم الله، فإذا انتُهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضبا، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما"[٢]، ومن هذه المواقف أنه ﷺ قسم يوما مالا بين المسلمين، فقال أحد الأعراب: قسمة ما أريد بها وجه الله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاحمرت وجنتاه ثم قال : "يرحم الله أخى موسى، لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر"[٣] أما سلفنا الصالح فقد سار على هذا الخلق الكريم والتزم به فى كل تعاملاتهم مع الآخرين، فهم يردون السيئة بالحسنة ولا ينتقمون لذواتهم، ويتجاوزون عن الإساءة ما دام ذلك فى سبيل الله، ومؤديا إلى مرضاته، وهم أسوتنا فى ذلك. إذ يندر منهم من لم يُؤْذَ فى ذات الله، ولم يُبْتَل فى طريقه إلى الوصول إلى الله، يقول عبدالله بن مسعود ﷺ : كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبيا من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: "اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون"[٤] فرسول الله ﷺ قدوته ويتأسى فيه فى صبره على أذى الآخرين وجهلهم عليه وقد روى أن سارقا دخل خباء عمار بن ياسر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٤٤ .
(٢) رواه مسلم ، والترمذى فى الشمائل .
(٣) متفق عليه ــ عن عبدالله بن مسعود .
(٤) متفق عليه .

بصفين فقيل له: اقطعه: أى أقم عليه حد السرقة بقطع يده، فإنـــه مـــن أعدائنا فقال : "بل أستر عليه لعل الله يستر عليَّ يوم القيامـــة" وخيـــر مثال على الأدب الإسلامى الرفيع فى الصفح عن المسيء والعفو عنه قصة أبى‌بكر الصديق رضى الله تعالى عنه مع مِسْطح بن أُثَاثة — ابن خالته — وكان مسكينا لا مال له ينفق عليه أبوبكر ﷺ يحسن إليه فلما وقعت حادثة الإفك وخاض فيها من خاض كان "مسطح" مـــن جملـــة الخائضين،وممن وقع فى عائشة رضى الله عنها فلما نزلـــت الآيـــات تبرئ السيدة العفيفة المصونة حلف أبوبكر ألا يحسن إليه بعد اليـــوم، وألا ينفق عليه أبدا لأنه أساء إلى ابنته، فنزل القـــرآن الكـــريم يـــأمره بالعفو والصفح وإعادة النفقة وإدامة البر والإحسان وصلة الرحم فيقول : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) فلما سمعها أبـــوبكر قال: بلى، والله إنى لأحب أن يغفر الله لى، فأعاد إلى مســـطح نفقتـــه وإحسانه وقال: "والله لا أنزعها منه أبدا"(٢).

يقول الإمام القرطبى : "الآية تتناول الأمة إلى يوم القيامـــة بـــألا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف ألا ينفع مَنْ هذه صفته غابر الـــدهر"(٣) ولأهمية العفو والصفح فى حياة الأمة الإسلامية وما ينتج عنـــه مـــن تراحم وتضامن وتوحّد نجد القرآن الكريم يأمر نبينـــا عليـــه الصـــلاة والسلام فى أكثر من آية أن يصفح ويعفو عمن أساء. يقول تعالى فـــى سورة : "المؤمنون" : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ (٤) وقال فى

---

(١) سورة النور آية ٢٢ .
(٢) انظر: تفسير القرطبى ١٢/ ٢٠٧ .
(٣) انظر السابق والصفحة .
(٤) آية ٩٦ .

سورة فصلت : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [(١)] قال ابن عباس: أى ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك وهذا تعليم لأمته وأخذ لها بآداب الإسلام الرفيعة ٠

فالعفو عن الظالمين والمسيئين خلق كريم ومجاهدة للنفس تعكس حلم الحليم، وصبر المؤمن، ولهذا كان ثوابه عظيم، فعن ابن عمر رضى الله تعالى عنه عن أبىبكر أنه قال: "بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديا يوم القيامة فينادى من كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس"، وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا وقف العباد نادى مناد، ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، قيل ومن ذا الذى له على الله أجر؟ قال: العافون عن الناس، فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلون الجنة بغير حساب"[(٢)] وقال عقبة: "لقيت رسول الله ﷺ يوما فابتدرته فأخذت بيده أو بدرني فأخذ بيدى فقال يا عتيبة؟ ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة: تصل من قطعك وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك"[(٣)] وقال رسول الله ﷺ : "ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حالفا لحلفت عليهن: ما نقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر" ، وقال جابر بن عبدالله قال رسول الله ﷺ : "ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء، وزوج من الحور العين حيث شاء: من عفا عن قاتله، وأدى دينا خفيا، وقرأ فى دبر كل صلاة ــ قل هو الله أحد عشر مرات ــ "قال أبوبكر: أو إحداهن يا رسول الله؟ قال أو إحداهن"[(٤)]. فاللهم اجعلنا من أصحاب العفو عند المقدرة واجعلنا يا ربنا من عتقائك من النار ومن عبادك المقبولين٠

---

(١) آية ٣٤ ٠

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٤/ ٥٧٦ ، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ٠

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٤/ ١٤٨ ٠

(٤) رواه أبويعلى فى مسنده ــ عن جابر بن عبدالله ٠

٦٢ـ الإسلام يدعو إلى كف اللسان وصونه عن إيذاء الآخرين

إن مما يحرص عليه ديننا الإسلامى أن يقيم مجتمع المسلمين على صفاء النفوس والاحترام المتبادل بين الناس، وصون أعراضهم وحرماتهم التى حماها الإسلام لكل فرد منهم، حتى تتوطد دعائم الأخوة وتقوم بينهم روابط كريمة واحترام لمشاعرهم، وتجمعهم أخوة الدين إلى جانب الأخوة البشرية، فجوهر التشريع الإسلامى رعاية الإنسان والإكبار من قدره وتحاشى المساس به أو الإساءة إليه، أيا كان جنسه ولونه ودينه، ولذلك كان من المقرر فى الشريعة الإسلامية أن يحاسب كل إنسان على سلوكه وأقواله وأفعاله إزاء الآخرين. ففى الحديث الذى رواه معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ قال : "قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار، قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه" وبعد أن ذكر أركان الإسلام الخمسة ورأسُ الإسلام وعموده وذروة سنامه قال: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله. فأخذ بلسانه ثم قال: كُفَّ عليك هذا. قلت يا نبى الله: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ. وهل يكب الناس فى النار على وجوههم ـ أو قال: على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم"(١).

فالإسلام حريص على أن يقيم مجتمع المسلمين على صفاء النفوس وتبادل الثقة والحب، لا على النيل من أعراض الآخرين وانتهاك حرماتهم ، فالمسلم كما قال الرسول ﷺ : "من سلم المسلمون من لسانه ويده"(٢) واللسان له خطره العظيم على صاحبه. ولذلك يروى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال : "لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى

---

(١) أخرجه ابن ماجة فى سننه ٢/ ١٣١٤ ، كتاب الفتن ، باب كف اللسان فى الفتنة ، وأخرجه الإمام أحمد فى المسند ٥/ ٢٣١، وأخرجه الترمذى فى سننه ٥/ ١٢، كتاب الإيمان، باب ما جاء فى حرمة الصلاة. وقال: هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه مسلم ـ عن جابر بن عبدالله .

يخزن من لسانه"(١) فاللسان قلمك ومداده ريقك، فهـو يكتـب ويكتـب طالما أرخيت له العنان ويوقع صاحبه فى الآثام والشرور التى لا نهاية لها بل إن اللسان سبيل إلى ضياع العمل الصالح وإحباطه، فقد خـرج الإمام أحمد والحاكم من حديث أبىهريرة ﷺ قال: قيل يا رسـول الله: إن فلانة تصلى بالليل وتصوم النهار، وفى لسانها شىء تؤذى جيرانها ــ سليطة ــ قال: "لا خير فيها هى فى النار" ولذلك كان هـذا الهـدى النبوى الكريم الذى رواه أنس بن مالك ﷺ عن النبى ﷺ أنه قـال : "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يسـتقيم قلبـه حتـى يسـتقيم لسانه"(٢) ويروى الطبرانى عن حديث أسود بن أصرم المحاربى قـال: قلت يا رسول الله أوصنى. فقال: "هل تملك لسانك"؟ قلت: ما أملك إذا لم أملك لسانى؟ قال : "فهل تملك يدك؟" قلت: ما أملك إن لم أملك يدى؟ قال: "فلا تقل بلسانك إلا معروفا، ولا تمدد يدك إلا إلى خيـر"، فهـذه النصيحة : "لا تقل بلسانك إلا معروفا، ولا تبسط يدك إلا إلـى خيـر" نصيحة موجزة جامعة لخصال الخير، وتبين أن اللسان صـمام أمـان لصاحبه فعن أبىسعيد الخدرى مرفوعا وموقوفا: "إذا أصبح ابـن آدم فإن الأعضاء كلها تفكر اللسان فتقول: "اتـق الله فينـا فإنـا بـك، إن اعوججت اعوججنا، وإن استقمت استقمنا" وذلك لأن كل لفظة يلفظهـا الإنسان محاسب عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فالله تعالى يقول: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٣) وقد أجمـع السـلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم على أن الذى يكتب عن يمينه يكتـب الحسنات، والذى عن شماله يكتب السيئات، ويقول عمر بن الخطـاب رضى الله تعالى عنه : "من كثر كلامه، كثر سقطه، ومن كثر سـقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به"(٤) ولـذلك يقـول الرسول ﷺ : "المرء بأصغريه: قلبه ولسانه" ولخطورة اللسـان علـى الإنسان جعله الله تعالى داخل قفصين مـن اللحـم والعظـم: الأسـنان ،

---

(١) متفق عليه .
(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ١٩٨ .
(٣) سورة " ق " آية ١٨ .
(٤) رواه الطبرانى ، وأبونعيم فى الحلية، والعسكرى .

والشفتين" لأنه ألد الأعداء لصاحبه، ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

فاللسان هو الذى يقود صاحبه إلى الجنة أو إلى النار ، ففى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها، يزل بها فى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب" وخرج الإمام أحمد والترمذى من حديث أبىهريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا فى النار" .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "لما عُرِج بى مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم"(١) ، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال : "مر رسول الله ﷺ بقبرين جديدين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير، فأما أحدهما فكان لا يستنزه من بوله، وأما الآخر فكان يمشى بين الناس بالنميمة "(٢) .

ولهذا كان البعد عن الكلام : "فلا تقل بلسانك إلا معروفا" هو الطريق الأمثل لنحفظ أعمالنا الصالحة ولا نعرضها للضياع، وخير ما نهتدى به فى هذا السبيل قول الرسول ﷺ : "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" أما أن نترك اللسان يقول ما يريد، ويقع فى أعراض الناس فهذه هى الطامة الكبرى، فالرسولﷺ يسأل أصحابه ذات يوم فيقول لهم: "أتدرون ما الغيبة؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، فيقول ﷺ "أن تذكر أخاك بما يكره" فيسأل سائل فيقول: "فإن كان فيه ما أقول؟" فيرد عليه الصلاة والسلام: "إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته" أى افتريت عليه الكذب، فكف اللسان وحبسه هو أصل الخير كله، ومن ملك لسانه ملك أمره وكان من الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) متفق عليه .

٦٣- الإسلام يدعو إلى أداء الحقوق وعدم المماطلة فى أدائها

مما هو معروف أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحده فهو فى حاجة إلى غيره يتعاون معه فى سبيل الخير، ويساعد بعضهم بعضاً، وكل مؤمن مؤتمن على مال أخيه وعرضه ودمه، فالمسلم أخو المسلم. وحتى تتوطد هذه الأخوة كان من الواجب على كل إنسان أن يؤدى حقوق الآخرين عليه دون انتقاص، وألا يماطل فى أدائها ما دام ، قادرا على الأداء ٠

فالمؤمنون من شأنهم التعاون والتناصر على مصالحهم العامة والخاصة، يقول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (١) وكثيرا ما يحتاج الإنسان لأخيه الإنسان، فقد يأتمنه على بعض أمواله ، أو يعهد إليه بوديعة، وقد يقترض منه ما يستعين به على قضاء حوائجه، وهذه أعمال جليلة من صفات المؤمنين المتقين، فعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"(٢) ، ولهذا كان الواجب على من أؤتمن بأمانة أو اقترض من أخيه مالا أو كان عليه حق لأى إنسان، أن يحرص على أداء ذلك بلا طلب أو إلحاح من أخيه.فالأمانة حمل ثقيل ومسئولية عظيمة، والالتزام بأداء الدين فى الأجل المحدد لأدائه واجب، وتأخيره عن موعد أدائه ـ وهو قادر على أدائه ـ ظلم وخيانة. يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة المائدة : آية ٢ ٠

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٥/ ٩٧، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ، ومسلم فى صحيحه ٤/ ١٩٩٦، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم ٠

يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ (١) يقول علماء التفسير: هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع، وذلك لأن أداء الأمانات دليل على تمكن الإيمان من النفوس، ومن شأن ذلك أن يشيع الأمن والاستقرار فى المجتمع، ومن شأنه أن تتوطد دعائم الأخوة والمحبة بين الناس، ولهذا يروى أُبَيُّ بن كعب عن رسول الله ﷺ أنه قال : "أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك"(٢) ويقول المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه في خطبة الوداع : "من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها"(٣) فالإسلام دين الحق والعدل والمساواة، وقد جاءت تعاليمه السمحة تضمن حق الصغير والكبير، وتأمر بدفع الأمانات إلى أهلها، بقطع النظر عن كون صاحب الحق مسلما أو غير مسلم، فلا ظلم ولا هضم لحق إنسان مهما كان، فالناس جميعا فى نظر الإسلام متساوون فى الحقوق والواجبات، يجب أن ينال كل إنسان حقه كاملا غير منقوص، وأن يُعَامَل بالعدل والإنصاف يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (٤) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق، يقول ابن عباس ﷺ : "هذا فى الرجل يكون عليه مال، وليس عليه فيه بينة فيجحد المال ويخاصم إلى الحكام وهو يعرف أن الحق عليه وهو يعلم أنه آثم أكل الحرام"، ومن صور أكل أموال الناس بالباطل أن يقضى القاضى للإنسان وهو يعلم أنه قضاء باطل، فإن الحرام لا يصير حلالا بقضاء القاضى وحكمه، لأنه إنما يقضى بالظاهر فللقاضى أجره لأنه اجتهد وعلى المخادع والمحتال وزره لأنه ضلل العدالة، وفى هذا المعنى يروى الأئمة

---

(١) سورة النساء : آية ٥٨ .

(٢) رواه الدارقطنى .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٥/ ٧٢ ط مؤسسة قرطبة مصر، وأخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/ ٢٦٦ ط دار الريان للتراث .

(٤) سورة البقرة آية ١٨٨ .

الأربعة عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: "ألا إنما أنا بشـر وإنكـم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضـي له على نحو مما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخـذه، فإنما أقطع له قطعة من نار ، وفى رواية : "فليحملها أو يذَرَها"۰ فهذا الحديث نص فى أن حكم الحاكم على الظاهر لا يغير حكـم البـاطن والحقيقة، بل إن من قضى له الحاكم بغير حق يرتكب إثمين: إثم أكـل أموال الناس بالباطل، وإثم الإدلاء إلى القاضى بالحجج الباطلة، وهـذا معنى قوله تعـالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ .. الآية﴾ فدلت الآية الكريمة والحديث الشريف على أن حكم القاضى لا يغير الحقيقة الثابتة، فلا يُحل حراما ولا يُحرّم حلالا ، وعلى المدلسين وشاهدى الزور الإثم وعقاب خيانة الأمانة وهو عقاب شديد۰

والأمانات ليست مجرد مال ونحوه يودع عند إنسان آخر وإنمـا الأمانة بمفهومها الواسع تعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان: من حقوق لله عزوجل على عباده من الصلاة والصيام والزكاة والكفـارات والنذور ، وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ، وأشـد من ذلك الودائع والديون والقروض، وحقوق العباد بعضهم على بعض مما يؤتمنون به من غير بينة على ذلك. يقول تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١) ويقول : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾(٢) فالأمر هنا للوجوب، ولذلك أجمع العلماء على وجـوب

---

(١) سورة الأنفال : آية ٢٧ ۰
(٢) سورة البقرة : آية ٢٨٣ ۰

أداء الأمانات والديون وحقوق الآخرين لأن هذا هو العدل الذى لا محيد عنه، وهو ما يأمر به الدين الحنيف ويحث عليه ٠

فعن عبدالله بن ربيعة أن النبى ﷺ استسلف منه حين غزا حنينا، ثلاثين أو أربعين ألفا، فقضاها إياه ثم قال له: "بارك الله لك فى أهلك ومالك، إنما جزاء السلف الحمد والوفاء"(١) هذا هو خلق الإسلام: إنما جزاء السلف الحمد والوفاء، أما خيانة الأمانة وإنكار الحقوق والمماطلة فى أدائها فهو خلق يأباه الإسلام، ولا يقره ولذلك توعد الله تعالى ونبيه أولئك الذين لا خلاق لهم بأشد العذاب، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٢) فمال اليتيم أمانة عند أوليائهم يجب عليهم أن يحافظوا عليها وأن يردوا هذا المال إلى اليتامى عندما يصل الواحد منهم إلى سن الرشد وإلا كانوا خائنين للأمانة ، يقول عليه الصلاة والسلام : "أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه"(٣) وقال: "يُبعث يوم القيامة قوم من قبورهم تأجج أفواههم نارا، فقيل من هم يا رسول الله؟ قال: ألم تر أن الله تعالى يقول : "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا"(٤) وعن أبىهريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ يقول الله تعالى : "ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته ، رجل

---

(١) رواه أحمد والنسائى وابن ماجة. وهو حديث حسن ٠

(٢) سورة النساء : آية ١٠ ٠

(٣) رواه الحاكم، والبيهقى فى شعب الإيمان ، عن أبىهريرة ٠

(٤) عزاه ابن كثير فى تفسيره إلى ابن مردويه وابن أبى حاتم وابن حبان فى صحيحه عن عقبة بن مكرم بسنده إلى أبى برزة الأسلمى ٠

أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيـرا فاستوفى منه ولم يوفّه"(١).

كذلك فإن نفس الإنسان معلقة بدينه حتى يُقضَى عنه، أى بما كان فى ذمته للآخرين من أمانات أو قروض وغير ذلك. فعن على ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ إذا أُتى بالجنازَة لم يسأل عن شـىء مـن عمـل الرجل، ويسأل عن دينه، فإن قيل عليه دين كف عن الصلاة عليه، وإن قيل: ليس عليه دين صلى عليه، فأتى بجنازة فلما قام ليكبر سأل رسول الله ﷺ : "هل على صاحبكم دين؟" قالوا: ديناران. فعدل عنه رسول الله ﷺ وقال: "صلوا على صاحبكم" فقال علىٌ: هما علىَّ يا رسول الله وهو برئ منهما، فتقدم رسول الله فصلى عليه، ثم قال لعلى بن أبى طالب : "جزاك الله خيرا، فك الله رهانك، كما فككت رهان أخيك، إنه ليس من ميت يموت وعليه دين إلا وهو مرتهن بدينه، ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة"(٢) فاللهم اجعلنا ممن يحرصون على أداء حقوق الله وحقوق العباد كاملة غير منقوصة، واجعلنا من عتقائك من النـار ومن عبادك المقبولين . وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه ابن ماجة ــ وهو حديث حسن .
(٢) رواه البيهقى فى سننه الكبرى ٦/ ٧٣، فتح البارى ٤/ ٤٦٨ .

٦٤- من الآداب الكريمة: الاستئذان عند زيارة الناس في بيوتهم

يحرص الشرع الحنيف على أن يؤدب المسلمين بالآداب الكريمة والأخلاق الرفيعة التى بها تنتظم شئوننا ونصون أعراضنا، ونحافظ على شرفنا، وتصفو حياتنا حتى نكون كما قرر القرآن الكريم:﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(١) ومن هذه الآداب: تحريم دخول البيوت مهما كانت صلة القرابة إلا بعد الاستئذان وسماح أهل البيت بالدخول .

وذلك لأن الإسلام يجعل أهمية خاصة لحرمة المسكن، ليس لأنه المأوى ومكان السكنى والاستقرار فقط، وإنما لأن له مع ذلك صلة وثيقة بخصوصية الشخص وهو عرضه وشرفه، والمسكن هو الستار الذى يستر هذا العرض، وفى الوقت نفسه هو المكان الذى تتحرك فيه الأسرة دون حرج من عبث العابثين بنظراتهم وتطفلهم، ويفئ إليه أهله فتسكن أرواحهم وتطمئن نفوسهم، ويأمنون على عوراتهم وحرماتهم، ويلقون أعباء الحذر والحرص المرهقة لأعصابهم. لهذا فقد أمرنا ديننا الحنيف ألا تطأ قدم إنسان مؤمن منزل شخص آخر حتى يستأذن عليه بالدخول، بل ويحس منه بالترحيب والرغبة فى لقائه، وإلا رجع ، حيث إن الدخول بلا استئذان قد يترتب عليه، وقوع نظر الداخل على ما لا يحب أهل البيت الاطلاع عليه وتلتقى بمفاتن بعضهم أو ما يسوؤهم . يروى الطبرى وغيره عن عدى بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله :إنى أكون فى بيتى على حال لا أحب أن يرانى عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتى الأب فيدخل علي، وإنه لا يزال يدخل على الرجل من أهلى وأنا على تلك الحال فكيف أصنع؟، فنزل قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) فهذه الآية الكريمة توجه الإنسان المسلم إلى أدب الاستئذان وتدعو المؤمنين

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢) أسباب النزول للنيسابورى صـ٢٤١ ط دار زهران للنشر والتوزيع. والآية رقم ٢٧ من سورة النور .

جميعا إلى هذا الخلق الكريم، فتأمرهم بالاستئذان عند إرادة الدخول إلى بيوت الناس، وبالتلطف عند طلب الاستئذان، فإن أذن صاحب البيت بالدخول مع توفر الإحساس لدى الزائر بالرضا والراحة فإن على الداخل بعد ذلك أن يحيي الساكنين وهم أهل المنزل ويقرئهم السلام عند الدخول، وهي تحية المسلم للمسلم، توكيدا للأمان والاطمئنان وإشعارا بعلاقة المؤمن بالمؤمن التي تقوم على الأقل على تجنيب الضرر والإيذاء، وذلك حتى تبقى العلاقة الإنسانية الكريمة المهذبة بين المؤمنين، ويبقى الولاء بين المؤمن وأخيه المؤمن سليما، فذلك خير للمؤمنين في علاقاتهم بعضهم ببعض ، فليس هناك خير أكثر من أن تكون العلاقة بين المؤمنين علاقة أخوة صافية، واحترام متبادل، وصون للأعراض، لا يقصر فيها أحد، فضلا عن أن يعتدى عليها مجترئ .

ويدل ظاهر قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ أنه لابد قبل الدخول من الاستئذان والسلام معا، وهذا قول جمهور الفقهاء، غير أنهما ليسا بمرتبة واحدة. فالاستئذان واجب والسلام مستحب، وذلك لأن الاستئذان وذلك بطرق الباب برفق – أو الضغط على الجرس الكهربائي – من أجل ألا يقع بصر الزائر على عورات الناس. فقد جاء في الحديث الشريف : "إنما جعل الاستئذان من أجل النظر"(١) فكان لذلك واجبا، أما السلام فهو من أجل المحبة والمودة، فقد قال رسول الله ﷺ : "ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم"(٢) وهو التحية المباركة التي أشارت إليها الآية الكريمة : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ﴾(٣) فكان السلام مندوبا، كما أن ظاهر الآية الكريمة يدل على تقديم الاستئذان على السلام، وهذا قول بعض العلماء، أما جمهور الفقهاء فقال بتقديم السلام على الاستئذان واستدلوا

---

(١) رواه البخاري ومسلم – عن سهل بن سعد .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٧٤، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنين . عن أبي هريرة.
(٣) سورة النور آية ٦١ .

بما روى أن رجلا من بنى عامر استأذن على النبى ﷺ وهو فى البيت فقال : أألج؟ فقال النبى ﷺ لخادمه: اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له: السلام عليكم أأدخل؟(١) وفصل بعض العلماء فقالوا: إن كان القادم يرى أحداً من أهل البيت سلم أولا ثم استأذن فى الدخول، وإن كانت عينه لا ترى أحدا قدم الاستئذان على السلام، وهذا قول جيد وفيه جمع بين الأدلة.

ولا يشترط أن يكون الاستئذان بلفظ: أألج أو أأدخل؟ بل يجوز بكل لفظ يشير إلى الإستئذان كالتسبيح والتكبير أو التنحنح. فقد روى الطبرانى عن أبى أيوب أنه قال : قلت يا رسول الله أرأيت قول الله : ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ هذا التسليم قد عرفناه، فما الاستئناس ؟ قال: "يتكلم الرجل بتسبيحة، وتكبيرة، وتحميدة، ويتنحنح فيؤذن أهل البيت" ومثل هذا فى عصرنا أن يطرق الزائر الباب أو يقرع الجرس، فهذا نوع من الاستئذان لأن الدور فى عهد الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن لها هذه الستور والأبواب، فيكفى للزائر فى عصرنا الحالى أن يقرع الجرس الذى يقوم مقام الاستئذان.

وهذه الأحكام فى بيت ليس للشخص، فأما بيته الذى يسكنه فإن كان فيه زوجته وأولاده فلا إذن عليهم ويكفى أن يسلم إذا دخل، فإن كان فيه الأم أو الأخت أو امرأة من غير المحارم فيستأذن، فقد كان عبدالله بن مسعود ﷺ إذا دخل داره استأذن بالكلام ورفع الصوت أو تنحنح كراهة أن يهجم على أمر يكرهه، كما روى عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبى ﷺ : أأستأذن على أمى؟ قال: نعم. قال: إنها ليس لها خادم غيرى أفأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال: لا. قال: فاستأذن عليها(٢) والاستئذان فى هذه الحالة هو أن يشعر أهل البيت بدخوله كأن يلقى السلام أو يتنحنح حتى يتنبه أهل البيت لدخوله، كما يجب الاستئذان عند الدخول على الكبار ومن بلغ سن الوعى من الأطفال لقوله تعالى: " ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾(٣) كما يجب

---

(١) رواه أبوداود فى سننه ٤/ ٣٤٥ كتاب الأدب ــ باب كيف الاستئذان.
(٢) جامع البيان للطبرى ١٧/ ٨٨ .
(٣) سورة النور آية ٥٩ .

استئذان الصغار والخدم على ذويهم فى ثلاثة أوقات فى اليوم : هى وقت الفجر ، ووقت الظهيرة ، وبعد صلاة العشاء ، لأن هذه الأوقات أوقات خلود إلى النوم والراحة ، وفيها يختل الستر ، والتكشف فيها غالب ، ولذلك وجب علينا أن نعلم صغارنا أن لا يدخلوا على أهليهم فى هذه الأوقات الثلاثة إلا بعد الاستئذان ، أما فى غير هذه الأوقات فلا إثم ولا حرج فى الدخول بغير إذن • يقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ •(١)

ومن الآداب الشرعية فى الاستئذان ألا يستقبل الزائر الباب بوجهه ، بل يجعله عن يمينه أو شماله، فقد صح أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر. وروى أن سعد بن عبادة قال: "جئت إلى النبى ﷺ وهو فى بيته فقمت مقابل الباب فاستأذنت، فأشار إلى أن تباعد، وقال: هل الاستئذان إلا من أجل النظر؟" (٢) وهذا الأدب الرفيع يجب أن نلتزم به حتى لو كان الباب مغلقا، فإن الطارق إذا استقبل الباب فإنه قد يقع نظره عند فتحه على ما لا يجوز أو ما يكره أهل البيت اطلاعه عليه• هذا هو أدب الإسلام فى الاستئذان على البيوت، صيانة للأعراض، وطهارة للمجتمع ودفعا للشبهات وتوطيدا لعلاقات المحبة والاحترام المتبادل بين أفراد المجتمع، نسأله سبحانه أن يوفقنا إلى العمل بشرعه الحنيف وما وجهنا إليه الرسول الكريم •

---

(١) سورة النور آية ٥٨ •

(٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ٦/ ٢٢ ، مجمع الزوائد ٨/ ٤٤ •

٦٥ - رخص الإفطار في رمضان ووجوب مراعاة شعور الصائمين

أجمع العلماء على أن صوم رمضان واجب على كل مسلم بالغ عاقل صحيح مقيم، والمرأة الطاهرة من الحيض والنفاس، وهذا أمر مقرر فى الشرع الحنيف وثابت بالكتاب والسنة، فهو الركن الرابع من أركان الإسلام، ولأن الدين الإسلامى يُسر لا عُسر فإنه لا يكلف نفسا إلا وسعها ولذلك فقد رخص لأصحاب الأعذار الشرعية الفطر، فالمريض إذا أخبره طبيب مسلم حاذق بأن الصوم يضعفه أو يزيد فى مرضه أو يؤخر شفاءه يباح له الفطر، ومن كان مسافرا سفرا تقصر فيه الصلاة وتقدر المسافة بنحو ٨٩ كيلو مترا تقريبا فله أن يفطر وإن لم يضره الصوم لأن السفر الطويل لا يخلو من المشقة، ولا فرق بين المسافر بالقطار أو الباخرة أو السيارة أو الطائرة وغير ذلك، كذلك فإن الحامل والمرضع يباح لهما الفطر إذا خافت كل منهما على نفسها أو على ولدها، والمجاهد فى سبيل الله يباح له الفطر، بل إن الفطر له أفضل من الصوم حتى يكون قويا قادرا على مغالبة الأعداء، وعلى أصحاب هذه الأعذار أن يقضوا أياما بعدد ما أفطروه بعد زوال العذر ولا يشترط فى القضاء أن تكون الأيام متتابعة ، يقول الله تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (١)

وروى أنس بن مالك الكعبى أن النبى ﷺ قال : "إن الله تعالى وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم"(٢)، أما عن الرخصة بإفطار المجاهد، فقد روى أن رسول الله ﷺ كان إذا سار للقتال أعلن فطره إذا كان القتال فى شهر الصيام، وكثيرا ما شوهد عليه الصلاة والسلام وهو يرفع الإناء للشرب حتى يراه كل المقاتلين، فلا يستمر أى صائم على صومه، وفى إحدى المعارك وبعد المسيرة وانتهاء القتال وانتصار المسلمين أعلن بعضهم أنه شارك فى

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٤ .

(٢) أخرجه أحمد والترمذى .

القتال والزحف صائما، فقال ﷺ : "ذهب المفطرون بالأجر كله"(١) أى إن المفطرين قد حصلوا على الأجر جميعه: أجر الصوم، وأجر الجهاد، وأجر القتال، لأن المفطر بفطره حرص على القتال حتى النصر، ولم يترك فرصة للعدو أن يناله بها، كذلك فإن الشرع الحنيف أباح للشيخ الكبير والمرأة العجوز أن يفطرا إذا عجزا عن الصوم ويطعما عن كل يوم أفطره كل منهما مسكينا بما يشبعه فى وجبتين من طعام متوسط أو قيمتهما عن كل يوم، كذلك فإنه يباح الفطر لذوى الأعمال الشاقة كعمال المحاجر والمناجم والمخابز والغواصين وغيرهم إذا كان الصوم يشق عليهم ويجهدهم لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ (٢) فهؤلاء معاشهم فى هذه الأعمال الشاقة، ولا يكلف الدين إنسانا فوق طاقته، وعلى هؤلاء وأمثالهم فدية عن كل يوم إطعام مسكين كما هو موضح فى فدية كبر السن، إذا كانوا يعملون فى هذه الأعمال بصفة دائمة، وإذا كان الشرع الحنيف يراعى حالات الناس ولا يكلفهم بما لا يطيقون من منطلق القاعدة العامة وهى: "صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان"فإن الواجب على هؤلاء المفطرين أن يراعوا مشاعر الصائمين وأن لا يجاهروا بالإفطار فيأكلون وينفثون دخان سجائرهم فى المجالس العامة والسيارات، ويرتادون فى تبجح محلات بيع المطاعم والمشروبات، فهذه أمور لا تليق بالمسلم الذى يسر له الشرع الحنيف الأمر ولم يفرض عليه ما لا يطيقه، فلا أقل من أن يقابل هذا باحترام مشاعر الصائمين، وأن يرعى حرمة هذا الشهر المبارك، بل إن مما يملأ النفس أسى ولوعة أن نرى بعض الشباب القوى الممتلئ صحة وعافية يفطر جهارا نهارا بلا حياء ولا خجل فى شهر رمضان ويتحدون الصائمين المخبتين بهذا السلوك المنحرف، وهذا إذا كان خروجا على الدين فإنهم يضمون إليه التجرد من الحياء والتخلق بأخلاق المجان السادرين فى الغواية والضلال،

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم ـــ عن أنس ﷺ .
(٢) سورة البقرة : آية ١٨٤ .

وليتهم تستروا على أنفسهم عملا بالقول المأثور : "إذا بليتم فاستتروا" فلقد كان أبناء الأديان الأخرى فى الزمن السالف وإلى وقت قريب، يوقرون شعور إخوانهم المسلمين فلا يطعمون ولا يشربون أمامهم، يروى بعض المؤرخين: أن أحد المجوس رأى ابنه يأكل فى رمضان فضربه وقال له : هلا حفظت حرمة المسلمين فى رمضان؟ بل إن بعض هؤلاء كان يصوم رمضان بالفعل، كالأديب المشهور أبى إسحاق الصابى مجاملة للمسلمين ، ولما للصيام من فوائد عديدة لا تخفى على القاصى والدانى، فهلا راجع هؤلاء المفطرون بلا عذر أنفسهم وعرفوا أنهم يعطلون فريضة من فرائض الشرع الحنيف وركنا أساسيا من أركان الإسلام وثابوا إلى رشدهم، والتزموا بما أمر به الدين الإسلامى فى قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (١)

وعرفوا أن الله لم يفرض هذه الفريضة لتعذيب النفوس، أو التضييق عليها وإنما شرعها لفوائد جليلة ومنافع عظيمة، تعود على الشخص نفسه، وأنهم بصيامهم يكونون فى طاعة الله ورضوانه، وامتلأت قلوبهم بالرضا والطمأنينة والسعادة التى لا وجود لها إلا فى الالتزام بما أمر به الله والبعد عما نهى عنه، فإذا غلبتهم أنفسهم المريضة وشهواتهم الجامحة فلا أقل من أن يتستروا على أنفسهم تصونا من السفه وتحدى مشاعر الصائمين ، ونحن لا نملك إزاء هذا السلوك الشائن سوى أن ندعو لهم ولأمثالهم بالهداية وأن يكشف الله عنهم ضلالهم ونقول إن حسابهم على الله الذى "لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون" .

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ .

٦٦ـ من المبادئ الإسلامية: الاحتفاء بليلة القدر وإحياؤها

من المقرر فى الدين الإسلامى أن الله تعالى فضل بعض الشهور على بعض، وبعض الأيام على بعضها، ولذلك قال ﷺ : "ألا إن فى أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها، فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا"[١] ومن هذه النفحات الربانية ليلة القدر ،حيث اختص الله تعالى هذه الليلة المباركة بسورة من سور القرآن الكريم هى سورة : "القدر" كما تحدث القرآن الكريم عن هذه الليلة وأفضالها فى أول سورة الدخان : ﴿ حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [٢]

أما عن سبب تسميتها بليلة القدر فهناك أقوال كثيرة أقواها: أن ابن عباس وقتادة وغيرهما يقولون إنها سميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل والرزق وغيره، أى يظهر ما قضاه فى الأزل من الأمور ، ويسلمه إلى مدبرات الأمور، وهم أربعة من الملائكة: إسرافيل وميكائيل، وعزرائيل وجبريل عليهم السلام[٣] لتمتثله كما قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾ وقال " أبوبكر الوراق : سميت بذلك لأنها تكسب من أحياها قدرا عظيما لم يكن له قبل، وترده عظيما عند الله تعالى، وقيل سميت بذلك لأن للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا، وقيل لأن الله أنزل فيها كتابا ذا قدر، على رسول ذى قدر ، لأمة ذات قدر . وقيل غير ذلك مما هو قريب من هذه المعانى ٠

---

(١) رواه الطبرانى عن محمد بن مسلمة ٠
(٢) سورة الدخان : الآيات ١ ــ ٦ ٠
(٣) تفسير القرطبى ١٠/ ٧٤٧٠ ط دار الغد العربى ٠

ولها ثلاثة أسماء أخرى: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الصك ، ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب .

وقد اختلف العلماء حول ما إذا كانت ليلة القدر فى الأمم السابقة أو هى من خصائص أمة الإسلام، فقال الزهرى حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أرىَ أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر ، ومعنى ذلك أن ليلة القدر خاصة بأمة الإسلام، وهو الراجح من أقوال العلماء حتى حكى الخطابى الإجماع عليه ، واحتج بما قاله الإمام مالك ، وبما رواه ابن مسعود حيث قال : "إن النبى ﷺ ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح على عاتقه، وجاهد فى سبيل الله ألف شهر(١) فعجب رسول الله ﷺ لذلك، وعجب المسلمون، وتمنى رسول الله ذلك لأمته فقال يا رب: جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا، وأقلها أعمالا فأعطاه الله ليلة القدر، وقال : ليلة القدر خير لك ولأمتك من ألف شهر جاهد فيها ذلك الرجل فى سبيل الله إلى يوم القيامة" (٢).

أما عن وقتها فقد اختلف السلف والخلف في تعيين وقتها اختلافا متعارضا جدا بلغ أكثر من أربعين قولا. لكن الذى عليه معظمهم أنها فى شهر رمضان وفى العشر الأواخر من لياليه، وأنها فى أوتار هذه الليالى فقد وردت الأحاديث النبوية العديدة فى ذلك، فيروى البخارى عن عبدالله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال : "التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان، فى تاسعة تبقى، فى سابعة تبقى، فى خامسة تبقى" وقيل إنها ليلة سبع وعشرين، لما رواه مسلم فى صحيحه عن أبىّبن كعب عن رسول الله ﷺ أنها ليلة سبع وعشرين، وما رواه الإمام أحمد عن زرّ بْن حبيش قال: قلت لأبىّ بن كعب إن أخاك عبدالله بن مسعود يقول : "من يَقُم الحول يُصِبْ ليلة القدر، فقال: يغفر

(١) أخرجه مالك .

(٢) انظر هذه الآراء والروايات فى تفسير القرطبى ١٣١/٢٠ وما بعدها ط دار الكتب .

الله لأبى عبدالرحمن، لقد علم أنها فى العشر الأواخر من رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين، ولكنه أراد ألا يتكل الناس، ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين، قال: قلت بأى شىء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا بها رسول الله : تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها ــ يعنى الشمس ــ " قال الترمذى : حديث حسن صحيح وخرجه مسلم .

أما عن إخفائها وعن بعض علاماتها فإن البخارى يروى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت قال: "خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين ــ أى تشاجرا ــ فقال ﷺ خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة" ومعنى رفعت أى رفع علم تعيينها لكم، وإنما اقتضت الحكمة الإلهية إخفاءها عن عباده ليجتهدوا فى العمل والعبادة ليالى شهر رمضان طمعا فى إدراكها، كما أخفى الله الصلاة الوسطى فى الصلوات، واسمه الأعظم فى أسمائه الحسنى، وساعة الإجابة فى ساعات يوم الجمعة.

ومن أمارات وعلامات هذه الليلة المباركة ما ذكره الحسن ﷺ قال : قال النبى ﷺ فى ليلة القدر: إن من أماراتها أنها ليلة سمحة بلجة ــ صافية ــ لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع" وقال قتادة : "وأمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمرا ساطعا، ساكنة ساجية، لا برد فيها ولا حر، والشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر"[(١)].

وعن فضل هذه الليلة وكيف نحييها؟ فإن سورة القدر تحدثت عن فضل هذه الليلة المباركة فقال تعالى : ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ

(١) انظر فى ذلك بالتفصيل: فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ٤/ ٣٠٦ ط دار الريان للتراث كتاب فضل ليلة القدر، وتفسير القرطبى ١٠/ ٧٤٧ ط دار الغد العربى .

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ قال سفيان الثورى : بلغنى عن مجاهد: ليلة القدر خير من ألف شهر قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر، وعن مجاهد أيضا: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فى تلك الشهور ليلة القدر. وقال عمرو بن قيس : "عملُ فيها خير من عمل ألف شهر" وهو الرأى الصواب .

ففى الحديث الصحيح فى فضائل رمضان قال عليه الصلاة والسلام: "فيه ليلة خير من ألف شهر من حُرم خيرها فقد حُرم[١]"، ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر فقد ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله قال : "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه" إنها ليلة مباركة كما جاء فى سورة الدخان : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[٢] تنزل الملائكة والروح وهو جبريل عليه السلام عند أكثر المفسرين فيها لكثرة بركتها، وإن الملائكة فى هذه الليلة فى الأرض — كما أخبرنا المصطفى ﷺ — أكثر من عدد الحصى، وهى سلام أى كلها خير ليس فيها شر إلى مطلع الفجر، فلا يقدر الله فيها إلا الخير والسلامة لبنى الإنسان، تعظيما لشأن القرآن الذى أشرق نوره على البشرية فى هذه الليلة المباركة.

أما عن كيفية إحيائها، فقد أمر رسول الله ﷺ بالتماس هذه الليلة فى العشر الأواخر من رمضان فقال : "التمسوا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان"[٣] ولنا فيه ﷺ الأسوة الحسنة: فقد كان يجتهد فى العشر الأواخر من رمضان ما لا يجتهد فى غيره، فإذا دخل العشر

---

(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد والنسائى — عن أبى هريرة .
(٢) سورة الدخان آية ٣ .
(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب ليلة القدر، باب تحرى ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر ، عن عائشة .

الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر ـ أى اعتزل النساء ـ وجد فى العبادة[١] كما كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه بعده[٢] ٠ كما يستحب أن يُكْثِر الإنسان من الدعاء وخاصة فى أيام الوتر من العشر الأواخر فيقول: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا" لما رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن بريدة أن عائشة قالت يا رسول الله "إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال: قولى: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى"[٣] فاللهم اكتب لنا رؤية هذه الليلة المباركة وعافنا واعف عنا بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين٠

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب فضل ليلة القدر، باب العمل فى العشر الأواخر عن عائشة بلفظ كان النبى إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله ٠

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف فى العشر الأواخر ٠

(٣) أخرجه الترمذى وأحمد والنسائى وابن ماجة ٠

٦٧ـ عيد الفطر ومظاهر الاحتفال به

إذا كان لكل أمة من الأمم أعياد فى قديمها وحاضرها تفخر بها وتتخذ منها مجالا لسرورها وفرحها، فإن للأمة الإسلامية فى عالمها الإسلامى عيدين كريمين مجيدين أهداهما إليها رسول البشرية محمد ﷺ فقد روى النسائى وابن حبان بسند صحيح عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ عندما قدم المدينة وجد للأنصار يومين يلعبون فيهما فقال: " ما هذان اليومان؟ قالوا: يومان نلعب فيهما فى الجاهلية فقال: لقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما: يوم الفطر ويوم الأضحى" فعندما يهل هلال شوال من كل عام ختاما لموسم حافل من مواسم العبادة الإسلامية هو شهر رمضان المبارك، يتجلى الله تعالى على عباده الصائمين القائمين بالقبول وحسن الجزاء، وقد سمى الله هذا اليوم فى السماء: "يوم الجائزة" جائزة التوفيق لما قدم المسلمون من صالح الأعمال التى نالوا بها رضوان الله تعالى وغفرانه ، روى الطبرانى فى معجمه الكبير عن سعد بن أوس الأنصارى عن أبيه رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق، فنادوا : "اغدوا يا معشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير، ثم يثيب عليه الجزيل، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم، وأطعتم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد: ألا إن ربكم قد غفر لكم، فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهو يوم الجائزة "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره"٠ فالاحتفال بالعيدين سنة من سنن الإسلام وهو هدى المصطفى ﷺ ، وقد شرعه الله ليُوَثِّق المسلمون فيما بينهم عُرَى الاتحاد والإخاء والتعاون، ويقيموا علاقات المحبة والمودة بينهم ويجددوا مشاعر الترابط والتآزر فى هذا اليوم الكريم٠

ويبدأ الاحتفال بعيد الفطر المبارك بأداء صلاة العيد وهى سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء على من تجب عليه صلاة الجمعة، فيهرع المسلمون جماعات وفرادى فى تجمعات روحية إلى المساجد يكبرون الله ويسبحون بحمده، ويستمعون إلى العظات البينات التى تذكرهم بنعم

الله تعالى عليهم، مرددين نشيدهم الإيماني : "الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، ولله الحمد"، وإن الملائكة ليشاركونهم هـذه الفرحة. ويستحب الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب قبل أن يخـرج المرء إلى مصلاه، فعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ كان يلبس برد حبرة ــ وهو نوع من ثياب اليمن ــ فى كـل عيـد[١] وعن الحسن أمرنا رسول الله ﷺ فى العيدين أن نلبس أجود مـا نجـد وأن نتطيب بأجود ما نجد"[٢] ويقول ابن القيم: "وكان ﷺ يلبس للعيدين أجمل ثيابه، وكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة"[٣] كما يسن أن يأكل المرء تمرات قبل الخروج إلى الصلاة فى عيد الفطر، وتأخير الأكـل فى عيد الأضحى حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته إن كـان له أضحية، قال أنس ﷺ : "كان النبى ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وترا"[٤] أى ثلاثا أو خمسا أو سبعا وقال سـعيد بـن المسيب: إن الناس كانوا يؤمرون بالأكل قبل الغدو يوم الفطر.

كما يُشْرَع خروج النساء والصبيان فى العيدين للمصلى من غير فرق بين البكر والثيب والشابة والعجوز والحائض، لحديث أم عطيـة قالت: "أُمِرْنا أن نُخرج العواتق ــ أى البنات الأبكار ــ والحُيَّض فـى العيدين، يشهدن الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحُيَّض المصلى"[٥].

ومن المستحب كما قال أهل العلم الذهاب إلى الصلاة فى طريـق والعودة فى طريق آخر. فعن جابر ﷺ قال : كان النبى ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق"[٦].

(١) مسند الإمام للشافعى ١/ ٧٤ ، والدراية فى تخريج أحاديث الهداية ١/ ٢١٨
(٢) رواه البيهقى فى شعب الإيمان ٣/ ٣٤٣ .
(٣) زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم الجوزية ١/ ١٢١ طبعة المكتبـة التوفيقية .
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب العيدين، باب الأكل يوم الفطـر قبـل الخروج.
(٥) حديث متفق عليه.
(٦) رواه البخارى.

ومن الشعائر التى شرعها الدين الإسلامى فى يوم العيد اللعب المباح واللهو البرئ والغناء الحسن رياضة للبدن وترويحا عن النفس. روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت:" دخل على رسول الله وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبوبكر فانتهرنى وقال : مزمارة الشيطان عند النبى؟ فأقبل عليه النبى ﷺ فقال : دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا"، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق ـ أى التروس ـ والحراب فلما سألت النبى عن ذلك قال: أتشتهين تنظرين؟ فقلت نعم؟ فأقامنى وراءه، خدى على خده وهو يقول : "دونكم يا بنى أرفدة" ـ وهو لقب الحبشة ـ حتى إذا مللت قال: "حسبك" قلت نعم، قال: "فاذهبى" وفى رواية أنه قال : "يا أبابكر إن لكل قوم عيدا وإن اليوم عيدنا".

وحتى يكون يوم العيد عيدا مليئا بالسرور والغبطة، فإنه ينبغى على الإنسان المسلم أن يتنزه عن المعاصى ويبتعد عن المحرمات، وأن يسعى إلى الخير، فيقبل على إخوانه المسلمين يصافحهم ويهنئهم بالعيد، وله على ذلك أعظم الأجر والمثوبة، فقد روى الإمام أحمد وأبوداود والترمذى وابن ماجة عن البراء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفِر لهما قبل أن يتفرقا" وأن يعود إلى أولاده بعد صلاة العيد يهنئهم فى ابتسامة تحمل الحب والمودة، كما يقوم بزيارة جيرانه وأقاربه وذوى رحمه، ويعطف على الفقراء والمحتاجين ، فهذه مظاهر اجتماعية كريمة حرص عليها سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم، ووجهنا إليها سيد الخلق محمد ﷺ فى أقواله وأفعاله، لأنها تفتح نوافذ الود والمحبة والتعاطف بين المسلمين، وتوثق الروابط الكريمة بينهم. فالعيد والاحتفال به يمثل الفرحة الكبرى التى تعم سائر البلاد الإسلامية، مما يملأ القلوب غبطة ورضا وسعادة. روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن حديث أبىهريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه" فالعيد فى نظر الإسلام ما هو إلا لمسة حنان ورحمة يمنحها المسلم لأخيه المسلم فيمسح بها الدموع من العيون، ويزيح الكآبة منَ النفوس، وباقة حب يقدمها المسلم للمحرومين

والبؤساء دون أدنى من أو أذى ، فعندما تشرق شـــمس العيـــد تبـــتهج النفوس وتلتئم الجروح بين الإخوة ، فينسون ما كان بينهم من جفوة أو منازعات ويتزاورون ويتعارفون من جديد ويتراحمـــون، ويتعـــاطفون ويسخون فى البذل لمن عضه الفقر بأنيابـــه، وهـــذه هـــى المشـــاعر الإسلامية الحقة يبعث على إحيائها فى النفوس إشراق شـــمس العيـــد والفرحة به، ويوحى بها إخراج زكاة الفطر عندما تشرق الشمس وقبل أن يجتمع الناس للصلاة ليستوى فى الفرحة بقدوم العيد الغنى والفقير، وهنا يتجلى المعنى الإنسانى فى العيد كأقوى ما يكون، وتبرز معـــانى التعاون والتراحم والتكافل الاجتماعى فى أجل صورها وأبرز معانيها، نسأل الله العلى القدير أن يجعل أيامنا أعيادا دائمة وسعادة مضـــطردة إنه على ما يشاء قدير .

٦٨ ـ عيد الأضحى نافذة من نوافذ الحب والتعاون بين المسلمين

المجتمع الإسلامى يرتكز على قاعدة أساسية توضح اتجاهه ونمط حياته وأسلوب هذه الحياة، وهى أنه مجتمع إيمانى يدين أفراده بعقيدة الإسلام ، ويتعاملون فيما بينهم وفق شريعة هذا الدين، فهو مجتمع البر والتعاون والتراحم وهو دين اجتماعى جاء لخدمة المجتمع وحل مشاكله، ومن فضل الله تعالى على عباده أنه جعل المناسبات الدينية على مدى كل عام لتذكر المسلمين بهذه المبادئ الكريمة وتبث فيهم روحها والحرص على الالتزام بها، يقول الرسول ﷺ : "إن فى أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا"(١) ومن هذه النفحات الربانية عيد الفطر، وعيد الأضحى الذى يأتى بعد أداء المسلمين لشعيرة من أهم الشعائر وأعظمها، حيث تتنزل الرحمات الربانية على من حج بيته وعلى كل من قدم خيرا وعمل صالحا فى هذه الأيام المباركة ، فرسولنا ﷺ يقول : "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من الأيام العشر ــ أى العشر الأوائل من ذى الحجة ــ قيل يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله، إلا أن يخرج الرجل بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء"(٢)، ويأتى عيد الأضحى ليتوج هذه الأعمال بالفرحة العظيمة بما وفق الله عباده المسلمين من أداء شعيرة الحج والأعمال الصالحة فى العشر الأوائل من ذى الحجة، ويشاركون بعضهم فى الاحتفال به فيرددون أعظم شعار وأكرم مظهر وهو النشيد الإسلامى الذى يملأ جوانح المسلمين بالغبطة والسعادة فى مشارق الأرض ومغاربها بل ويتردد فى السموات العلا: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله ، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، ثم يلتقون فى تجمع روحى عظيم ليؤدوا صلاة العيد، ويخرجون متصافحين مهنئين مقبلين على بعضهم بالبسمة الهادئة، والنفوس المؤمنة والقلوب المغتبطة يدعون لبعضهم

---

(١) رواه الطبرانى ــ عن محمد بن مسلمة ٠

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ٢/ ٤٥٧ ، كتاب العيدين، باب فضل العمل فى أيام التشريق والبيهقى فى السنن الكبرى ٤/ ٢٨٤ عن عبدالله بن عباس٠

بالخير وبالدعاء المأثور : تقبل الله منا ومنكم وأعاده علينا وعليكم بالخير، ويمدون أيديهم إلى بعضهم للمصافحة والتهنئة، امتثالا لقول الرسول ﷺ : "ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا"(١) ثم يعودون إلى بيوتهم ليؤدوا نسك أبيهم ابراهيم عليه السلام فيذبحون أضاحيهم تنفيذا لقوله تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ (٢) ثم يصلون منها أرحامهم وجيرانهم وأصدقاءهم ويؤدون للفقراء والمحتاجين حقهم منها، ويأكلون من أضاحيهم اتباعا لسنة نبيهم ﷺ، ثم يقومون بزيارة أقاربهم وأرحامهم ومعارفهم وجيرانهم توطيدا لروابط الأخوة وتجديدا للتواصل والتآخى، ولا ينسى الأغنياء فقراء المسلمين فى هذا اليوم فيقدمون لهم المساعدات والهدايا للصغار لتعم الفرحة أبناء المسلمين جميعهم غنيهم وفقيرهم.

فالمؤمنون إخوة بلا قيود أو فروق فى المكان أو الجنس، وعندما تشرق شمس العيد تبتهج النفوس ويتزاور المسلمون ويتعارفون من جديد، ويتراحمون ويسخون فى البذل لمن عضه الفقر بأنيابه، وهذه مظاهر اجتماعية يبعث على إحيائها إشراق شمس العيد والفرحة به، ولعل فرحة الطفل بالثوب الجديد، ووجود بعض النقود يشترى بها ما يشاء من اللعب والحلوى مما يشعره حقا بفرحة العيد، ويحس بأنه فى يوم يختلف عن سائر الأيام، وهنا يتجلى المعنى الإنسانى فى العيد كأقوى ما يكون، وتبرز معانى التعاون والإحسان، فالعيد مناسبة عظيمة ليتذكر الأغنياء أقرباءهم وجيرانهم من الفقراء والمحتاجين فتلين قلوبهم ويذكرون تلهف المحتاج إلى ما يضفى عليه البهجة وفرحة العيد . ومن هنا ندرك الحكمة فى مشروعية الأضحية فى عيد الأضحى وزكاة الفطر فى عيد الفطر.

---

(١) أخرجه أبوداود فى سننه ٤/ ٣٥٤ ، كتاب الأدب، باب فى المصافحة، والترمذى فى سننه ٥/ ٥٦ كتاب الاستئذان، باب ما جاء فى فضل الذى يبدأ بالسلام وقال: هذا حديث حسن عن البراء ﷺ.

(٢) سورة الكوثر آية ٢ .

ولقد كان الرسول ﷺ المثل الأعلى فى ذلك . فقد كانت الرحمة مهجته، ومشاكل الناس عبادته، أليس هو القائل : "من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر"(١) وعن أبىقتادة ﷺ : أنه طلب غريما له فتوارى عنه، ثم وجده فقال: إنى معسر قال : آلله، قال: فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : "من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع له"(٢) كما كان يقول : "السخى قريب من الله، قريب من الجنة قريب من الناس بعيد عن النار"(٣) وكان الصحابة الأكرمون والسلف الصالح رضوان الله عليهم جميعا لا يرى الواحد منهم أنه أحق بما معه من أخيه، فكان خلقهم التراحم والتعاطف فى سائر الأيام وبخاصة فى أيام العيد ، وهاهو أحد مواقف الرسول ﷺ يعكس المثل الأعلى لإنسانيته ويبقى على الدوام معلما مشرقا وضاء، فقد رُوى أنه ﷺ مر فى يوم عيد، فرأى صغيرا أو يتيما رث الثياب، وقد وقف بعيدا يرقب إخوانا له، تشع البهجة فى حركاتهم، ويملأ السرور جوانب نفوسهم، وعلى أبدانهم ملابس العيد الجديدة ، يختالون ويتيهون بها، ويتمايلون فرحا من سعادتهم بها، فمال المصطفى ﷺ إلى الصبى المسكين، وقال له: "لم لم تلعب مع أترابك"؟ أى زملائك ـــ فأجابه الصبى والدموع تترقرق فى عينه بصوت يقطر أسى: إن أبى قد مات، وليس عندنا ما ألبسه للعيد، فضمه رسول الله ﷺ إلى صدره الشريف وقبله وبكى، ثم رجع به إلى بيته، وكساه ثوبا جديدا، وقال له مطيبا خاطره: "يا غلام: أما ترضى أن أكون لك أبا وعائشة أم المؤمنين أما، وفاطمة أختا" ؟ فقال الصبى وهو يكاد يطير من الفرح: رضيت يا رسول الله وخرج الصبى فخورا سيدا بما وصل إليه أمره، وأخذ يقول لمن يلقاه من الصبيان: أنا ابن محمد بن عبدالله ﷺ ، أما عن بعض ما كان من السلف الصالح فإن الواقدى يقول: كان

---

(١) أخرجه ابن أبىالدنيا ـــ فى كتاب اصطناع المعروف ـــ بإسناده ـــ عن ابن عمر رضى الله عنهما .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ٣/ ١١٩٦ كتاب: المساقاة، باب فضل إنظار المعسر .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى السخاء.

لى صديقان: أحدهما هاشمى، وكنا كنفس واحدة، فنالتنى ضائقة شديدة ، وحضر العيد، فقالت لى امرأتى: أما نحن فى أنفسنا فنصبر على البأس والشدة وأما صبياننا هؤلاء، فماذا نصنع لهم وثيابهم مهلهلة؟ فكتبت إلى صديقى الهاشمى أسأله المعونة والتوسعة فوجه إلى كيسا مختوما فيه ألف درهم، فما استقر فى يدى حتى كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صديقى الهاشمى، فوجهت إليه الكيس بختمه، ثم أخبرت امرأتى بما كان منى، فأقرته راضية شاكرة، ولم ألبث قليلا حتى وافانى صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته — أى كما هو لم يفتح — ثم قال لى: "ماذا فعلت بالكيس الذى بعثت به إليك؟ أصدقنى ولا تكتم عنى، فأخبرته الخبر، فقال له الهاشمى: إنك حين طلبت منى ما أعينك به من مال، لم أكن أملك إلا هذا الكيس، ولما كنا مقبلين على أيام عيد فقد بعثت إلى صديقنا الثالث أسأله المواساة فبعث إلى بالكيس الذى بعثت به إليك، قال الواقدى: فتقاسمنا الألف درهم فيما بيننا فأخذ كل واحد منا ثلاثمائة درهم وأعطينا المرأة مائة درهم، ثم تسرب الخبر إلى الخليفة المأمون فاستدعانى وسألنى فقصصت عليه الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منا ألفان، وأخذت المرأة ألف دينار، فما أجمل وأجل هذا السمو الأخلاقى، والشفافية والرقة فى المشاعر، إنه الخلق الإسلامى الكريم الذى سجله القرآن الكريم للأصفياء من المؤمنين ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١) وما أجمل العيد عندما تتقابل الوجوه وتتصافح القلوب والأيدى بابتسامة تحمل كل معانى الصفاء ولقاء القلوب، فاللهم أعد علينا هذه الأيام وعلى جميع المسلمين باليمن والبركات والأمن والأمان. إنك يا ربنا سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين ٠

(١) سورة الحشر آية ٩ ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة

الحمد لله الذى لا رب غيره ولا معبود سواه، والصلاة والسلام على من أرسله ربه بالهدى واليقين، فكان الرحمة المهداة والسراج المنير.

وبعد

فإن الحياة فى التقدير الإسلامى هى الفرصة التى يجب أن يغتنمها الإنسان بالحرص على ما ينفعه فى دينه ودنياه، وأن يسعى إلى التزود من هذه الحياة بما ينفعه فى أخراه، ولن يتحقق له ذلك إلا إذا حرص على الالتزام بما أمر به الله تعالى، والبعد عما نهى عنه ومجاهدة النفس الأمارة بالسوء أول خطوة على الطريق إلى تقوى الله، فمن استطاع أن يبتعد بنفسه عن مسالك الانحراف ، وينقذها من طريق الغواية والضلال ، ويخلصها من مزالق الشيطان، فإنه بذلك يكون قد قمع نفسه عن شهواتها، وحملها على الاستقامة التى تحقق له السعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة، وبذلك يكون مؤمنا حقا، إذ لا يتم إيمان المرء إلا إذا التزم بما أمر به الشرع الحنيف من عبادات وقيم ومعاملات وآداب وسلوك مع الآخرين. فليس الإسلام عبادة وأداء فرائض من صلاة وصيام وزكاة وحج فقط ، وإنما هو عبادة ومعاملات، هو عقيدة وعمل وسلوك ، فكما يحاسب الإنسان على تقصيره فى أداء الفرائض فإنه بنفس القدر يحاسب على سلوكه وتعامله مع الآخرين فعن أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[1] .

ومن فضل الله تعالى علينا أجمعين أن الدين الإسلامى جاء بتعاليمه جامعة لكل خير منفرة من كل قبيح تأخذ بيد الإنسان إلى كل

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى.

فضيلة وتنأى به عن كل رذيلة، وكان محمد ﷺ الرحمة المهداة للبشر أجمعين فكان قرآنا يمشى على الأرض ٠

يقول تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [(١)] ،

ويقول رسول الله ﷺ فى خطبة حجة الوداع : " أيها الناس : اسمعوا قولى فإنى قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرًا بينا كتاب الله وسنة نبيه..."[(٢)] فكتاب الله وسنة رسوله ﷺ خير زاد يتزود منهما المؤمن بما ينير له طريق الحياة الكريمة، وأقوم سبيل لإخلاص العبادة، واستقامة السلوك، والتحلى بالفضائل والتعامل الكريم مع الآخرين فيعيش حياة سعيدة هانئة ويحظى فى آخرته بالنعيم المقيم الذى وعد الله به عباده المتقين٠

وهذا الكتاب الذى نقدمه إليك أخى القارئ الكريم إنما يهتدى بأصدق الحديث وهو كتاب الله ، وبخير الهدى وهو هدى محمد ﷺ فيطوف بنا فى رياض القيم والأخلاق الإسلامية العطرة التى هى سلاح المؤمن فى هذه الحياة وخير ما يهتدى بها فى دنياه، وأقوم طريق إلى مرضاة الله وأعظم زاد يتزود به فى دنياه وأخراه وهو غيض من فيض، وومضات خاطفة على طريق النصح والإرشاد الذى أمرنا الله به فى كتابه العزيز فقال : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [(٣)]

---

(١) سورة المائدة آية ١٥، ١٦ ٠

(٢) الخطبة فى صحيح البخارى وفى إرشاد الناسك : أنه خرجها مسلم وأبو داود وابن ماجة عن جابرمرفوعا٠

(٣) سورة الذاريات آية ٥٥ ٠

وقد حرصنا فى عرض موضوعات هذا الكتاب علـى تنوعهـا، واختيار ما يتصل بحياتنا الحاضرة من معاملات وعلاقات ودعوة إلى فعل الخير، والحث على كل محمدة، والتنفير من كل منقصـة، كمـا حرصنا على الأسلوب الواضح الميسر وتدعيم ما يـدعو إليـه كـل موضوع بما ورد فيه من القرآن الكـريم والسـنة النبويـة المطهـرة والأقوال المأثورة، وإذا كان الإيجاز سمة عامة فى هـذه الاختيـارات فإنما يرجع ذلك إلى الوقت المحدد لإذاعة كل موضوع حيث كانت هذه الموضوعات حصيلة برنامج أذيع فى إذاعة القرآن الكـريم بعنـوان : "من أخلاق الإسلام"(١) وإن كنا قد أضفنا إلى بعض الموضوعات عنـد تنظيمها وإعدادها للنشر ما يستدعى الإحاطة بالموضوع ومـا تتطلبـه الفكرة من بيان ، كما أننا أعدنا صياغة هذه الموضوعات بعد استبعاد الأسئلة التى كانت طبيعة إذاعته تتطلبه حيث كان الموضوع يعد علـى أساس من سؤال وجواب ٠

ونرجو أن يكون فيما قدمناه فى هذا الكتـاب مـن التوجيهـات الإسلامية خلال موضوعاته ما ينفعنا فى ديننا ودنيانا ويكون لنا خيـر موجه وخير زاد نلقى به ربنـا يـوم ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ (٢) ولعل فى الأبيات التالية ما يحفز النفس إلى التخلق بما دعت إليه موضوعات هذا الكتاب مـن قيم وأخلاق إسلامية رفيعة، فقد روى زيد بن خالد الجهنى عن رسول الله ﷺ أنه قال : "السعيد من وعظ بغيره" يقول أحد الصالحين:

تَزَوَّدْ من التَّقْوَى فإنك لا تـدْرِى ∴ إذا جَنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير عِلَّـةٍ ∴ وكَمْ من سقيم عاش حيناً من الـدَّهر
وكَمْ من فتىً يُمْسِى ويُصْبِح لاهياً ∴ وقد نُسِجَت أكفانُه وهو لا يدْرِى

---

(١) تقديم الإذاعى الكبير الدكتور رمضان المحلاوى٠
(٢) آية ١٥٨ من سورة الأنعام ٠

وأن نعمل بهذه النصيحة الغالية التى وجهنا إليه سيد الخلق محمد ﷺ حيث قال : "إذا هممت بأمر ففكر فى عاقبته، فــإن كــان راشــدا فأمضه، وإن كان غَيًّا فانته عنه".

ندعوه سبحانه أن لا يشغلنا بدنيانا وأن ينفعنا بما علمنا، ونســأله الهدى والتقى والعفاف والغنى وأن يختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير الخلق وإمام المتقين .

الأستاذ الدكتور

حسن أحمد الكبير

من مؤلفات وإصدارات الكاتب

١ - النقائض فى عهد البعثة المحمدية ــ جمع ودراسة وموازنة.
٢ - تطور القصيدة الغنائية فى الشعر العربى الحديث.
٣ - تاريخ الأدب العباسى ــ العصر الأول ــ .
٤ - نصوص من الأدب العباسى-العصر الأول-دراسة وتحليل.
٥ - دراسات فى البحث الأدبى والمقال.
٦ - دراسة فى الأدب العربى الحديث.
٧ - من معالم النقد الأدبى فى العصر الحديث.
٨ - أوزان الشعر العمودى وموسيقاه .
٩ - نصوص من الأدب الحديث ــ دراسة وتحليل ــ .
١٠ - دراسات فى الأدب واللغة .
١١ - دراسة فى النثر الفنى والمقال .
١٢ - فى رحاب الهدى النبوى ــ دراسة وتحليل لمجموعة من الأحاديث النبوية .

من سلسلة : الإسلام وقضايا الإنسان المعاصر :

١٣ - **الكتاب الأول:** أحكام إسلامية فى مسائل معاصرة.
١٤ - **الكتاب الثانى:** آراء إسلامية وقضايا إسلامية.
١٥ - **الكتاب الثالث:** فى رحاب الكتاب والسنة.
١٦ - **الكتاب الرابع:** أحكام إسلامية فى مسائل معاصرة فى العبادات والعقائد والحدود.
١٧ - **الكتاب الخامس:** أحكام إسلامية فى مسائل معاصرة ــ فى المعاملات وأمور الأسرة ــ .

إصدارات جديدة :

١٨ - فتاوى معاصرة ــ الكتاب الأول ــ طبعة فاخرة .

١٩ - فتاوى معاصرة ــ الكتاب الثانى ــ طبعة فاخرة ٠

تحت الطبع :

٢٠ - **مع خير الأصحاب**: أضواء على بعض مواقف نفر من صحابة رسول الله الإيمانية ٠

٢١ - **قصة آية** : بيان لسبب نزول آية كريمة والتوجيهات التى اشتملت عليها٠

٢٢ - **المرأة فى الإسلام**: بيان لما خص الإسلام به المرأة من تكريم وإعلاء لشأنها والحفاظ على كرامتها ٠

٢٣ - **من هدى القرآن الكريم**: بعض التوجيهات القرآنية للإنسان المسلم الواردة فى آية من آيات الذكر الحكيم٠

التعريف بالكاتب

- حاصل على درجة الإجازة العالمية "الليسانس" من كلية اللغة العربية بالقاهرة مع مرتبة الشرف الأولى.
- حاصل على دبلوم التربية وعلم النفس من معهد الإعداد والتوجيه بجامعة الأزهر.
- حاصل على درجة التخصص "الماجستير" في الأدب والنقد من كلية اللغة العربية بالقاهرة، ثم درجة العالمية : "الدكتوراه" بمرتبة الشرف الأولى.
- العمل بالتدريس بوزارة التربية والتعليم لأكثر من اثنى عشر عاما.
- العمل بدولة الجزائر مدرسا للتعليم الثانوى لمدة أربع سنوات.
- العمل بجامعة الأزهر ابتداء من عام ١٩٧٥م مدرسا مساعدا، ثم مدرسا، ثم أستاذا مساعدا، ثم أستاذا، ثم أستاذا متفرغا.
- **تولى رئاسة قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق لأكثر من مرة.**
- **عين وكيلا لكلية اللغة العربية بالزقازيق عام ١٩٨٣م.**
- **عين عميدا لهذه الكلية سنة ١٩٨٥م ، ثم عين عميدا مرة أخرى بعد عودته من العمل بكلية المعلمين بمكة المكرمة، ثم انتخب عميدا بعد عودته من العمل بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى**

أستاذا للدراسات العليا، ثم أعيد تعيينه بعد انتهاء هذه الفترة واستمر عميدا للكلية حتى أحيل إلى التقاعد.

- أشرف على العديد من الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه.
- شارك فى مناقشة العديد من الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه فى العديد من الجامعات المصرية والعربية.
- عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة بقسم الأدب والنقد بجامعة الأزهر من عام ١٩٩٦ حتى الآن.
- عضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية ، وعضو اتحاد كتاب مصر، وعضو رابطة الأدب الحديث.

محتوى الكتاب

م	الموضـــــــوع	الصفحة
	مقدمة .	أ
١	فضل قراءة القرآن الكريم ومدارسته	٣
٢	عمارة المساجد وفضلها	٩
٣	الاستغفار طريق التوبة والإنابة	١٥
٤	فضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ	١٩
٥	الإسلام يدعو إلى المسارعة إلى التوبة وفعل الخيرات	٢٤
٦	الإسلام يدعو إلى الصدق فى القول والعمل	٢٧
٧	الإسلام يدعو إلى اشتغال المرء بأموره وتـرك مـالا يعنيه من أمور الناس	٣١
٨	الإسلام يدعو إلى القناعة والرضا بما قسم الله	٣٥
٩	الإسلام يدعو إلى السماحة والصدق فى البيع والشراء	٣٩
١٠	الإسلام يدعو إلى البعد عن الخصام وإصلاح ذات البين	٤٣
١١	الإسلام يحث على قضاء مصالح الآخرين والتعاون معهم	٤٧
١٢	الإسلام يدعو الإنسان المسلم إلى الحرص على دعـاء الله والاستعانة به فى كل الأمور والأحوال	٥١
١٣	الإسلام يدعو إلى البعد عن الظلم والتحلل من المظالم	٥٦
١٤	الإسلام يدعو إلى الحرص على الكسب الحلال	٦٠
١٥	من الأخلاق الإسلامية الكريمة : شكر الله تعالى علـى نعمه وأفضاله	٦٤
١٦	الإسلام يدعو إلى صلة الأرحام وذوى القربى	٦٨
١٧	من الأخلاق الإسلامية الحميدة : التوكل على الله	٧٢
١٨	الإسلام يدعو إلى صفاء القلب ونقاء الصدر	٧٦
١٩	الإسلام يدعو إلى التكافل والتناصر بين المسلمين	٨١
٢٠	الإسلام يدعو إلى حماية البيئة والعمل على نظافتها	٨٥
٢١	الإسلام يدعو إلى استغلال فترة الشباب والصحة فيمـا يعود على المرء بالخير فى دنياه وآخرته	٨٨

م	الموضـــــوع	الصفحة
٢٢	دعوة الإسلام إلى التيسير على المعسرين وتفريج كرب المكروبين وبخاصة فى شهر رمضان المبارك	٩٢
٢٣	الإسلام يدعو الإنسان إلى البعد عما يضـر بصـحته والعمل على رياضة بدنه	٩٥
٢٤	الإسلام يدعو إلى عناية الإنسان بالصحة والنظافة	٩٩
٢٥	تقوى الله خلق إسلامى كريم	١٠٣
٢٦	الإسلام يدعو إلى كفالة اليتيم ورعايته	١٠٩
٢٧	الإسلام يدعو إلى السعى فى سبيل الرزق	١١٣
٢٨	الإسلام يدعو إلى التراحم والتعاطف	١١٧
٢٩	وأوفو الكيل والميزان بالقسط	١٢١
٣٠	الإسلام يدعو إلى الاستفادة بالوقت واغتنـام فرصـة العمر فى العمل الصالح	١٢٥
٣١	الإسلام يدعو المسلم إلى أن يحب لأخية الانسـان مـا يحب لنفسه	١٢٩
٣٢	الإسلام يدعو إلى البعد عن الإعجاب بالرآى واتبـاع هوى النفس	١٣٢
٣٣	من القيم الإسلامية الكريمة : المروءة	١٣٦
٣٤	محمد : الرحمة المهداة	١٤٠
٣٥	الإسلام يحض على اختيار الأصدقاء	١٤٤
٣٦	الإسلام يدعو إلى البعد عن الغيبة والطعن فى أعراض الناس	١٤٩
٣٧	الإسلام يدعو إلى البعد عن النميمة والإيقاع بين الناس	١٥٣
٣٨	النظافة من الإيمان	١٥٦
٣٩	الإسلام يدعو إلى المحافظة على العهود والوفاء بها	١٦٠
٤٠	الإسلام يدعو إلى توطيد العلاقـة الطيبـة بالجـار والصبر على أذاه	١٦٤
٤١	الإسلام يدعو إلى التخلق بحسن الخلق	١٦٨

الصفحة	الموضـــــوع	م
١٧٢	الإسلام يحث على المحافظة علـى نظافـة الشـوارع والمرافق العامة	٤٢
١٧٦	الإسلام يدعو إلى الإنفاق فى سبيل الخير والنهوض بالمجتمع	٤٣
١٨٠	الإسلام يدعو الى المحافظة على كرامة الآخرين وعدم الإساءة إليهم	٤٤
١٨٤	الإسلام يدعو إلى العمل لعمارة الأرض وتحصيل الرزق	٤٥
١٨٨	المسلم مطالب بالصبر على متاعب الحياة ومشقاتها	٤٦
١٩٢	من القيم الإسلامية الكريمة : كظم الغيظ	٤٧
١٩٦	الإسلام يحض على الرأفة بالحيوان	٤٨
٢٠٠	الإسلام يحث على عيادة المريض	٤٩
٢٠٥	من آداب وسنن الاحتضار والجنازة	٥٠
٢١٠	من مبادئ الإسلامية الأساسية : الإيمان بالقضاء والقدر	٥١
٢١٣	من حقوق المجالس وآدابها في الإسلام	٥٢
٢١٧	الإسلام يدعو المسلم إلى الحرص علـى عـزة نفسـه والحفاظ على كرامته	٥٣
٢٢١	من القيم الإسلامية الكريمة : الدعوة إلى الوليمة وإجابتها	٥٤
٢٢٥	الإسلام يدعو إلى الحرص على إفشاء السلام بين الناس	٥٥
٢٣٠	الإسلام يدعو إلى التراحم وإطعام الطعام	٥٦
٢٣٥	الإسلام يدعو إلى الالتزام بآداب الطعام وتناوله	٥٧
٢٣٩	من الأدب الإسلامي : الاعتدال فى تناول الطعام والشراب	٥٨
٢٤٣	الإسلام يدعو إلى مراعاة آداب الشرب التى حث عليها	٥٩
٢٤٦	من القيم الإسلامية : أدب العطاس	٦٠
٢٤٩	من الفضائل الإسلامية : العفو عمن ظلمنا	٦١
٢٥٣	الإسلام يدعو إلى كف اللسان وصونه عن إيذاء الأخرين	٦٢
٢٥٦	الإسلام يدعو إلى أداء الحقوق وعدم المماطلة فى أدائها	٦٣
٢٦١	من الآداب الكريمة : الاستئذان عند زيارة الناس فى بيوتهم	٦٤
٢٦٥	رخص الإفطار فى رمضان ووجوب مراعاة شعور الصائمين	٦٥

م	الموضـــــوع	الصفحة
٦٦	من المبادئ الإسلامية : الاحتفاء بليلة القدر	٢٦٨
٦٧	عيد الفطر ومظاهر الاحتفال به	٢٧٣
٦٨	عيد الأضحى نافذة من نوافذ الحب والتعاون بين المسلمين	٢٧٧
	الخاتمة	٢٨١
	من مؤلفات وإصدارات الكاتب	٢٨٥
	التعريف بالكاتب	٢٨٧
	محتوى الكتاب	٢٨٩

رقم الإيداع

٢٢٦٣٦ / ٢٠٠٥

مطبعة المتحدون للطباعة والكمبيوتر بالزقازيق